



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



عليه
صلى الله عليه وسلم

WWW. **Ghaemiyeh** .com
WWW. **Ghaemiyeh** .org
WWW. **Ghaemiyeh** .net
WWW. **Ghaemiyeh** .ir

الْمَقَدِّمَةُ

مِنْ مَوْلَانَا مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ

مَقَدِّمَةُ الْمَقَدِّمَةِ

المجلد الثاني

حَدِيثُ الْكَلْبَاءِ

تَرْجُمَةُ الْكَلْبَاءِ

أَلْفٌ وَخَمْسُونَ حَدِيثًا مِنْ كِتَابِ الْكَلْبَاءِ

لِلْمَوْلَانَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من فقه الزهراء عليها السلام

كاتب:

آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي

نشرت في الطباعة:

مؤسسة الرسول الاكرم (صلي الله عليه وآله وسلم)

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
17	من فقه الزهراء عليها السلام المجلد 2
17	اشارة
17	اشارة
22	المقدمة
26	خطبة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء سلام الله عليها فى المسجد
27	احتجاج فاطمة الزهراء على القوم لما منعوها فذك
36	استحباب الرواية ووجوبها
36	رواية هذه الخطبة
40	رواية النساء
41	تحمل المميز
42	الدفاع عن الولاية
43	الجهر بالحق
43	الاجتماع على الباطل
44	إيذاء أهل البيت عليهم السلام
44	حرمة الغصب ومصادرة الأموال
45	الاهتمام بقضية فذك
46	المطالبة بالحق وفضح الطغاة
47	الانتصار للحق
48	مطالبة المرأة بحقتها
48	التصدى للطغاة مطلقاً
49	فورية المطالبة بالحق
49	وجوب الستر على المرأة

50	حرمة إظهار الزينة
51	استحباب التخمر للمرأة
51	شد الخمار على الرأس
52	امتلاك الخمار
52	التخمر في المنزل
53	لث الخمار تحت الجلباب
53	تغطية كل الجسد
54	خروج المرأة من البيت
55	خروج المرأة مع غيرها
55	الخروج منفرداً أو مع جماعة
56	الخروج مع المعارف
57	الحجاب والساتر
57	عباءة المرأة
57	الستر الفضفاض
57	شدة التستر
57	التأسي بالرسول (ص) في كل شيء
58	المشي بسكينة ووقار
59	دخول المرأة للمسجد
60	طرح القضايا في المسجد
60	طرح القضايا أمام الناس
61	القضاء في المسجد
64	الاستفادة من مراكز الإعلام
64	دخول المرأة في مجمع الرجال
65	الضغط مباشرة
65	الفضح على رؤوس الأشهاد

66	إتمام الحجّة على الناس
66	المطالبة بالحقّ بمحضّر الغير
66	الجهر بالحقّ لشتى الطبقات
67	الساتر بين الرجال والنساء
68	الجلوس في المسجد
68	إسماع الصوت للرجال
69	سماع صوت المرأة
69	البكاء على الميت
70	رفع المرأة صوتها بالبكاء
70	البكاء لفقد المعصوم عليه السلام
71	بكاء المظلوم تظلاً
72	البكاء لبكاء المظلوم
72	البكاء المفجوع
74	افتتاح الحديث بما يهين النفوس
74	الكلام في أفضل الأحوال
75	افتتاح الأعمال بذكر الله تعالى
76	تعليم الناس على الافتتاح بالحمد
76	الافتتاح بذكر الله جهرًا
76	تقديم الحمد بعد البسملة
77	اشتمال الافتتاح على الثناء
78	الصلاة على الرسول وآله الأطهار (ع)
79	تجدد البكاء عند تجدد ذكر الفقيد
79	عدم قطع بكاء المفجوع
80	مراعاة حال المستمع
81	العودة الى حمد الله تعالى

- 82 الشكر لله تعالى
- 83 الثناء على الله تعالى
- 83 ذكر متعلق الحمد وما يوجبه
- 84 ذكر الله تعالى وحمده عند تواتر المصائب
- 84 توجه المظلوم إلى الله تعالى
- 85 إفاضة الخير على الجميع
- 86 الابتداء بالنعمة والإحسان
- 86 كمال النعم وتمامها
- 88 إسداء النعمة
- 88 توالى إفاضة النعم
- 89 إظهار العجز عن إحصاء النعم
- 89 تذكر لا نهائية النعم
- 90 عدم إمكان الجزاء على النعم
- 91 العجز عن إدراك النعم
- 92 الاستزادة من النعم
- 92 التحفظ على النعم
- 93 وجوب أصل الشكر وبعض مصاديقه
- 94 حمد الله واجب أم مستحب
- 97 بحث حول كلمة التوحيد
- 99 وحدانية الله وأحدثه
- 99 استحباب التلفظ بالشهادة
- 100 التأكيد في الاعتقادات
- 100 استحباب الابتداء بالشهادة
- 101 صبغة الله
- 102 الإخلاص في العقيدة والعمل

106	توحيد الله في أعماق القلوب
107	امتتاع رؤية الله تعالى ووصفه
109	حرمة التفكير في ذات الله
110	استحباب التفكير في أفعال الله تعالى
113	قدرته تعالى
113	مشيئته تعالى
114	الغنى المطلق
115	إفاضة الخير، لذاته
116	الفرق بين الحاجة والفائدة
116	الحكمة الإلهية
117	الإشارة إلى علل الخلقة
117	1: تبيين الحكمة وتبيينها
118	2: الإرشاد إلى طاعته تعالى
119	3: إظهار قدرته عزوجل
120	4: التعبد لله تعالى
121	إظهار العبودية لله تعالى
122	التربية على حالة العبودية
122	حرمة عبادة غير الله
124	5: إعزاز الدعوة
124	بيان العلل والأهداف
127	الإثابة على الإطاعة
128	العقاب على مخالفة القانون
129	حفظ العباد عن التعرض للنقمة الإلهية
130	سوق العباد إلى الجنة
131	التطرق لفلسفة الثواب والعقاب

133 الاعتقاد بنبوته (ص)
133 التلغظ بالشهادة الثانية
134 الشهادة بعبوديته (ص) لله تعالى
135 الاعتقاد بالعبودية
136 الشهادة الثانية
136 التصريح بالنسب وإظهاره
138 نشر فضائل الوالدين
139 فضائل الرسول (ص)
139 الاختيار الإلهي للرسول الأعظم (ص)
140 مواصفات خاصة للنبي (ص) والإمام (عليه السلام)
142 مواصفات وكلاء المعصومين (ع) وأتباعهم
144 التسمية قبل الولادة
145 من فضائله (ص)
146 علمه تعالى
146 ما وصف الله به نفسه
148 استحضار إحاطته تعالى
149 التعبد المطلق
150 إتمام الأمر
151 تنفيذ حكمه تعالى
152 التقدير الإلهي المحتمى
154 التفرق عن الحق
156 الفحص عن حال الأمم
156 عبادة النيران والأوثان
158 إنكار الله رغم معرفته
159 إنارة الظلم

160	المصباح المنير
160	تفصيل أهداف البعثة
161	المقياس في إتباع الرسول (ص)
161	توضيح المعضلات
162	إزاحة الستائر
163	الهداية العملية
165	الإنقاذ من الغواية
166	التبصير من العماية
166	الهداية للدين القويم
167	انتهاج الطريق المستقيم
169	على (عليه السلام) هو الصراط المستقيم
171	إنك ميت
171	رأفة الله برسوله (ص) واختياره
172	رغبته (ص) في لقاء الله تعالى
172	الرغبة في ذلك
173	التذكير بمناقبه (ص)
174	تحمل الأذى في سبيل الله
177	التعويض الإلهي
178	مجاورة الملك الجبار
179	التذكير بمنزلة الأنبياء (ع) والمؤمنين في الآخرة
180	غفران الخطايا
181	الدعاء للأب
182	الصلوات على النبي (ص)
183	الأمين المصطفى
185	عصمة الرسول الأعظم (ص)

185 النبي الأمين (ص)
187 الدعاء للأولياء والصالحين
190 السلام على الأموات
191 ذكر محاسن الأموات
191 الترحم على الأموات
192 المراد بالالتفات
193 عباد الله
195 مما ينبغي التذكير به
196 مسؤوليات العباد
196 1: امتثال الأوامر والنواهي
196 2: حمل راية الدين والوحي
200 3: وقاية النفس والالتزام عليها
201 4: تبليغ وهداية الأمم
205 الأجيال القادمة
206 القرآن هو الزعيم
208 زعيم حق
209 القرآن عهد إلهي
210 عدم تحريف القرآن
216 القرآن خليفة الله في الأرض
218 وصف القرآن بجميل الصفات
219 صدق القرآن
220 تحرى الصدق
222 النور الإلهي
223 القرآن نور وضياء
224 هداية الناس وإرشادهم

226	البصائر البينة
226	حجية ظواهر الكتاب
227	من هم أشياع القرآن؟
229	إتباع تعاليم القرآن
229	حرمة إتباع غير القرآن
229	مسؤوليات القائد
230	الاستماع للقرآن الكريم
232	التزام بين الاستماع والقراءة
232	توجيه الآخرين نحو الاستماع
233	كراهة الانشغال عن الاستماع
234	التدبر في القرآن الحكيم
235	القراءة بصوت حسن مؤثر
238	استخراج الحجج من القرآن
239	عزائم القرآن وفرائضه
240	ترك المحرمات
241	التخصص في آيات الأحكام
241	الرجوع إلى المفسرين
242	التحذير من المحرمات
243	الاعتماد على الأدلة الجلية
244	الدعوة إلى الفضائل
244	التعرف على المباحات
246	شمولية القانون
246	القرآن والأحكام الشرعية
247	وجوب التقيد بشرائع الله
248	تطهير الباطن

252	علل الأحكام
253	الإيمان بالله
254	هداية المشركين
254	الطهارة من نجاسة الشرك
255	إبلاغ الأحكام
255	التقدم الرتبى للإيمان
256	الكفر كالشرك
256	حكم المتردد والشاك
257	رجحان الصلاة
257	تنزيه النفس
258	التكبر
261	الزكاة راجحة مطلقاً
262	تزكية النفس
264	إنماء الرزق
265	الاهتمام بالأمر الديني
266	الإنفاق
266	الصيام وفلسفته
267	الإخلاص فى العبادة وغيرها
268	فريضة الحج والأهداف الربانية
270	تشبيد الدين
271	أنواع العدل والظلم
272	من مصاديق العدل ومظاهره
274	تأليف القلوب
275	وجوب إطاعة أهل البيت (ع)
277	إطاعتهم (ع) سبب للنظام

279	حماية حماة الشريعة
280	الاعتقاد بالإمامة
281	الفرق عن سبيل الله
281	السعى لتحقيق فعالية حاكميتهم (ع)
283	الجهاد فى سبيل الله
284	إعزاز الإسلام واجب
284	الصبر
287	السعى لاستحقاق الأجر والثواب
289	مراعاة المصلحة العامة
291	بيان الأحكام
292	البر بالوالدين
293	إسقاط الوالدين
294	صلة الأرحام
295	قطع الرحم
296	السعى لطول العمر
298	التكثير فى النسل
304	حق القصاص
306	فلسفة العقوبات الإسلامية
306	وجوب حقن الدماء
308	وجوب الوفاء بالنذر
310	التعرض لمغفرة الله
311	توفية المكيال والميزان
312	حرمة شرب الخمر
316	المخدرات
316	اجتناب الرجس

318	حرمة القذف والسب
322	الاجتناب عن اللعنة
325	حرمة السرقة
325	وجوب التحلى بالعفاف
326	الشرك الجلى والخفى
328	مراتب التقوى
329	الاستزادة من التقوى
331	الموت على الإسلام
332	حسن العاقبة
333	الاقتباس من الكتاب
338	إطاعة البارى تعالى
339	الخشية من الله
341	التبويه بمكانة العلماء
343	مصادر التحقيق والتهميش
360	الفهرس
383	تعريف مركز

إشارة

موسوعة استدلالية في الفقه الإسلامي

الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي

من فقه الزهراء سلام الله عليها

المجلد الأول

حديث الكساء

المرجع الديني الراحل

(أعلى الله درجاته)

موسوعة استدلالية في الفقه الإسلامي

من فقه الزهراء سلام الله عليها

المجلد الأول

حديث الكساء

المرجع الديني الراحل

(أعلى الله درجاته)

ص: 1

إشارة

من فقه الزهراء ع

ج 2

آية الله العظمى

الإمام السيد محمد الحسيني شيرازي

(قدس سره الشريف)

الطبعة الأولى

1418 هـ - 1998 م

تهميش وتعليق:

مركز الرسول الأعظم (ص) للتحقيق والنشر

بيروت - لبنان

الفقه

موسوعة استدلالية فى الفقه الإسلامى

من فقه الزهراء ع

المجلد الثانى

خطبتها فى المسجد

القسم الأول

ص: 2

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين

ولعنة الله على أعدائهم أجمعين

ص:3

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليك أيتها الصديقة الشهيدة

السلام عليك أيتها الرضية المرضية

السلام عليك أيتها الفاضلة الزكية

السلام عليك أيتها الحوراء الإنسية

السلام عليك أيتها التقية النقية

السلام عليك أيتها المحدثة العليمة

السلام عليك أيتها المظلومة المغصوبة

السلام عليك أيتها المضطهدة المقهورة

السلام عليك يا فاطمة بنت رسول الله

ورحمة الله وبركاته

البلد الأمين ص 278. مصباح المتعجد ص 711

بحار الأنوار ج 97 ص 195 ب 12 ح 5 ط بيروت

ص: 4

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة على أعدائهم أجمعين.

وبعد: فإن الدفاع كالهجوم - حقاً كان، كما في الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) والعلماء والصالحين من المؤمنين والمؤمنات، أم باطلاً، كما في الطغاة والمجرمين - على سبعة أقسام، وإن أمكن التكثير أو التقليل منها بالاعتبارات المختلفة.

الأول: السياسى، بالتحرك وتوجيه الضغوط عبر محاور ومراكز ومؤسسات متخصصة لذلك، وما أشبهه كجعل الشخص المناسب فى المكان المناسب، أو التحرك لأجله، فى الحق، وبالعكس فى الباطل.

والثانى: الاقتصادى، عبر الدعم المادى - بمختلف صوره - لجبهة الحق أو الباطل، فى الجانبين، أو الحظر الاقتصادى سواء على جبهة الحق، كما فى محاصرة أهل مكة لأهل المدينة اقتصادياً، وكما فى اغتصاب فدك، وفى عكسه على جبهة الباطل، كما قام به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالنسبة إلى بعض القوافل التجارية لقريش، مقابلة لهم بالمثل. (1)

والثالث: الاجتماعى، بالمقاطعة الاجتماعية، كما فعله الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) (2) : «مع الثلاثة الذين خلفوا» (3) وكما فعله بنو العباس - بالباطل - مع الأئمة الطاهرين (عليهم السلام).

والرابع: العسكرى، بالسلاح، كما فى حروب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الدفاعية - فى جانب الحق - وعكسه فى القوى المعادية لأهل الحق.

ص: 5

1- راجع حول هذه المباحث كتاب (ولأول مرة فى تاريخ العالم ج12) للإمام المؤلف دام ظله.

2- راجع كتاب (ولأول مرة فى تاريخ العالم ج2 ص169-175) غزوة تبوك، تحت عنوان (المتخلفون عن تبوك).

3- التوبة: 118.

والخامس: العاطفي، عبر الندبة والنوح والبكاء، كما قام به أهل البيت والأئمة عليهم السلام - في العديد من المواطن - خاصة الإمام السجاد (عليه السلام) بعد شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) (1)، وبذلك تمكنوا من إحقاق الحق وإزهاق الباطل.

والسادس: الثقافي، وذلك عبر القيام بنشر الوعي والعلم والثقافة بمختلف الوسائل، فأهل الحق ينشرون الفضيلة والتقوى والصدق ويقومون بإرشاد الناس للحقائق، وأهل الباطل ينشرون الفساد والكذب والخداع، قال تعالى: «كل يعمل على شاكلته». (2)

والسابع: الأجوائى (3)، بتهيئة الأجواء الصالحة.. بتزويج الشباب والشابات، ومنع المخامر والمقامر والمباغى والملاهى والمراقص، واستبدالها بالبدائل الصالحة والسليمة، أو الأجواء الفاسدة، كما يفعله المبطلون فى كل زمان ومكان.

والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها الصلاة والسلام) اتخذت أسلوب الدفاع والهجوم، لإحقاق الحق وإبطال الباطل، عبر:

1: العاطفة، كالبكاء ونحوه.

2: الثقافة، كما فى خطبتها (عليها السلام) فى المسجد، وفى مجمع النساء اللاتى جئن لعيادتها فى البيت.

ص:6

1- راجع بحار الأنوار ج45 ص149 ب39 ح1 وفيه: (قال السيد روى عن الصادق (عليه السلام) انه قال: ان زين العابدين (عليه السلام) بكى على أبيه الحسين (عليه السلام) أربعين سنة، صائماً نهاره قائماً ليله، فإذا حضر الإفطار جاءه غلامه بطعامه وشرابه فيضعه بين يديه فيقول: كل يا مولاي، فيقول: قتل ابن رسول الله جائعاً، قتل ابن رسول الله عطشاً، فلا يزال يكرر ذلك ويبكى حتى يبيل طعامه من دموعه، ثم يمزج شرابه بدموعه، فلم يزل كذلك حتى لحق بالله عزوجل). وفى كتاب (مثير الأحرار) ص115 تحت عنوان حزن زين العابدين عليه السلام: (ان زين العابدين (عليه السلام) كان مع حلمه الذى لا توصف به الرواسى وصبره الذى لا يبلغه الخل المواسى، شديد الجزع والشكوى لهذه المصيبة والبلوى، بكى اربعين سنة بدمع مسفوح وقلب مقروح).

2- الإسراء: 84.

3- قد يكون هذا القسم داخلياً فى الدفاع السياسى، أو غيره، ولكن ذكره من باب ذكر الخاص بعد العام، لأهميته، أو لغير ذلك مما هو مذكور فى علم البلاغة.

3: المقاطعة الاجتماعية: فى حياتها، حيث لم تأذن للشيخين فى زيارتها (1)، وقالت (عليها السلام): (إيكم عنى..) (2).

وبعد الوفاة، بالوصية بإخفاء مراسم التشيع والصلاة والدفن، وإخفاء القبر الشريف (3).

4: التحرك لأجل إرجاع الحق لأهله عبر الخطبة وتوجيه الضغوط (4) وغيرها (5).

وفىما يلى نذكر خطبة الصديقة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بأكملها، مع بعض ما يستنبط منها من الفروع والأحكام على النحو الذى فصلناه فى مقدمة حديث الكساء (6).

ص:7

1- راجع عوالم العلوم ومستدركااته، مجلد فاطمة الزهراء عليها السلام ج2 ص829 ط مؤسسة الإمام المهدي عج قم المقدسة. وفيه عن (الامامة والسياسية): (.. فقال عمر لابي بكر: انطلق بنا الى فاطمة، فانا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً، فاستأذنا على فاطمة، فلم تأذن لهما، فأتيا علياً فكلما، فأدخلهما عليها، فلما قعدا عندها، حولت وجهها الى الحائط، فسلما عليها فلم ترد عليهما السلام). وبحار الانوار ج28 ص303 ب4 ح48 وفيه: (قالت «فاطمة لعلى عندما استأذن عليها الشيخان»: البيت بيتك والحررة زوجتك.. فسدت قناعها وحولت وجهها الى الحائط.. قالت: نشدتكما بالله هل سمعتما رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: فاطمة بضعة منى فمن آذاها فقد آذاني؟ قالوا: نعم، فرفعت يدها الى السماء فقالت: اللهم انهما قد آذيانى فانا اشكوهما اليك والى رسولك، لا والله لا ارضى عنكما ابداً حتى القى ابي رسول الله فأخبره بما صنعتما فيكون هو الحاكم فيكما).

2- عوالم العلوم: ج11 ص467 ب20 ح1 ط2. وبحار الانوار ج43 ص160 ب7 ح9.

3- راجع بحار الأنوار ج78 ص390 ب10 ح56 وفيه عن فاطمة الزهراء عليها السلام: (انا اوصيك فى نفسى.. اذا انا مت فغسلنى بيدك وحنطنى وكفننى وادفنى ليلا- ولا يشهدنى فلان وفلان) الحديث. وفى البحار ج43 ص214 ب7 ح44: (يا على حنطنى وغسلنى وكفننى بالليل وصل على وادفنى بالليل ولا تعلم احداً). وراجع أيضاً علل الشرايع ج1 ص185 باب العلة التى من اجلها دفنت فاطمة عليها السلام بالليل ولم تدفن بالنهار.

4- كما فى طوافها عليها السلام على الأربعين من الصحابة.

5- وهذا من الدفاع السياسى والأجوائى حسب التقسيم المذكور، وقد يكون اقتصادياً أيضاً بالنسبة إلى مطالبتها عليها السلام بفدك، أما الدفاع العسكرى فلم يكن ذلك بصالح الإسلام والمسلمين كما وصى بذلك الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

6- راجع موسوعة الفقه (من فقه الزهراء عليها السلام) المجلد الأول.

هذا وقد أشرنا إلى بعض أدلة حجية الخطبة في المجلد الأول (1).

كما ذكرنا بعض ما يدل على كونها صلوات الله عليها مفروضة الطاعة على جميع الخلائق حتى الانبياء عليهم السلام (2).

والله الموفق وهو المستعان.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

1414 هـ-

ص: 8

1- وسيأتي الكلام عن ذلك أيضاً في هامش ص 56-59.

2- راجع (من فقه الزهراء عليها السلام) المجلد الاول ص 10 - 17، فعن ابي جعفر عليه السلام: (لقد كانت عليها السلام مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله، من الجن والانس والطير والوحش والأنبياء والملائكة) الحديث. وعنه (عليه السلام): (ان الله تبارك وتعالى لم يزل متفرداً بوحدانيته، ثم خلق محمداً وعلياً وفاطمة سلام الله عليهم اجمعين، فمكثوا الف دهر، ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها، وأجرى طاعتهم عليها، وفوض أمورها اليهم، فهم يحلون ما يشاؤون، ويحرمون ما يشاؤون، ولن يشاؤوا الا ان يشاء الله تبارك وتعالى، ثم قال: هذه هي الديانة التي من تقدمها مرق، ومن تخلف عنها محق، ومن لزمها لحق) «راجع عوالم العلوم ومستدركاتهما مجلد فاطمة الزهراء عليها السلام ج 1 ص 172 و 173 ب 13 ح 1 و 2، باب انها صلوات الله عليها مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله تعالى».

خطبة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء سلام الله عليها في المسجد

خطبة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء سلام الله عليها في المسجد (1)

ص:9

1- نقلنا هذه الخطبة نصا وتعليقا عن كتاب (عوامل العلوم ومستدركاتنا) مجلد فاطمة الزهراء عليها السلام ج2 ص652-697 تحقيق ونشر مؤسسة الامام المهدي عجل الله فرجه المقدسة. (انظر النسخة المطبوعة)

احتجاج فاطمة الزهراء على القوم لما منعوها فدك

احتجاج فاطمة الزهراء على القوم لما منعوها فدك (1)

روى عبد الله بن الحسن بإسناده عن آبائه :

أنه لما أجمع أبو بكر وعمر على منع فاطمة فدكا بلغها ذلك لاثت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها تطأ ذيولها، ما تحرم مشيتها مشية رسول الله حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة، فجلست ثم أنت أنة أجهدش القوم لها بالبكاء، فأرتج المجلس، ثم أمهلت هنيئة حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله، فعاد القوم في بكائهم، فلما أمسكوا عادت في كلامها، فقالت :

الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدائها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن أولائها، جم عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدها، وتفاوت عن الإدراك أبدها، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها، واستحمد إلى الخلاق ياجزائها، وثنى بالندب إلى أمثالها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمن القلوب موصولها، وأنار في التفكير معقولها، الممتع من الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كفيته، ابتدع الأشياء لا من شىء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها، كونها بقدرته، وذراها بمشيته، من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولافائدة له في تصويرها، إلا تثبيتاً لحكمته، وتنبهها على طاعته، وإظهاراً لقدرته، تعبداً لبريته، وإعزازاً لدعوته، ثم جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، زيادة لعباده من نعمته، وحياشة لهم إلى جنته.

وأشهد أن أبى محمدا عبده ورسوله، اختاره قبل أن أرسله، وسماه قبل أن اجتبا،

ص:10

واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة، علما من الله تعالى بمآيل الأمور، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بمواقع الأمور، ابتعثه الله إتماما لأمره، وعزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذا لمقادير حمته، فرأى الأمم فرقا في أديانها، عكفا على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها، فأثار الله بأبي محمد ظلمها، وكشف عن القلوب بهمها، وجلى عن الأبصار غممها، وقام في الناس بالهداية، فأنقذهم من الغواية، وبصرهم من العماية، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الطريق المستقيم.

ثم قبضه الله إليه قبض رافة واختيار، ورغبة وإيثار، فمحمد من تعب هذه الدار في راحة، قد حف بالملائكة الأبرار، ورضوان الرب الغفار، ومجاورة الملك الجبار، صلى الله على أبي، نبيه وأمينه، وخيرته من الخلق وصفيه، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

ثم التفتت إلى أهل المجلس وقالت: أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه، وحملة دينه ووحيه، وأمناء الله على أنفسكم، وبلغاه إلى الأمم، زعيم حق له فيكم، وعهد قدمه إليكم، وبقية استخلفها عليكم: كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، بينة بصائرهم، منكشفة سرائرهم، منجلية ظواهرهم، مغتبطة به أشياعهم، قائدا إلى الرضوان اتباعهم، مؤد إلى النجاة استماعهم، به تنال حجج الله المنورة، وعزائمهم المفسرة، ومحارمه المحذرة، وبياناته الجالية، وبراهينه الكافية، وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة، فجعل الله الإيمان تطهيرا لكم من الشرك، والصلاة تنزيها لكم عن الكبر، والزكاة تزكية للنفس ونماء في الرزق، والصيام تثبيتا للإخلاص، والحج تشييدا للدين، والعدل تنسيقا للقلوب، وطاعتنا نظاما للملة، وإمامتنا أمانا للفرقة، والجهاد عزا للإسلام، والصبر معونة على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامة، وبر الوالدين وقاية من السخط، وصلة الأرحام منسأة في العمر ومنمأة للعدد، والقصاص حقنا للدماء، والوفاء بالندر تعريضا للمغفرة، وتوفية المكاييل والموازن تغييرا للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيها عن الرجس، واجتناب القذف حجابا عن اللعنة، وترك السرقة إيجابا للعفة، وحرم الله الشرك إخلاصا له بالربوبية، فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، فإنه إنما يخشى الله من عباده العلماء.

ثم قالت: أيها الناس اعلّموا أنى فاطمة، وأبى محمد، أقول عودا وبدوا، ولا أقول ما أقول غلطا، ولا أفعل ما أفعل شططا، «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ»، فإن تعزوه وتعرفوه تجدوه أبى دون نسانكم، وأخا ابن عمى دون رجالكم، ولنعم المعزى إليه، فبلغ الرسالة صادعا بالندارة، مانلا عن مدرجة المشركين، ضاربا ثبجهم، آخذا بأكظامهم، داعيا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يجف الأصنام، وينكث الهام، حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، حتى تقرى الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين، وطاح وشيظ النفاق، وانحلت عقد الكفر والشقاق، وفهت بكلمة الإخلاص فى نفر من البيض الخماص، وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون القد، أذلة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد، بعد اللتيا والتى، وبعد أن منى ببهم الرجال، وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن الشيطان أو فغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه فى لهواتها، فلا ينكفى حتى يطا جناحها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكوددا فى ذات الله، مجتهدا فى أمر الله، قريبا من رسول الله، سيدا فى أولياء الله، مشمرا ناصحا، مجدا كادحا، لا تأخذه فى الله لومة لائم، وأنتم فى رفاهية من العيش، وادعون، فاكهون، آمنون، تتربصون بنا الدوائر، وتتوكفون الأخبار، وتنكصون عند النزال، وتقرون من القتال.

فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه، ومأوى أصفياه، ظهر فيكم حسكة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الأقلين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر فى عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه، هاتقا بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللعزة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافا، وأحشمكم فألفاكم غضابا، فوسمتم غير إبلكم، ووردتم غير مشربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل، والرسول لما يقبر، ابتادارا زعمتم خوف الفتنة، ألا فى الفتنة سقطوا، وإن جهنم لمحيطة بالكافرين.

فهيها منكم، وكيف بكم، وأنى توفكون، وكتاب الله بين أظهركم، أموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة، وأعلامه باهرة، وزواجره لائحة، وأوامره واضحة، وقد خلفتموه وراء ظهوركم،

أرغبة عنه تريدون، أم بغيره تحكمون، بس للظالمين بدلا، ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين.

ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها، ويسلس قيادها، ثم أخذتم توروبن وقدتها، وتهيجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوى، وإطفاء أنوار الدين الجلى، وإهمال سنن النبي الصفى، تشربون حسوا فى ارتغاء، وتمشون لأهله وولده فى الخمرة والضراء، ويصير منكم على مثل حز المدى، ووخز السنان فى الحشا، وأنتم الآن ترعمون أن لا إرث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون، أفلا تعلمون، بلى قد تجلى لكم كالشمس الصاحية أنى ابنته.

أيها المسلمون، أأغلب على إرثى؟

يا ابن أبى قحافة، أفى كتاب الله ترث أباك، ولا أرث أبى، لقد جئت شيئا فريا، أفعلى عمد تركتم كتاب الله، ونبذتموه وراء ظهوركم، إذ يقول: «وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ» وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا، إذ قال: «فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ»، وقال: «وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ» وقال: «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ الْاُنْثَيَيْنِ» وقال: «إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْاُولَادَيْنِ وَالْاَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ»..

وزعمتم أن لا حظوة لى، ولا إرث من أبى، ولا رحم بيننا، أفخصكم الله بأية أخرج أبى منها، أم هل تقولون إن أهل ملتين لايتوارثان، أو لست أنا وأبى من أهل ملة واحدة، أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبى وابن عمى، فدونها مخطومة مرحولة، تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعود القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم إذ تندمون، ولكل نبأ مستقر، وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه، ويحل عليه عذاب مقيم.

ثم رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت: يا معشر النقيية، وأعضاء الملة، وحضنة الإسلام، ما هذه الغميمة فى حقى، والسنة عن ظلامتى، أما كان رسول الله أبى يقول: المرء يحفظ فى ولده، سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالة، ولكم طاقة بما أحاول، وقوة على ما أطلب وأزاول، أتقولون: مات محمد، فخطب جليل، استوسع وهنه، واستنهر فتقه، وانفتق

رتقه، وأظلمت الأرض لغييبته، وكسفت الشمس والقمر، وانتشرت النجوم لمصيبته، وأكدت الآمال، وخشعت الجبال، وأضيع الحريم، وأزيلت الحرمة عند مماته، فتلك والله النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى، لا مثلها نازلة، ولا بائقة عاجلة، أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه فى أفئيتكم، وفى ممساكم ومصبحكم، يهتف فى أفئيتكم هتافاً وصراخاً، وتلاوة وأحانا، ولقبله ما حل بأنبياء الله ورسله، حكم فصل، وقضاء حتم، «وما مُحَمَّدٌ إِلَّا- رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُدَّرَ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ».

إيها بنى قبيله، أهضم تراث أبى، وأنتم بمرأى منى ومسمع، ومنتدى ومجمع، تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وأنتم ذوو العدد والعدة، والأداة والقوة، وعندكم السلاح والجنة، توافيكم الدعوة فلا تجيئون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنخبة التى انتخبت، والخيرة التى اختيرت لنا أهل البيت، قاتلتكم العرب، وتحملتكم الكد والتعب، وناطحتكم الأمم، وكافحتكم البهيم، لا- نبرح أو تبرحون، نأمركم فتأتمرون، حتى إذا دارت بنا رحي الإسلام، ودر حلب الأيام، وخضعت ثغرة الشرك، وسكنت فورة الإفك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين.

فأنى حزتم بعد البيان، وأسررتهم بعد الإعلان، ونكصتكم بعد الإقدام، وأشركتم بعد الإيمان، بؤسا لقوم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم، وهموا بإخراج الرسول، وهم بدءوكم أول مرة، أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه، إن كنتم مؤمنين.

ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض، وخلوتم بالدعة، ونجوتهم بالضيق من السعة، فمجبجتم ما وعيتهم، ودسعتهم الذى تسوغتكم، فإن تكفروا أنتم ومن فى الأرض جميعاً، فإن الله لغنى حميد.

ألا وقد قلت ما قلت هذا، على معرفة منى بالجدلة التى خامرتكم، والغدرة التى استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضنة النفس، ونفثة الغيظ، وخور القناة، وبثة الصدر، وتقدمة الحجة، فدونكموها فاحتقبوها دبرة الظهر، نقبة الخف، باقية العار، موسومة بغضب الجبار، وشنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة، التى تطلع على الأفئدة.

فبعين الله ما تفعلون، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون، وأنا ابنة نذير لكم، بين

يدى عذاب شديد، فاعملوا إنا عاملون، وانتظروا إنا منتظرون.

فأجابها أبو بكر عبد الله بن عثمان وقال: يا بنت رسول الله لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفا كريما، رءوفا رحيفا، وعلى الكافرين عذابا أليما، وعقابا عظيما، إن عزوانه وجدناه أباك دون النساء، وأخا إلفك دون الأخلاء، آثره على كل حميم، وساعده في كل أمر جسيم، لا يحبكم إلا سعيد، ولا يبغضكم إلا شقى بعيد، فأنتم عترة رسول الله الطيبون، الخيرة المنتجبون، على الخير أدلتنا، وإلى الجنة مسالكنا، وأنت يا خيرة النساء، وابنة خير الأنبياء، صادقة في قولك، سابقة في وفور عقلك، غير مردودة عن حقك، ولا مصدودة عن صدقك، والله ما عدوت رأى رسول الله، ولا عملت إلا بإذنه، والراند لا يكذب أهله، وإني أشهد الله وكفى به شهيدا، أنى سمعت رسول الله يقول: نحن معشر الأنبياء لا نورث ذهبا ولا فضة، ولا دارا ولا عقارا، وإنما نورث الكتاب والحكمة والعلم والنبوة، وما كان لنا من طعمة فلولى الأمر بعدنا، أن يحكم فيه بحكمه، وقد جعلنا ما حاولته في الكراع والسلاح، يقاتل بها المسلمون، ويجاهدون الكفار، ويجالدون المردة الفجار، وذلك ياجماع من المسلمين، لم أنفرد به وحدى، ولم أستبد بما كان رأى عندى، وهذه حالى ومالى، هى لك وبين يديك، لا تزوى عنك، ولا ندخر دونك، وإنك وأنت سيدة أمة أيبك، والشجرة الطيبة لبنيك، لا ندفع ما لك من فضلك، ولا يوضع فى فرعك وأصلك، حكمك نافذ فيما ملكت يداى، فهل ترين أن أخالف فى ذاك أباك.

فقالت: سبحان الله ما كان أبى رسول الله عن كتاب الله صادفا، ولا لأحكامه مخالفا، بل كان يتبع أثره، ويقفو سوره، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالا عليه بالزور، وهذا بعد وفاته شبيه بما بغى له من الغوائل فى حياته، هذا كتاب الله حكما عدلا، وناطقا فصلا، يقول: «بِرِثْنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ» ويقول: «وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ»، وبين عز وجل فيما وزع من الأقساط، وشرع من الفرائض والميراث، وأباح من حظ الذكران والإناث، ما أزاح به علة المبطلين، وأزال التظنى والشبهات فى الغابرين، كلا بل سولت لكم أنفسكم أمرا، فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون.

فقال أبو بكر: صدق الله ورسوله، وصدقت ابنته، إنت معدن الحكمة، وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين، وعين الحججة، لا أبعد صوابك، ولا أنكر خطابك، هؤلاء المسلمون بينى

وبينك، قلدوني ما تقلدت، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت، غير مكابر، ولا مستبد، ولا مستأثر، وهم بذلك شهود.

فالتفت فاطمة إلى الناس وقالت: معاشر المسلمين المسرعة إلى قيل الباطل، المغضية على الفعل القبيح الخاسر، أفلا تتدبرون القرآن، أم على قلوب أفعالها، كلا بل ران على قلوبكم ما أسأت من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبس ما تأولتم، وساء ما به أشرتكم، وشر ما منه اغتصبتكم، لتجدن والله محمله ثقيلًا، وغبه وبيلا، إذا كشف لكم الغطاء، وبان بإورائه الضراء، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحسبون، وخسر هنالك المبطلون، ثم عطفت على قبر النبي وقالت:

قد كان بعدك أنباء وهنبئة

لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها

واختل قومك فاشهدهم ولا تغب

وكل أهل له قربي ومنزلة

عند الإله على الأدين مقرب

أبدت رجال لنا نجوى صدورهم

لما مضيت وحالت دونك الترب

تجهمتنا رجال واستخف بنا

لما فقدت وكل الأرض مغتصب

وكنت بدرا ونورا يستضاء به

عليك ينزل من ذى العزة الكتب

وكان جبرئيل بالآيات يؤنسنا

فقد فقدت وكل الخير محتجب

فليت قبلك كان الموت صادفنا

لما مضيت وحالت دونك الكتب

ثم انكفأت وأمير المؤمنين يتوقع رجوعها إليه، ويتطلع طلوعها عليه، فلما استقرت بها الدار قالت لأمر المؤمنين : يا ابن أبي طالب اشتملت

شملة الجنين، وقعدت حجرة الظنين، نقضت قادمة الأجدل، فخانك ريش الأعزل، هذا ابن أبي قحافة يبتزني نحلة أبي، وبلعة ابني، لقد أجهد في خصامي، وألفيته ألد في كلامي، حتى حبستني قبلة نصرها، والمهاجرة وصلها، وغضت الجماعة دوني طرفها، فلا دافع ولا مانع، خرجت كاظمة، وعدت راغمة، أضرعت خدك يوم أضعت خدك، افترست الذئب وافترشت التراب، ما كفت قائلا، ولا أغنيت طائلا، ولا خيار لي، ليتني مت قبل هنيئتي، ودون ذلتي، عذيري الله، منه عاديا، ومنك حاميا، ويلاي في كل شارق، ويلاي في كل غارب، مات العمد، ووهن العضد، شكواي إلى أبي، وعدواي إلى ربي، اللهم إنك أشد منهم قوة وحولا، وأشد بأسا وتكيفا.

فقال أمير المؤمنين : لا ويل لك، بل الويل لشانك، ثم نهني عن وجدك يا ابنة الصفوة، وبقية النبوة، فما نيتُ عن ديني، ولا أخطأتُ مقدوري، فإن كنت تريدن البلغة، فرزقك مضمون، وكفيلك مأمون، وما أعد لك أفضل مما قطع عنك، فاحتسبي الله.

فقال: حسبى الله وأمسكت.

ص:17

روى عبد الله بن الحسن، بإسناده عن آبائه (عليهم السلام)

بسم الله الرحمن الرحيم

استحباب الرواية ووجوبها

مسألة: يستحب مطلق الرواية: العقائدية، أو الفقهية، أو الأخلاقية، أو الآدبية، أو التاريخية، أو غيرها.

وقد تجب لوجوب حفظ آثار النبوة والإمامة وإن كانت في المستحبات أو المكروهات أو المباحات، في الجملة.

فإن المعصومين عليهم السلام كانوا يحرضون أصحابهم على الرواية ونشر العلم والثقافة (1)، كما كانوا يتصدون بنحو واسع لذلك، وهذه الرواية من أهم مصاديقه.

وقد أشرنا إلى قسم من هذا المبحث في المجلد الأول من هذا الكتاب (2).

رواية هذه الخطبة

مسألة: تستحب رواية هذه الخطبة بصورة خاصة، حيث رواها العديد من المعصومين (عليهم الصلاة والسلام). (3)

ومن الممكن أن تكون الرواية لهذه الخطبة - أحياناً - واجبة، لما ذكرناه سابقاً (4) ولدخولها تحت عناوين أخرى عديدة (5) تقتضى الوجوب أو الاستحباب.

ص: 18

1- راجع كتاب (منية المرید) للشهيد الثاني قدس سره.

2- راجع موسوعة الفقه (من فقه الزهراء عليها السلام) ج 1 ص 54.

3- فقد رواها الإمام الحسن والإمام الحسين والإمام السجاد والإمام الباقر (عليهم صلوات الله وسلامه)، راجع عوالم العلوم والمعارف والأحوال ج 11 ص 478 مجلد سيده النساء فاطمة الزهراء عليها السلام ومستدركاتهما، تحقيق ونشر مؤسسة الإمام المهدي (عج).

4- في المقدمة بإيجاز وفي المجلد الأول بتفصيل.

5- كالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإحقاق الحق، وإبطال الباطل، وشمول أمثال: « ولينذروا قومهم .. » « التوبة: 22 » لها، وهكذا.

وهذه الخطبة متلقاة بالقبول، وقد كان الأئمة الأطهار (عليهم السلام) والأعلام من الأخيار يتعاهدون هذه الخطبة، ويتواصون بها، ويعلمونها أولادهم جيلاً بعد جيل. (1)

فهي مقبولة سنداً لتلقى الأصحاب والعلماء عصرًا بعد عصر لها بالقبول، وهو دليل الاعتبار عقلاً، وشهرتها الروائية كبيرة جداً (2).

ص: 19

1- فمثلاً: ذكر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج 16 ص 252 الطبعة الثانية 1967م: (...فقال لي «أى زيد بن علي بن الحسين»: رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونه «أى كلام فاطمة عليها السلام عند منع أبي بكر إياها فدك» عن آبائهم، ويعلمونه أولادهم... وقد حدثني به أبي، عن جدي يبلغ به فاطمة عليها السلام على هذه الحكاية، وقد رواه مشايخ الشيعة وتدارسوه... انتهى.

2- قال العلامة المجلسي (قدس سره) في البحار: (اعلم أن هذه الخطبة من الخطب المشهورة التي روتها الخاصة والعامة بأسانيد متظافرة.. «عن الرحمانى: 381»). وقال العلامة الإربلي: (وقد أوردها المؤلف والمخالف...) «كشف الغمة ج 1 ص 479». ومن الواضح ان عبارته (قده) وعبارة العلامة المجلسي (قده) وعبارة المرتضى (قده) اللاحقة لا تنقل إطلاقاً في الحجية العقلانية عن نقل ثقة عن ثقة. وقد سبق بعض كلام ابن أبي الحديد عن زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام، كما قد نقل عن السيد المرتضى (قدس سره) قوله: (وقد روى هذا الكلام على هذا الوجه من طرق مختلفة ووجوه كثيرة، فمن أرادها أخذها من مواضعها). وقال العلامة شرف الدين (قدس سره): السلف من بنى على وفاطمة يروى خطبتها في ذلك اليوم لمن بعده، ومن بعده رواها لمن بعده حتى انتهت إلينا يداً عن يد، فنحن الفاطميون نرويها عن آبائنا، وآبائنا يروونها عن آبائهم، وهكذا كان الحال في جميع الأجيال إلى زمن الأئمة من أبناء علي وفاطمة.. «النص والاجتهاد، المورد 7 هامش ص 106-107»). وقد رواها المسعودي وابن طيفور في (بلاغات النساء) وغيرهم. وفي (عوالم العلوم ومستدركاتة) مجلد فاطمة الزهراء عليها السلام ج 2 ص 698-700: «قال المجلسي ره»: ثم اعلم أن هذه الخطبة من الخطب المشهورة التي روتها الخاصة والعامة بأسانيد متظافرة: قال عبد الحميد ابن أبي الحديد في شرح كتابه عليه السلام إلى عثمان بن حنيف عند ذكر الأخبار الواردة في فدك حيث قال: الفصل الأول فيما ورد من الأخبار والسير المنقولة من أفواه أهل الحديث وكتبهم، لا من كتب الشيعة ورجالهم، وجميع ما نورده في هذا الفصل من كتاب أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في (السقيفة وفدك)، وأبو بكر الجوهري هذا عالم محدث كثير الأدب، ثقة ورع، أثنى عليه المحدثون، ورووا عنه مصنفاته وغير مصنفاته، ثم قال: قال أبو بكر: حدثني محمد بن زكريا، عن جعفر بن محمد بن عمارة، عن أبيه، عن الحسن بن صالح، قال: حدثني ابن خالات من بنى هاشم، عن زينب بنت علي ابن أبي طالب عليه السلام، قال: وقال جعفر بن محمد بن عمارة: حدثني أبي، عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه عليه السلام. قال أبو بكر: وحدثني عثمان بن عمران العجيفي، عن نائل بن نجيح، عن عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام. قال أبو بكر: وحدثني أحمد بن محمد بن زيد، عن عبد الله ابن محمد بن سليمان، عن أبيه، عن عبد الله بن الحسن، قالوا جميعاً: لما بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فدكاً لآثت خمارها وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها تطأ ذبولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حتى دخلت على أبي بكر وقد حشد الناس من المهاجرين والأنصار، فضربت بينهم وبينها ربطة بيضاء، وقال بعضهم: قبطية، وقالوا: قبطية - بالكسر والضم - ثم أنت أنة، أجهش لها القوم بالبكاء، ثم أمهلت طويلاً، حتى سكنوا من فورهم، ثم قالت: أبتدأ بحمد من هو أولى بالحمد والطول والمجد، الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر بما ألهم. وذكر خطبة طويلة جداً، قالت في آخرها: فاتقوا الله حق تقاته وأطيعوه فيما أمركم به - إلى آخر الخطبة - انتهى كلام ابن أبي الحديد. وقد أورد الخطبة على بن عيسى الإربلي في كتاب (كشف الغمة) قال: نقلتها من كتاب (السقيفة) تأليف أحمد بن عبد العزيز الجوهري، من نسخة قديمة مقروءة على مؤلفها المذكور قرأت عليه في ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة: روى عن رجاله من عدة طرق: أن فاطمة عليها السلام لما بلغها

إجماع أبي بكر، إلى آخر الخطبة. وقد أشار إليها المسعودي في (مروج الذهب). وقال السيد المرتضى (رض) في (الشافى): أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عمران المرزبانى، عن محمد بن محمد الكاتب، عن أحمد بن عبيد الله النحوى، عن الزيدى، عن شرفى بن قطامى، عن محمد بن إسحاق، عن صالح بن كيسان، عن عروة، عن عائشة. قال المرزبانى: وحدثنى أحمد بن محمد المكى، عن محمد بن القاسم اليمانى، عن قال: حدثنا ابن عائشة، قالوا: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أقبلت فاطمة عليها السلام فى لمة من حفدتها إلى أبى بكر. وفى الرواية الأولى: قالت عائشة: لما سمعت فاطمة عليها السلام إجماع أبى بكر على منعها فداً لثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت فى لمة من حفدتها، ثم اتقت الروايتان من هاهنا ونساء قومها، وساق الحديث نحو ما مر إلى قوله: افتتحت كلامها بالحمد لله عز وجل والثناء عليه، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قالت: لقد جاءكم رسول من أنفسكم، إلى آخرها. أقول: وسيأتى أسانيد أخرى سنوردها من كتاب أحمد بن أبى طاهر. وروى الصدوق (ره) بعض فقراتها المتعلقة بالعلل فى الشرائع: عن ابن المتوكل، عن السعد أبادى، عن البرقى، عن إسماعيل بن مهران، عن أحمد بن محمد بن جابر، عن زينب بنت على عليها السلام. قال: وأخبرنا على بن حاتم، عن محمد بن أسلم، عن عبد الجليل البقائى، عن الحسن بن موسى الخشاب، عن عبد الله بن محمد المعاوى، عن رجال من أهل بيته، عن زينب بنت على (عليه السلام)، عن فاطمة عليها السلام (بمثله). وأخبرنى على بن حاتم، عن ابن أبى عمير، عن محمد بن عمار، عن محمد بن إبراهيم المصرى، عن هارون بن يحيى، عن عبيد الله بن موسى العيسى، عن حفص الأحمر، عن زيد بن على، عن عمته زينب بنت على، عن فاطمة عليها السلام. وزاد بعضهم على بعض فى اللفظ. أقول: قد أوردت ما رواه فى المجلد الثالث، وإنما أوردت الأسانيد هنا ليعلم أنه روى هذه الخطبة بأسانيد جملة. روى الشيخ المفيد الأبيات المذكورة فيها بالسند المذكور فى أوائل الباب. وروى السيد ابن طاووس (رض) فى كتاب (الطرائف): موضع الشكوى والاحتجاج من هذه الخطبة، عن الشيخ أسعد بن شفرو، فى كتاب (الفاثق) عن الشيخ المعظم عندهم الحافظ الثقة بينهم: أحمد بن موسى بن مردويه الإصفهانى فى كتاب (المناقب)، قال: أخبرنا إسحاق بن عبد الله بن إبراهيم، عن شرفى بن قطامى، عن صالح بن كيسان، عن الزهرى، عن عروة، عن عائشة. ورواها الشيخ أحمد بن أبى طالب الطبرسى فى كتاب (الاحتجاج): مرسلاً. كما ذكرنا عنه وذكر بعض فقراتها فى (مكارم الأخلاق). انتهى.

إضافة إلى القرائن المقالية والمقامية الكثيرة الشاهدة لها: كتنقل المخالفين لها مع توفر الدواعى على عدم النقل. وكقوة المضمون فى الكثير من مقاطعها بل فى كلها. وكتطابق مضمونها مع الأصول والقواعد(1).

رواية النساء

ص:21

1- قد سبق فى المجلد الأول: الحديث عن الجهة السندية للكثير من كلماتها (عليها الصلاة والسلام) فليراجع، ومن الواضح أن مجموع ما سبق يوجب اعتباراً عقلائياً أقوى بكثير من الوثيقة الحاصلة من (خبر الواحد).

مسألة: يستحب الرواية للنساء، كما يستحب الرواية للرجال، للإطلاقات، ولأن هذه الخطبة روتها - فى جملة روايتها - السيدة زينب (صلوات الله عليها) وقد نقلها عنها المعصوم (عليه السلام) (1) إضافة إلى كون أقوالها (2) وأفعالها (عليها السلام) حجة على ما بيناه فى الجملة.

وهذا المورد من باب المصدق، وإن كانت له مزية، إلا أنها غير حاصرة،

لكونه صغرى لكبرى كلية، وقد سبق البحث عن ذلك فى الفصل الأول من الكتاب (3).

تحمل المميز

مسألة: يستفاد من هذه الرواية أيضاً، صحة تحمل المميز للرواية (4) وجواز الاعتماد عليه إذا رواها بعد البلوغ.

لأن السيدة زينب (عليها الصلاة والسلام) كان عمرها - حين الخطبة - دون البلوغ، إذ أن بعض أسناد الخطبة ينتهى إليها (صلوات الله عليها) (5) وإن كان لا يقاس بهم عليهم السلام أحد، فإنهم عليهم السلام قد زقوا العلم زقاً (6) وقال الإمام السجاد (عليه السلام) لها (عليها السلام): (وأنت - بحمد الله - عالمة غير معلمة وفهمة غير مفهمة) (7) لكنهم عليهم السلام أسوة، وذلك هو الأصل.

ص: 22

1- وقد روى هذه الخطبة أيضاً الإمام الحسن والإمام الحسين والإمام الباقر والإمام الصادق وغيرهم عليهم السلام وكذلك روتها عائشة أيضاً «شرح نهج البلاغة ج 16 ص 249، والعوالم ج 11 ص 478».

2- أى السيدة زينب عليها السلام.

3- المجلد الأول من كتاب (من فقه الزهراء عليها السلام).

4- (وقت التحمل) - حسب اصطلاح علماء الدراية -: هو وقت سماع الإنسان للرواية أو مشاهدته للحدث، و(وقت الرواية): هو وقت نقله لما سمعه أو رآه سابقاً.

5- راجع عوالم العلوم ومستدركاتهما، مجلد فاطمة الزهراء عليها السلام ج 2 ص 700.

6- بحار الأنوار: ج 45 ص 138 ب 39 ح 1. وفى الامالى للشيخ الصدوق ص 341 المجلس 55: عن على (عليه السلام): (سلونى قبل ان تفقدونى.. هذا ما زقنى رسول الله زقاً).

7- بحار الأنوار: ج 45 ص 164 ب 39 ح 7. والاحتجاج ص 305 فى خطبة زينب بنت على بن ابى طالب بحضرة أهل الكوفة، وفيه: (فقال على بن الحسين (عليه السلام): يا عمة.. انت بحمد الله عالمة غير معلمة فهمة غير مفهمة).

فكونهم عليهم السلام لا يقاس بهم أحد، يراد به: جانب الفضائل لا في جانب الاشتراك في التكاليف والأحكام - بنحو الأصل - فتأمل.

ومنه يعلم: حجية قول البالغ إذا حكى عما قبل البلوغ.

أما لو روى وهو مميز فلا يبعد القول بالحجية أيضا (1)، لبناء العقلاء على ذلك، وللسيرة، ولغير ذلك.

أما في أمثال عكسه فلا، كما إذا سمع أو رأى في حال العقل ثم جن أو ما أشبه ذلك.

انه لما أجمع ابوبكر وعمر على منع فاطمة عليها السلام فذك

الدفاع عن الولاية

مسألة: يستحب، بل يجب - حسب اختلاف الموارد - الاهتمام بما يرتبط بولاية أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة المعصومين (عليهم السلام)، والذب عن حريمهم، فقد ورد انه: (بنى الإسلام على خمس دعائم: على الصلاة والزكاة والصوم والحج وولاية أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهم السلام) (2).

ولذلك قامت السيدة الزهراء (صلوات الله عليها) بتلك الأعمال الجليلة واتخذت تلك المواقف العسيرة والمصيرية في الدفاع عن الإمام (عليه السلام)، حتى استشهدت في سبيل ذلك.

وهذا الأمر مما يلاحظ في مراتبه: الأهم والمهم، فإن كان الأمر أهم جاز حتى الاستشهاد، وقد يجب أحياناً، كما لو توقف عليه حفظ بيضة الإسلام وكما في التصدي للبدع وما أشبه ذلك (3).

وإن كان بقاء الإنسان أهم بما هو هو، أو من حيث الآثار الأخرى التي ستترتب على وجوده، لم يجز إلى هذا الحد.

وكذلك حال ما دون الاستشهاد كالجرح والضرب وما أشبه، حسب ما تقتضيه القواعد

ص: 23

1- في الجملة.

2- الأمل للشيخ الصدوق ص 268 المجلس 45 ح 14.

3- راجع موسوعة الفقه ج 47-48 كتاب الجهاد.

العامّة، وعلى ما يقتضيه باب التزاحم(1).

وتشخيص ذلك عائد إلى الفقيه، أو مرجع التقليد، أو شورى المراجع، أو إلى الفرد نفسه أحياناً، حسب اختلاف الموارد (2) على ما فصلناه في بعض الكتب(3).

الجهر بالحق

مسألة: يلزم بيان ان فدك كانت ملكاً للزهراء (صلوات الله عليها)، كما يجب الاعتقاد بذلك، على ما يستفاد من مطاوى الخطبة، ومن شدة اهتمام الزهراء (عليها السلام) بذلك، ولغير ذلك من الأدلة الكثيرة المذكورة في محالها، حيث أعطاه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في حياته بأمر من الله سبحانه، كما ورد في متواتر الروايات(4) وفي تفسير قوله تبارك وتعالى: ((وآت ذى القربى حقه))(5).

فقد روى عن الامام الصادق (عليه السلام): (لما نزلت هذه الآية، وآت ذى القربى حقه، اعطى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاطمة فدك، فقال أبان بن تغلب: رسول الله أعطاه، فغضب جعفر (عليه السلام) ثم قال: الله أعطاها). (6)

وعن أبي سعيد الخدرى قال: (لما نزلت ((وآت ذى القربى حقه)) قال: دعى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاطمة فأعطاه فدك). (7)

الاجتماع على الباطل

مسألة: يحرم الاجتماع على الباطل بصورة عامة، ويحرم - من باب المقدمة - كل ما يعد

ص: 24

1- راجع موسوعة الفقه ج 48 كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

2- مثلاً كونه موضوعاً صرفاً دون مضاعفات خارجية، أو مستتباً، أو فى الشؤون العامة، وهكذا.

3- وقد تطرق الإمام المؤلف دام ظله لجوانب من هذا البحث فى كتابه (الشورى فى الإسلام) وإلى جوانب منه فى (الفقه: السياسة) و(الفقه: الدولة الإسلامية) وكتاب (البيع) وغيرها.

4- راجع عوالم العلوم ج 11 ص 433 ب 10 ح 1 ط 2، وراجع كتاب (ولأول مرة فى تاريخ العالم) ج 2 ص 39-40.

5- الإسراء: 26. وفى سورة الروم الآية 38: (فآت ذى القربى حقه).

6- تفسير فرات الكوفى ص 239 ح 322.

7- تفسير فرات الكوفى ص 240 ح 323.

لذلك، ويحرم حتى تكثير السواد لجبهة الباطل.(1)

إيذاء أهل البيت عليهم السلام

مسألة: يحرم إيذاء أهل البيت عليهم السلام ومنعهم من حقوقهم، ويحرم التمهيد لذلك، ومن الواضح أن درجة الحرمة تختلف شدة وضعفاً باختلاف المتعلق، فإيذاء حجة الله على الأرض أشد حرمة وعقوبة من إيذاء غيره دون إشكال، ولذلك ورد عنه (صلى الله عليه وآله وسلم):

(فاطمة بضعة منى وأنا منها، فمن آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله)(2).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (اللهم ان هؤلاء أهل بيتي وخاصتي وحامتي لحمهم لحمي ودمهم دمي يؤلمني ما يؤلمهم ويحزنني ما يحزنهم...)(3).

وقال تعالى: ((الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً))(4).

حرمة الغصب ومصادرة الأموال

حرمة الغصب ومصادرة الأموال(5)

مسألة: يحرم الغصب ومصادرة الأموال والأراضى والعقارات والمزارع وغيرها، قال تعالى: ((ولاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل))(6).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من اخذ أرضاً بغير حق كلف ان يحمل

ص: 25

1- راجع (الفقه: المكاسب المحرمة) و(الفقه: الواجبات والمحرمات).

2- علل الشرائع ج 1 ص 185 ب 149 ح 2 باب العلة التي من أجلها دفنت فاطمة عليها السلام بالليل ولم تدفن بالنهار. وبحار الانوار ج 43 ص 202 ب 7 ح 31 وفى تنمة الحديث: (ومن آذاها بعد موتى كان كمن آذاها فى حياتى).

3- حديث الكساء، راجع المجلد الأول من كتاب (من فقه الزهراء عليها السلام).

4- الأحزاب: 57.

5- حول هذا المبحث راجع: (الفقه: الغصب) و(الفقه: الاقتصاد) و(الفقه: الحقوق) و(الفقه: الدولة الإسلامية) للإمام المؤلف.

6- البقرة: 184.

تراها الى المحشر(1).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من خان جاره شبراً من الأرض جعله الله في عنقه من تخوم الأرضين السابعة حتى يلقي الله يوم القيامة مطوقاً الا ان يتوب ويرجع). (2)

ولا فرق في الغاصب بين الدولة والأفراد، سواء كانت لهم هيئة اجتماعية بأن كانوا بصورة تجمع، كالحزب والمنظمة والهيئة والجماعة، أم لا، ككل فرد فرد.

ومن غير فرق بين أن يكون الغاصب أو المغصوب منه رجلاً أو امرأة، كبيراً أو صغيراً.

وإن كانت الحرمة في الدولة والجماعة، أشد، لتأزهم وتعاونهم على الباطل، قال تعالى: ((ولا تعاونوا على الإثم والعدوان)) (3) ولعدم القدرة على استردادها - عادة - إلا بصعوبة، حيث إن التجمع يوجب قوة في جانب الغاصب، ولأن الدولة والجماعة يقتدى بها بما لا يقتدى بالفرد، فهي - عادة - من أظهر مصاديق (من سن سنة سيئة...). (4)

وكذلك حال اغتصاب الحق.

الاهتمام بقضية فذك

مسألة: يستحب وقد يجب - كل في مورده - الاهتمام بقضية فذك، لإرجاعها إلى أيدي أصحابها وإعمارها ومزيد الاهتمام بها، فإنها معلم من معالم الدين وشعيرة من الشعائر، قال تعالى: ((ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب)) (5)

ولما يترتب عليه من الآثار والنتائج العظيمة، المادية والمعنوية، ومن المعلوم أن الفوائد

ص: 26

1- غوالي اللئالي ج 3 ص 474 باب الغصب ح 6.

2- الأمالى للشيخ الصدوق ص 427 المجلس 66 ح 1.

3- المائدة: 2.

4- مكارم الاخلاق ص 454 وفيه: (فان العبد اذا سن سنة سيئة لحقه وزرها ووزر من عمل بها) والاختصاص: ص 251 وفيه: (من استن بسنة سيئة). وفي بحار الانوار ج 71 ص 204 ب 14 ح 41 بيان: عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (من سن سنة حسنة كان له اجرها واجر من عمل بها) وقال صلى الله عليه وآله وسلم في ضده: (من سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها).

5- الحج: 32.

المعنوية منها أهم من الفوائد المادية. كما احتج امير المؤمنين (عليه السلام)

لاثبات ان فدك ملك الزهراء عليها السلام(1)، وكما طالب الامام الكاظم (عليه السلام) بفدك(2).

هذا ويستفاد من بعض الروايات ان الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها الصلاة والسلام) تشكو لأبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) في يوم القيامة أمر فدك . (3)

وبلغها ذلك

المطالبة بالحق وفضح الطغاة

المطالبة بالحق وفضح الطغاة(4)

مسألتان:

1: من الضروري فضح سياسة السلطات الجائرة ورجالها وتربية الناس على ذلك، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر). (5)

2: يجوز - بالمعنى الأعم - المطالبة بالحق، فيشمل المستحب والواجب أيضاً، كل في مورده، ولو كان الحق مادياً ودينياً.

ولا يخفى إن فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) كانت تهدف من موقفها وخطبتها - بالدرجة الأولى - هدفين، هما أهم من الجانب المادى:

أحدهما: كشف القناع عن الحقيقة، وإثبات أن الحق في أمر الخلافة مع على (عليه الصلاة والسلام) عبر الاستدلال والمطالبة بحقه (عليه السلام).

ص: 27

1- راجع العوالم ومستدركاته، مجلد فاطمة الزهراء عليها السلام ج2 ص751 باب احتجاج امير المؤمنين بالكتاب والسنة لاحقاق حق الزهراء عليها السلام.

2- راجع العوالم ومستدركاته، مجلد فاطمة الزهراء عليها السلام ج2 ص772.

3- راجع العوالم ومستدركاته، مجلد فاطمة الزهراء عليها السلام ج2 ص749.

4- حول جوانب هذا المبحث والبحوث اللاحقة راجع كتاب: (ممارسة التغيير لإنهاض المسلمين) و(الصياغة الجديدة لعالم الإيمان والحرية والرفاه والسلام) و(السيبل إلى إنهاض المسلمين) و(الفقه: طريق النجاة) و(الفقه: الاجتماع) و(الفقه: الواجبات والمحرمات) للإمام المؤلف.

5- غوالي اللثالي ج1 ص432 المسلك الثالث ح131.

ثانيهما: نتائج معنوية وتاريخية عبر فضح الغاصبين إلى يوم القيامة، ورسم المقياس لمعرفة الحق عن الباطل، وتربية الأمة على التصدي للجهور، وعدم السكوت عن الحق، والتضحية بكل غال ونفيس في سبيل ذلك.

وقد حققت (عليها السلام) كلا الهدفين، بالإضافة إلى تحقق الجانب المادي بعد حين، كما يدل على ذلك رد جماعة من الحكام فدك وإن اغتصبها جماعة آخرون.⁽¹⁾

وقد كشفت (عليها السلام) القناع عن وجه الحقيقة، وأثبتت أن الحق لعلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، وفضحت الغاصبين، ورسمت ميزان الحقيقة للأجيال، وأعطت خير نموذج للتصدي للجهور والظلم.

وإضافة إلى ذلك، فقد كان لدفاعها عن حق الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أثر في عمق التاريخ، حيث أن جماعة من ذرية علي (عليه الصلاة والسلام) وشيعته وصلوا إلى الحكم طول التاريخ الإسلامي، وإلى يومنا هذا، في قضايا مفصلة، مذكورة في التواريخ.⁽²⁾

الانتصار للحق

مسألة: يستحب نصره الحق والانتصار له، إذا أمكن.

وإنما يستحب الانتصار له إذا كان الأمر مستحبا، وإلا وجب، وفي الدعاء: (ووقفنا لـ .. نصره الحق واعزازه)⁽³⁾ وقال علي (عليه السلام) : (لو لم تتخاذلوا عن نصره الحق لم تهنوا عن توهين الباطل)⁽⁴⁾.

والظاهر أن فاطمة الزهراء (عليها الصلاة والسلام) كان عليها جانب الوجوب، لأن نصره علي أمير المؤمنين (عليه السلام) خاصة في المواطن الخطيرة من الواجبات المؤكدة، وقد قال

ص: 28

1- راجع بحار الانوار ج 22 ص 295 ب 7 ح 1. والبحار ج 46 ص 326 ب 8 ح 3. والبحار ج 75 ص 181 ب 22 ح 6.

2- راجع: (جهاد الشيعة)، (العراق بين الماضي والحاضر والمستقبل)، (الدول الشيعية في التاريخ) وغيرها.

3- الصحيفة السجادية ص 51 وكان من دعائه (عليه السلام) لنفسه ولأهل ولايته.

4- غرر الحكم ودرر الكلم ص 70 ح 983 الفصل الرابع عشر في الحق والباطل.

الرسول: (وانصر من نصره واخذل من خذله). (1).

هذا بالإضافة إلى أن استرجاع فدىك وفضح الذين غصبوها كان من أهم الواجبات. وكانت هي عليها السلام - لمكاتها من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين المسلمين - أقدر من غيرها على ذلك.

مطالبة المرأة بحقها

مسألة: يجوز للمرأة المطالبة بحقها، جوازاً بالمعنى الأعم الشامل للوجوب والاستحباب والإباحة، ولا فرق بين الرجل والمرأة، في هذا الباب.

قال على (عليه السلام): (طلب التعاون على إقامة الحق ديانة وأمانة) (2).

وفى الحديث: (ثلاث لا يستحيى منهن: .. وطلب الحق وإن قل) (3).

وقال (عليه السلام): (اخرس الناس من قدر على ان يقول الحق ولم يقل) (4).

ولها أن تحضر مجلس القضاء، وترفع الشكوى، إلى غير ذلك مما هو مذكور في أبواب الفقه، وإن لم ينفع ذلك فلها أن ترفع ظلامتها على رؤوس الأشهاد، كما قامت السيدة الزهراء (صلوات الله عليها) بذلك.

التصدى للطغاة مطلقاً

مسألة: يستحب - وقد يجب - المطالبة بالحق وإن كان يعلم بعدم نجاحه في التوصل للحق وإحقاقه.

وذلك لما فيه من فضح الظالم وأداء الواجب وإتمام الحجة، كما طالبت (صلوات الله عليها) بحقها وهي تعلم بأن القوم لا يعطونها حقها.

إضافة إلى أن إزعاج الظالم ومضايقته بالمطالبة بالحق والإلحاح عليه ولو ممن يعلم انه لا يعطيه حقه - وما أكثرهم - سوف يردعه عن كثير من ظلمه، فإن الظالم لو رأى أنه غصب

ص: 29

1- بحار الأنوار: ج 23 ص 145 ب 7 ح 103.

2- غرر الحكم ودرر الكلم ص 69 ح 977 الفصل الرابع عشر فى الحق والباطل.

3- غرر الحكم ودرر الكلم ص 69 ح 978 الفصل الرابع عشر فى الحق والباطل.

4- غرر الحكم ودرر الكلم ص 70 ح 985 الفصل الرابع عشر فى الحق والباطل.

حق زيد ثم عمرو ثم بكر... ولم يقيم أحد بشيء، تجراً على الغضب أكثر فأكثر، أما لو ضايقه بالمطالبة زيد وعمرو وبكر... فإنه سوف لا يقدم - عادة - على مراتب جديدة من الظلم، أو سيكون إقدامه أضعف كفيفاً وأقل كميّاً مما لو ترك على هواه.

فورية المطالبة بالحق

مسألة: يستحب المطالبة بالحق فوراً - وقد يجب - كما يستفاد ذلك من (وبلغها) و(لائت خمارها).

وإنما يلزم التعجيل، لأن ترك الظالم وظلمه بحاله لحظة واحدة حرام، فإذا تمكن الإنسان من مطالبة الحق والانتصار له وجب فوراً ففوراً، فان خير البر عاجله، قال تعالى: ((وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والارض اعدت للمتقين)) (1).

لائت

وجوب الستر على المرأة

وجوب الستر على المرأة (2)

مسألة: يجب على المرأة أن تستر رأسها وجسمها، ولذلك (لائت) (3) عليها السلام خمارها (4) واشتملت بجلبابها.

فإن أعمالها ومواقفها (صلوات الله عليها) كلها معلولة لأوامر الله سبحانه ونواهيه - بالمعنى الأعم - كما ثبت ذلك بقائم البرهان.

والفعل - فى أشباه المقام - دليل الرجحان، وخصوص المنع من النقيض يستفاد من القرائن

ص: 30

1- آل عمران: 133.

2- حول هذا المبحث والبحوث اللاحقة عن الحجاب والمرأة راجع: (الفقه: النكاح) و(الفقه: الصلاة ج 18 ص 63) و(الحجاب الدرع الواقى) للإمام المؤلف.

3- (اللوث): الطى، (ولاث الشيء لوثاً): أداره مرتين، كما تدار العمامة والإزار (لسان العرب مادة لوث).

4- (الخمار): ما تغطى به المرأة رأسها (لسان العرب مادة خمر)، و((ليضربن بخمرهن)) «النور: 31» أى مقانعهن، جمع خمار، وهى المقنعة (مجمع البحرين مادة خمر).

حرمة إظهار الزينة

مسألة: يحرم على المرأة أن تظهر زينتها للأجانب من الرجال.

وإنما أفردنا هذه المسألة، باعتبار إمكان الحجاب وإظهار الزينة (1) لعدم التلازم بين الأمرين، وقد قال سبحانه: ((ولا يبدین زینتهن)) (2).

والمراد ب-: ((ولا يبدین زینتهن)) (3) إما مواضع الزينة كالمعصم والساق وغيرها، أو الزينة وهي على تلك المواضع، والمآل واحد، وربما يعمم للملابس الزاهية التي تعد زينة عرفاً وشبهها. (4)

والظاهر ان المنصرف من الزينة في قوله سبحانه: ((ولا يبدین زینتهن)) (5) غير الشعر، فإن الشعر وإن كان زينة ويحرم إظهاره على المرأة، لكن المنصرف من الآية المباركة الزينة المتعارفة كالذهب ونحوه، فتأمل.

نعم لا بأس بالقول بان ملاك الآية المباركة موجود في الشعر أيضا، ومن الواضح ان لوث الخمار يوجب التحفظ الأكثر.

خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها

ص: 31

1- كما لو كانت ملابسها - التي بها تتحجب - جذابة زاهية، وكما لو زوقت وجهها بالاكتمال وغيره - بناء على عدم وجوب ستر الوجه - فهي حينئذ محجبة قد أظهرت الزينة.

2- النور: 31.

3- النور: 31.

4- وفي تفسير (تقريب القرآن الى الأذهان) للامام المؤلف ج 18 ص 96: (ولا يبدین) أى لا يظهرن عن عمد (زينتهن) المراد اما مواضع الزينة كالمعصم والاذن والرقبة والرجل، او الزينة نفسها، واذا صار اللفظ محتملا وجب الاجتناب عن الأمرين، تحصيلا للبرائة عما علم اجمالا تحريمه (الا ما ظهر منها) أى من الزينة، والذي أراه ظاهرا من الآية انه استثناء من الابداء، يعنى ان ما ظهر بغير اختيارهن ليس عليه بأس كما اذا هبت الريح فرفع العباءة وابدت الزينة.

5- النور: 31.

استحباب التخمر للمرأة

مسألة: ينبغى التخمر وشبهه للمرأة (1)، إذا أرادت الخروج من المنزل، وإن لبست عباءتها، تأسيماً، ولأنه أستر كما لا يخفى، وربما هبت الريح فانكشف الستر، بينما الخمار يكون أوثق في الستر وعدم الكشف.

قال سبحانه: ((وليضربن بخمرهن على جيوبهن)). (2).

وهذه الآية المباركة وإن لم تدل على مثل هذا الاستحباب (3) لكنها تدل على تعارف الخمار للنساء في زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بل وقبله أيضاً، وعن أبي جعفر (عليه السلام): (استقبل شاب من الأنصار امرأة بالمدينة وكان النساء يتقنعن خلف آذانهن...) (4).

شد الخمار على الرأس

مسألة: يرجح شد المرأة الخمار على رأسها، دون إطلاقه مسترسلاً، استظهاراً من كلمة: (لائت)، وذلك فيما لو كانت الثياب - مثلاً - ساترة للصدر والعنق، وهو من مصاديق الإيقان، قال (عليه السلام): (رحم الله إمرأً عمل عملاً فأتقنه) (5) وغيره.

ص: 32

1- إضافة إلى أصل الحجاب الواجب، بل قد ورد استحباب التخمر بالنسبة إلى المرأة الميتة عند تكفينها، ففي دعائم الإسلام ج 1 ص 232 في ذكر الحنوط والكفن عن جعفر بن محمد (عليه السلام) انه قال: (..وتخمر المرأة بخمار على رأسها).

2- النور: 31.

3- لأن المصعب ستر الجيب.

4- الكافي: ج 5 ص 521 ح 5. وفي تفسير (تقريب القرآن إلى الأذهان) ج 18 ص 96 عنه عليه السلام: (استقبل شاب من الأنصار امرأة بالمدينة، وكانت النساء يتقنعن خلف آذانهن، فنظر إليها وهي مقبلة، فلما جازت نظر إليها ودخل في زقاق قد سماه لبني فلان، فجعل ينظر خلفها، واعترض فشق وجهه عظم في الحائط، او زجاجة، فشق وجهه، فلما مضت المرأة نظر فإذا الدماء تسيل على ثوبه وصدره، فقال: والله لا تين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولأخبرنه، قال: فأتاه، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: ما هذا؟ فأخبره، فهبط جبرائيل بهذه الآية: (ولا يبدن زينتهن).

5- راجع الكافي: ج 3 ص 262 ح 45 وفيه: (إذا عمل أحدكم عملاً فليقن). ومثله في بحار الأنوار ج 22 ص 157 ب 1 ح 16. والبحار ج 22 ص 264 ب 5 ح 5. وفي الامالي للشيخ الصدوق ص 384 المجلس 61: (..ولكن الله يحب عبداً إذا عمل عملاً أحكمه).

ويجب فيما إذا كان إطلاقه مسترسلاً سبباً لكشف العنق أو جانباً من الصدر، قال تعالى: ((وليضربن بخمرهن على جيوبهن)) (1).

امتلاك الخمار

مسألة: ينبغي أن يكون للمرأة خمار أو شبهه، في منزلها، وهذا ما قد يستظهر من الضمير في (خمارها) بضميمة أدلة التأسي، إضافة إلى أنه أدعى للتقيد بالستر.

التخمر في المنزل

مسألة: ينبغي لبس الخمار في المنزل، ثم الخروج منه، فإنه أكثر سترًا للرأس، وإن أمكن لها أن تلوث خمارها في خارج المنزل في مكان لا رجال فيه أو بحيث لا يرونها.

والظاهر أنه لا فرق بين أن تلوث المرأة خمارها بنفسها، أو أن يفعل ذلك بعض محارمها أو بعض نسائها.

لكن استحباب أن يقوم الإنسان بنفسه بكافة أعماله دون إرجاعها للغير في صورة الإمكان، حسب المستفاد من الروايات (2) يفيد الأول.

ص: 33

1- النور: 31.

2- مثلاً: قوله صلى الله عليه وآله (ملعون من ألقى كله على الناس) «تحف العقول ص 37 باب وروى عنه صلى الله عليه وآله في قصار هذه المعاني. ونهج الفصاحة ص 567 ح 2742». والروايات التي تفيد أن من أسباب الدخول للجنة عدم الاتكال في الحاجات على الناس، وهناك روايات عديدة تدل على أنه (صلى الله عليه وآله) كان يقوم بأعماله بنفسه وكذلك الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وفاطمة الزهراء (عليها السلام) كخصف النعل وقم البيت والكنس وحلب العنز وغير ذلك. ففي الحديث: (انه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلف الناضج ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه ويطحن عنه اذا أعبى ويشترى من السوق ولا يمنعه الحياء ان يعلقه بيده او يجعله في طرف ثوبه فينقلب الى اهله..). بحار الانوار ج 70 ص 208 ب 130 ح 1 بيان. ومثله في الخرائج ص 886. كما ورد عنه صلى الله عليه وآله: (خمس لا أدعهن حتى الممات: .. وحلب العنز بيدي..). البحار ج 73 ص 66 ب 1 ح 1. وراجع أيضاً البحار ج 32 ص 76 ب 1 ح 50. والبحار ج 32 ص 113 ب 1 ح 90. والبحار ج 40 ص 328 ب 98 ح 10.

لث الخمار تحت الجلباب

مسألة: ربما يستفاد من التعبير عن فعلها عليها السلام ب- (لاثت خمارها واشتملت بجلبابها): أفضلية لث الخمار تحت الجلباب، كما هو المتعارف، لا فوّه وإن أمكن، إذ ذلك هو الأوثق في الستر.

وذلك نظراً لتعقب (لاثت) ب- (اشتملت) والواو يدل على الترتيب في كثير من المواضع، وقد ذكر الفقيه الهمداني (قدس سره) في قوله سبحانه وتعالى: ((فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم))⁽¹⁾: ان (الواو) دال عرفاً على الترتيب، وهذا غير بعيد، وإن قال الأدباء: بأن الواو للجمع مطلقاً، حتى قال ابن مالك:

واعطف بواو سابقاً أو لاحقاً في الحكم أو مصاحباً موافقاً

فإنه وإن صح ذلك وضعاً إلا أن الانصراف يفيد الترتيب.

وربما يقال بأن استفادة الترتيب في تلك الأماكن نتيجة القرائن المقامية، ولكن لا يبعد أن تكون الواو لو خليت وطبعها أفادته، فتأمل.

تغطية كل الجسد

تغطية كل الجسد⁽²⁾

مسألة: يستحب أن يكون الحجاب الظاهري للمرأة، مغطياً جميع بدنّها، كما قد يدل عليه: (اشتملت)، بل و(الجلباب) أيضاً، فلا تكتفى المرأة بالخمار عن تغطية الرأس ثانية بالعباءة ونحوها. و(الجلباب): هو الثوب الطويل الواسع الساتر لحجم البدن، ومن مصاديقه العباءة المتداولة في الحال الحاضر.

ويستظهر من الاقتصار على (... واشتملت بجلبابها) ان معنى الجلباب هو ما ذكر من الثوب الواسع المغطى لكل البدن، فلا يظهر من المرأة شيء من جسدها أو من حجمها.

لا ما قاله البعض: من أنه الخمار⁽³⁾. أو البعض: من أنه ثوب أوسع من الخمار دون الرداء تغطي به المرأة رأسها وصدرها، أو شبه ذلك⁽⁴⁾.

ص: 34

1- المائدة: 6.

2- راجع كتاب (الحجاب الدرعي الواقى) للإمام المؤلف دام ظله.

3- ويرد على هذا القول، إضافة للاقتصار، كونه مستلزماً للتكرار.

4- راجع لمعرفة الأقوال (لسان العرب) مادة (جلب) ومنها: وقيل: هو الملحفة.

وقد يكون ذلك واجباً، فإن الثوب الملاصق الضيق بحيث يظهر تقاطيع الجسد، محرم، خاصة ما أظهر بعض الأعضاء.

وإنما نقول بحرمة لأنه من المنكر عند المشرعة، فالارتكاز والذهنية الدينية التي تلقوها خلفاً عن سلف، تدل على تلقيهم ذلك من الشارع ومنعه عن مثله. (1).

وأقبلت

خروج المرأة من البيت

مسألة: يجوز - بالمعنى الأعم - خروج المرأة من البيت، سواء كانت متزوجة أم غير متزوجة، في الجملة.

نعم الفرق بين المتزوجة وغير المتزوجة: أن المتزوجة تستأذن زوجها في الخروج في غير الواجب منه، وغير المتزوجة تملك نفسها، فانه (صلى الله عليه وآله وسلم): (نهى ان تخرج المرأة من بيتها بغير إذن زوجها) (2).

وخروجها (عليها السلام) حيث (أقبلت) كان من مصاديق الخروج الواجب لكونه مقدمة الواجب كما أشرنا إليه.

ص: 35

1- فتأمل.

2- الأمالى للشيخ الصدوق ص 422 المجلس 66 ح 1. وفي مسائل على بن جعفر (عليه السلام) ص 179 ح 333: (وسألته عن المرأة ألها ان تخرج بغير إذن زوجها؟ قال عليه السلام: لا).

خروج المرأة مع غيرها

مسألة: ينبغي أن تخرج المرأة مع غيرها لا بمفردها - فى الجملة - فإنه أكثر سترًا وحفظًا وصونًا لها من المخاطر.

وكذلك إذا كان الخروج لأمر خطير، أو كانت هى من الشخصيات الاجتماعية، حيث ورد فى الرواية: (فى لمة).

وقد يستظهر أنها (عليها الصلاة والسلام) كانت تتوسط جمع النساء، لمكان (فى).

ثم إن هذا أقرب إلى الوقار المطلوب فى مثل هذا المقام، لأن الوقار فى مثله يملأ عيون الخصوم وأذهانهم بهالة من القوة، ولأن الجماعة توجب الهيبة أو زيادتها وسرعة قضاء الحاجة وتحقيق الهدف، إن أمكن ذلك، وستكون أتم للحجة وأقطع للعدر وأوقع فى النفس وأقوى فى تسجيل الموقف.

الخروج منفرداً أو مع جماعة

مسألة: ينقسم خروج كبير القوم - كالحاكم والأمير والعالم والقاضى - منفرداً أو مع مجموعة من الناس، إلى الأحكام الخمسة:

1: فقد يجب: إذا توقف إحقاق الحق عليه فى كلا الفرضين (1) وقد خرجت عليها السلام فى (لمة من حفدتها ونساء قومها) إذ كان ذلك أدعى للهيبة وأقوى فى التأثير.

2: وقد يستحب: إذا لم يكن الرجحان بحيث يمنع من النقيض، وبذلك وشبهه يعلل خروج الرسول (صلى الله عليه وآله) والإمام على (عليه السلام) وسائر المعصومين (عليهم السلام) أحياناً منفردين وأحياناً مع جمع من الأصحاب أو الناس.

3: وقد يكره: إذا كان الخروج مع جمع سبباً لإثارة الكبر والعجب والخيلاء فى النفس بما

ص: 36

1- إذ قد يتوقف قبول الخصم للحق على ذهاب القاضى أو العالم إليه منفرداً ونصحته، حيث ان الغرور أو الخوف من الشماتة وشبه ذلك كثيراً ما يدفع المرء لرفض الحق فيما إذا جوبه به أمام الناس، وقد يتوقف إحقاق الحق على ذهابه مع جمع فيما لو كان ممن لا تنفع معه إلا الرهبة والهيبة والضغط الاجتماعى مثلاً.

لا يصل إلى حد الحرام، وإذا كان الخروج منفرداً سبباً لاستصغار شأن العالم الديني مثلاً في بعض المناطق كذلك.

4: وقد يحرم: كما في عكس الصورة الأولى، وكما في خروج الحكام والطغاة مع جمع مما يسبب إرهاب الناس وأرباب الحوائج وذوى الحقوق فلا يعود بمقدورهم المطالبة والأخذ بحقوقهم.

5: والمباح: ما عدا ذلك.

من حفدتها ونساء قومها

الخروج مع المعارف

مسألة: ينبغي أن يخرج الإنسان بصورة عامة، والمرأة بصورة خاصة، في أسفاره وكذلك في مهامه الخطيرة وشبه ذلك، مع من يعرفه دون من لا يعرفه، كما يستفاد من خروجها عليها السلام مع (حفدتها ونساء قومها).

والفعل وإن لم يكن له جهة، إلا أن دلالة على جامع الرجحان في أمثال المقام غير بعيد، أسوة وملاكاً ولما سبق.

إضافة إلى اطلاقات الروايات الشريفة التي تفيد ذلك، مثل قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (الرفيق ثم الطريق) (1).

وما يقاربه، كقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (ألا أنبئكم بشر الناس، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من سافر وحده..) (2) الحديث.

ص: 37

-
- 1- المحاسن: ج 2 ص 357 ب 15 ح 61 باب الأصحاب، وعنه في بحار الانوار ج 73 ص 276 ب 49 ح 8. والبحار ج 13 ص 428 ح 23 ب 18. والاختصاص ص 336 باب بعض وصايا لقمان الحكيم لابنه، وفيه: (يا بنى الجار ثم الدار يا بنى الرفيق ثم الطريق).
- 2- من لا يحضره الفقيه ج 2 ص 276 ب 2 ح 2432.

الحجاب والسائر

مسألة: يحرم أن تخرج المرأة مكشوفة الساقين، ويكره أو يحرم أن تكون مكشوفة القدمين، وقد خرجت (صلوات الله وسلامه عليها) وهي (تطاً ذبولها) وهذه كناية عن أن الستر كان طويلاً جداً، وهو المطابق للاحتياط.

عباءة المرأة

مسألة: يستحب أن تكون عباءة المرأة بحيث تجر على الأرض، فإنه أستر لها، وهذا مما يستثنى مما ورد في كون الثوب قصيراً ليكون أنقى وأبقى، حيث يستحب ذلك في الرجل حيث قال (عليه السلام) عندما رأى رجلاً يجر ثوبه: (يا هذا قصر منه فإنه أنقى وأبقى وأنقى). (1)

الستر الفضاض

مسألة: يستحب أن يكون الستر فضفاضاً، لأنه أبعد عن الإثارة وأدعى للستر.

شدة التستر

مسألة: يستحب شدة التستر، كما يستفاد من (تطاً ذبولها) فإنه كناية عن شدة التستر.

ما تخرم مشيتها مشية رسول الله (ص)

التأسي بالرسول (ص) في كل شيء

مسألة: يستحب التأسي برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في كل الأمور حتى في كيفية المشي، وقد يجب التأسي - في موارد الوجوب -.

ولذا قال علي (عليه السلام): (فتأسي متأس بنبيه واقتص أثره وولج مولجه وإلا فلا يأمن

ص:38

1- دعوات الراوندى: ص 131 ح 326 فصل في فنون شتى من حالات العافية والشكر عليها. وفي (فقه القرآن) ج 1 ص 68: (ورأى على (عليه السلام) من يجر ذيله لطوله، فقال له: قصر منه فإنه اتقى وأنقى وأبقى).

أما قوله (عليه السلام) : (فلا يأمن الهلكة) - حيث يستظهر منه أن ذلك بالنسبة إلى الواجبات وترك المحرمات - فلا يتنافى مع الاستحباب المطلق حيث يفهم في سائر أعماله بالملاك، بالإضافة إلى الإطلاقات مثل قوله سبحانه: ((فبهدهم اقتده)). (2).

وقال علي (عليه السلام) : (أحب العباد الى الله تعالى المتأسي بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم) (3).

والصديقة الطاهرة (عليها السلام) كانت تمشى كمشي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فإن الولد سر أبيه (4).

وهل يدل ذلك على استحباب التكلف في الإقتداء بحركات العظماء من الصالحين؟.

احتمالان:

الأول: نعم، لأنه من التشبه ولو جزئياً، وهو من أسباب تقوية مكانة العظيم في الناس مما يسبب تجذر الخير فيهم وسوقهم نحوه أكثر فأكثر، وما إلى ذلك.

الثاني: العدم، بل الراوى يحكى أمراً طبيعياً من حركتها (عليها السلام).

ولا ينافى عدم دلالة هذه الجملة ههنا على ذلك، القول بالاستحباب، استناداً إلى الأدلة الأخرى، كما سبق، من اطلاقات أدلة التأسى، وكونه مقدمة لسوق الناس للخير، وغير ذلك.

المشى بسكينة ووقار

مسألة: يستحب المشى على وقار وسكينة، كما يدل على ذلك بعض الروايات (5) مثل

ص: 39

1- نهج البلاغة: الخطبة 160.

2- الأنعام: 90.

3- غرر الحكم ودرر الكلم ص 110 الفصل الثالث في التأسى ح 1949.

4- كشف الغمة ج 2 ص 65 فصل نذكر هنا أموراً وقعت بعد قتله (عليه السلام) .

5- ق د ورد في الروايات: (وتخرج بسكينة ووقار).. (ثم امض اليهم بسكينة ووقار).. (والخروج بسكينة ووقار).. (الخروج بسكينة خاشعاً).. (ومن دخل بسكينة) وما أشبهه، راجع الامان من أخطار الاسفار ص 104، والمقنعة ص 225، ومصباح الكفعمي ص 417، والمحاسن ص 14 و 67.

ما ورد من قوله (عليه السلام): (سرعة المشى تذهب ببهاء المؤمن)⁽¹⁾ وقال (عليه السلام): (المشى المستعجل يذهب ببهاء المؤمن ويطفئ نوره)⁽²⁾ إلا إذا كان في أمر يستحب الإسراع إليه، وهذا يكون من باب قانون الأهم والمهم.

ووطأ الذيل ينتج عن طوله مع سرعة المشى أو في صورة انشغال الذهن، ولعل الثاني ههنا أقرب وأظهر.

حتى دخلت

دخول المرأة للمسجد

مسألة: يجوز للمرأة دخول المسجد⁽³⁾، لقول الراوى (حتى دخلت) ولغيره.

ولا يخفى أنه ربما ينتظر في القول بأفضلية صلاة المرأة في بيتها⁽⁴⁾ لأننا نجد ان رسول الله وعلياً (عليهما الصلاة والسلام) ما كانا يأمران النساء بالبقاء في البيوت للصلاة، وإنما كانت النساء يحضرن المسجد للصلاة خلف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وللاستماع إلى الخطبة، وقد عين (صلى الله عليه وآله وسلم) امرأة للصلاة جماعة بالنساء، وكذلك بالنسبة إلى على (عليه الصلاة والسلام) كما يفهم من جملة من الروايات الواردة في حالاتهما (صلوات الله عليهما).

ص: 40

1- الخصال: ج 1 ص 9 ح 30 خصلة تذهب ببهاء المؤمن. وبحار الانوار ج 73 ص 302 ب 57 ح 5. والبحار ج 74 ص 141 ب 7 ح 1.

2- بحار الأنوار ج 75 ص 255 ب 23 ح 108.

3- الجواز هنا بالمعنى الأعم.

4- راجع (العروة الوثقى) لليزدى ج 1 كتاب الصلاة فصل في بعض أحكام المسجد، المسألة الثانية، وفيه: (صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد) ولكن في موسوعة الفقه ج 19 ص 297 كتاب الصلاة فصل في بعض أحكام المسجد، المسألة الثانية: (قد تقدم ان صلاة المرأة في بيتها ليست أفضل من صلاتها في المسجد وان ذكر جماعة ذلك، بل صلاتها في المسجد مثل صلاة الرجل في الفضل).

وما ورد من أن (خير مساجد نساكنكم البيوت) (1) مع قطع النظر عن كونها مرسلّة، قد يحمل - جمعاً بينها وبين عمل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والإمام على (عليه السلام) وما أشبه ذلك - على كونه قضية خاصة في زمن خاص أو ظرف خاص، أو فيمن يخاف عليهن الافتتان أو شبه ذلك مما يدخل في باب التزاحم.

طرح القضايا في المسجد

مسألة: يستحب طرح القضايا الهامة في المسجد، لما فيه من إعطاء المحورية للمسجد في حياة الناس، ولأنه أقرب إلى عناية الله تعالى ولطفه، ولأنه بما يحمل من روحانية وتذكير بالخالق المتعال أذعى لقبول الحق والبعد عن الباطل.

وقد كان الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) يصلى في المسجد ويخطب فيه ويوجه الناس في شؤون السلم والحرب والأخلاق والسياسة وغيرها (2) كما كان المسجد مركزاً لحل مشاكل الناس في عهده (صلى الله عليه وآله وسلم) وعهد أمير المؤمنين (عليه السلام) وهكذا.

طرح القضايا أمام الناس

مسألة: يستحب طرح القضايا المهمة أمام الناس، وقد يجب في الجملة، فإنه إرشاد للجاهل أو تنبيه للغافل، وأمر بالمعروف أو نهى عن المنكر، وتعليم أو تزكية، على اختلاف الموارد.

وعموماً: فإن الناس إذا وضعوا في مجرى الأحداث التي تواجه الأمة، فكرياً أو سياسياً أو اقتصادياً أو ما أشبه ذلك فإن حصانتهم أمام الباطل واستعدادهم للإيثار والتضحية في سبيل

ص: 41

1- جامع أحاديث الشيعة: ج4 ص454 ح 1. وبحار الانوار ج80 ص371 ب8 ح32 عن نهاية الشيخ. وروضة الواعظين ص338 مجلس في ذكر فضائل المساجد، عن الصادق (عليه السلام).

2- راجع كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم ج 12) للإمام المؤلف دام ظله.

الله سبحانه يكون أكثر فأكثر، كما هو مفصل في علم الاجتماع والنفس والأخلاق. (1)

وقد قامت عليها السلام بكلا الأمرين: حيث طرحت ظلامتها في المسجد وأمام الناس.

ويحتمل أن يكون خصوص الطرح في المسجد بما هو مسجد على سبيل الاستحباب كما يحتمل أن يكون على سبيل الجواز.

والحاصل: أن الجواز بالمعنى الأعم، يستفاد من هذا الحديث، وإن كان الجواز بالمعنى الأخص، إباحة أو استحباباً أو وجوباً، حسب الموازين العامة.

القضاء في المسجد

مسألة: يجوز الترافع والقضاء في المسجد، كما يفهم ذلك أيضاً من فعل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وفعل على (عليه الصلاة والسلام) (2)، وللفقهاء في هذا مبحث مذكور في كتاب القضاء في الفقه. (3)

ص: 42

1- راجع (الفقه: الاجتماع) و(الفقه: الدولة الإسلامية) و(الفقه: علم النفس) و(الفضيلة الإسلامية) للإمام المؤلف.

2- راجع بحار الأنوار ج 14 ص 11 ب 1 ح 20. والبحار ج 59 ص 167 ب 61 ح 2.

3- راجع موسوعة الفقه ج 84 ص 120-122 (كتاب القضاء) للإمام المؤلف (دام ظله) وفيه: (الظاهر عدم كراهة القضاء في المسجد، بل ما أجمل أن ينفذ حكم الله في بيت الله، وقد كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى (عليه السلام) يقضيان في المسجد «بحار الأنوار: ج 4 ص 277 والبحار ج 62 ص 167»، وبيت الطشت ودكة القضاء في مسجد الكوفة مشهوران إلى اليوم، وتقدم قول على (عليه السلام) لشريح أن يجلس في المسجد. وعن الدعائم، عن على (عليه السلام) قال: (دخلت المسجد، فإذا برجلين من الأنصار يريدان أن يختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال أحدهما لصاحبه: هلم نختصم إلى على (عليه السلام) فجزعت من قوله، فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقال: انطلق واقض بينهما، قلت: وكيف اقضى بحضرتك يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: نعم فافعل، فانطلقت فقضيت بينهما، فما رفع إلى قضاء بعد ذلك اليوم الا وضح لي) «مستدرک الوسائل: ج 3 ص 197 الباب 11 آداب القاضى ح 4». وكيف كان ففي المسألة أقوال: الأول: انه مكروه مطلقاً، ذكره غير واحد، بل في المستند نقل عن المعتمد ان الأكثر قالوا بالكراهة، واختاره هو لمرسلة ابن أسباط: (جنبوا مساجدكم الشراء والبيع والمجانين والصبيان والأحكام والضالة والحدود ورفع الصوت) «الوسائل: ج 3 ص 507 الباب 27 من أحكام المساجد ح 11». ومرسلة الفقيه: (جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم ورفع أصواتكم وشرائكم وبيعكم والضالة والحدود والأحكام) «الوسائل: ج 3 ص 508 أبواب أحكام المساجد الباب 27 ح 4». وفي الجواهر: استدل لذلك بالنبوى: (جنبوا المساجد صبيانكم ومجانينكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم) قال: والحكومة تستلزم غالباً ذلك بل قد تحتاج إلى إحضار الصبيان والمجانين، بل قد تستلزم إدخال الحيض والمشركين ومن لا يتوقى النجاسة. الثانى: الاستحباب كما عن ظاهر المقنعة والنهاية والمراسم والسرائر، للأسوة وبعض الروايات المتقدمة. الثالث: الجواز نظراً إلى تصادم الدليلين من غير مرجح فلا كراهة ولا استحباب، ونقل عن الشيخ في ظاهر خلافه ومبسوطه، وقال المستند في نقل هذا القول قيل بالإباحة. الرابع: التفصيل بين جعله محلاً للقضاء دائماً، فالكراهة دون غيره، فلا كراهة فيه، اختاره الشرائع والعلامة، وذلك للجمع بين دليلي المنع والاستحباب، لكن يرد على الكراهة ان النبي والإمام لا يفعلان مستمراً المكروه، خصوصاً وهما أسوة للناس مأمورون باتباعهما، والتفصيل ينافي ظهور استمرارية فعل على عليه السلام، فالأمر إما جائز للتصادم، وإن كان بعيداً، إذ كلا الدليلين آب عن ذلك، وإما مستحب، والثانى أقرب صناعة، والأول

شهرة، أما دخول الصبيان والمجانين والحيض والمشركين، فاللازم التجنب استحباباً، أو لزوماً، فليس هذا إشكالاً على أحد القولين وإلا يستشكل بالحيض والمشركين على القول بالكراهة أيضاً. أما من استدل على عدم الكراهة بفورية القضاء المستلزمة للقضاء في المسجد، ففيه ان الفورية عرفية هذا، كما ان من استدل للكراهة برواية جعفر بن إبراهيم: (انما نصبت المساجد للقرآن) يرد عليه: ان الحصر إضافي كما لا يخفى، واشكال المستند على دكة القضاء بمنع ثبوتها أولاً وكونها دكة قضاء على ثانياً، وكونها من المسجد في الصدر الأول ثالثاً، لا يخفى ما فيه لمن راجع التاريخ، ولما ذكرناه قال في الجواهر: قد يقال ان القضاء من حيث كونه قضاءً لا كراهة فيه، بل لا يبعد رجحانه. نعم، قد يقترن بما يرجح تركه في المسجد، أو يرجح فعله، وهو خارج عن محل البحث، وربما كان ذلك أولى بالجمع من غيره. انتهى.

ومن الواضح ان الترافع فى المسجد ليس مخالفاً لمقتضى الوقف شرعاً، كما ان من البين إنه يجب أن لا يكون بحيث يعد هتكاً للمسجد عرفاً. (1)

ص: 43

1- كأن يسبب ضوضاء غير متعارفة وشبه ذلك.

الاستفادة من مراكز الإعلام

مسألة: يجوز - بالمعنى الأعم الشامل للوجوب - الاستفادة من وسائل الإعلام ومراكز التجمع، للمطالبة بالحق وفضح الظالم وإرشاد الناس وبيان الحقيقة، كما استفادت فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) من المسجد، حيث كان المسجد أهم مركز للإعلام آنذاك، باعتباره مركزاً لتجمع مختلف الشخصيات والتيارات الاجتماعية والمركز الرئيسي للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ولقيادة الأمة وغير ذلك.

دخول المرأة في مجمع الرجال

مسألة: يجوز للمرأة أن تدخل في مكان قد اجتمع فيه الرجال، أو مع النساء، مع الحفاظ على الحجاب وسائر الشرائط.

إذ الأصل: الإباحة ولا دليل على الحرمة، بل كان هذا في زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في مسجده وفي أسفاره وفي الحج، كما انه كان في أيام الفقهاء الكبار، في مشاهد المعصومين (عليهم الصلاة والسلام) وكذلك في القدس الشريف وغير ذلك.

أما المحرم منه فهو الاختلاط بلا حجاب أو ما أشبه ذلك مما أتى به الغرب إلى بلاد الإسلام واستقبله بعض من لا حريجة له في الدين.

الضغط مباشرة

مسألة: يرجح توجيه الضغط على الغاصب أو الظالم نفسه، أو الرجوع إليه رأساً لدى المطالبة بالحقوق وبالحق، إلا إذا كانت الفائدة في غير ذلك.

قال تعالى: ((اذهبوا إلى فرعون إنه طغى)) (1) ولذا بادرت فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) للذهاب إلى المسجد ومواجهة أبي بكر بنفسه.

ومن ذلك أيضاً كانت كتابات المعصومين عليهم السلام إلى الطغاة مباشرة، وقد كتب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية: (عرك عرك فصار قصار ذلك ذلك فاحش فاحش فعلك فعلك تهدي بهذا). (2)

وذلك إتماماً للحجة وفضحاً للظالم كي لا يدعى عدم العلم ويلقى اللوم على الآخرين - كما هي سيرة الظالمين خاصة في فترات الضعف والسقوط - وتحطيماً لشوكته وهيبته المصطنعة أمام الناس، ولغير ذلك. (3)

وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم

الفضح على رؤوس الأشهاد

مسألة: يستحب وقد يجب - إذا توقف الردع وشبهه عليه - فضح الظالمين على رؤوس الأشهاد، فإنه نوع من الضغط والتنفير الاجتماعي، وملاكه يشمل الرجال أيضاً.

ولا فرق في ذلك بين المنبر والمحراب والكتاب والإذاعة والتلفزيون وغيرها من وسائل الإعلام، ولو تحول هذا إلى منهج عام عند الناس، بأن التزم الكل بل حتى الأكثر، بل حتى

ص: 45

1- طه: 43.

2- المناقب ج2 ص48 فصل في المسابقة بالعلم. وبحار الأنوار: ج40 ص163 ب93 ح54.

3- راجع حول هذه المباحث: (الفقه: طريق النجاة)، (الفقه: الاجتماع)، (الفقه: السياسة)، (ممارسة التغيير لإنقاذ المسلمين) و(الصياغة الجديدة) للإمام المؤلف دام ظله.

جمع كثير من الناس، بفضح الظالم والتصدى لظلمه على رؤوس الأشهاد، لما قامت للظالمين قائمة.

إتمام الحجّة على الناس

مسألة: يستحب إتمام الحجّة على الناس، وقد يجب، لأنه حينئذ يجعل من الحشد شهوداً على كلام الطرفين، وذلك أبلغ في إقامة الدليل والانتصار للحق، قال سبحانه: «لئلا يكون للناس على الله حجة» (1)

المطالبة بالحق بمحضر الغير

مسألة: يجوز - بالمعنى الأعم - المطالبة بالحق وكشف القناع عن ظلم الظالم حتى عند من لا يتأتى منه أى عمل، أو لا يعمل، ويشمله إطلاق قوله تعالى:

«لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم» (2).

ومما يوضح الشمول ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في بيان أحد مصاديق الآية الشريفة: (من أضاف قوماً فأساء ضيافتهم فهو ممن ظلم فلا جناح عليهم فيما قالوا فيه). (3)

وربما يعد من مصاديق ذلك مطالبتها (صلوات الله عليها) بحقها وحق الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في المسجد في حضور المهاجرين والأنصار وغيرهم، حيث لم يكن لكل الأفراد - لا بشرط الاجتماع - القيام بالمطلوب والمراد نفي (الكلية) لا النفي الكلي، فتأمل.

الجهر بالحق لشتى الطبقات

مسألة: ينبغي بيان الحقيقة لمختلف طبقات الناس وأصنافهم لا مجموعة خاصة منهم، وإن كثرت أفرادها، نظراً لأن ذلك أكثر ضماناً لصدق الحديث عن التحريف والتواطى عليه أو النسيان أو التشكيك فيه.

ص: 46

1- النساء: 165.

2- النساء: 148.

3- تفسير العياشي: ج 1 ص 283 ح 296، في تفسير الآية «لا يحب الله الجهر بالسوء» «النساء: 148». وعنه في بحار الانوار ج 72 ص 258 ب 66 ح 50.

وبذلك - وبجهات أخرى - تظهر الحكمة في إلقائها عليها السلام الخطبة في مجمع من المهاجرين والأنصار وغيرهم.

فنيطت دونها ملاءة

الساتر بين الرجال والنساء

مسألة: قد يقال باستحباب وضع ساتر بين الرجال والنساء عند خطاب المرأة، إضافة لتحجب كل واحدة منهن.

وربما يستفاد ذلك من قوله تعالى: «وإذا سألتموهن متاعاً فسألوهن من وراء حجاب» (1).

وإن كان الانصراف (2) يقتضى الحجاب أو الساتر بالمعنى الأخص لا الساتر إضافة للحجاب المتعارف.

ومنه يعلم استحباب ذلك في كل مكان اجتمع فيه النساء والرجال، كما في المسجد للصلاة، وفي قاعة الدرس، وفي الحسينيات، وغير ذلك، ولذا ورد في هذا الحديث: (فنيطت دونها ملاءة).

لكن ربما يقال: بأنه لا يظهر أن ذلك كان على نحو الإستحباب، إذ الفعل لاجهة له، بل ربما كان ذلك من الآداب، ولذا لم يكن في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ستر بين الرجال والنساء، وكذلك في المسجد الحرام لم يجعل ستر بين الرجال والنساء، بأن يقرر مثلاً على الرجال أن يطوفوا بجوار الكعبة وعلى النساء الطواف من بعيد، وبينهما ستر، أو بأن يقرر وقت للرجال وآخر للنساء، إلى غير ذلك مما هو واضح.

وربما يقال: بأنه يدل على الاستحباب بالنسبة إلى الشخصيات من النساء،

ولذا ورد ذلك بالنسبة إلى عمل نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد نزول آية

ص: 47

1- الأحزاب: 53.

2- أى في الآية المباركة.

أما الاستحباب مطلقاً، فالظاهر العدم، للسيرة المستمرة في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في عصره الشريف وغيره بالنسبة إلى النساء، وكذلك بالنسبة إلى المسجد الحرام، وغير ذلك، كما سبق.

فجلست

الجلوس في المسجد

مسألة: قد يعد من الآداب عند التواجد في المسجد، الجلوس فيه، فهو أقرب للوقار ولرعاية حرمة المسجد، ولو في الجملة.

كما يجوز القيام، أو الاستلقاء فيه فيما إذا لم يكن هتكاً أو مزاحماً لما هو من شؤون المسجد، وإلا كان مكروهاً أو محرماً - حسب اختلاف الموارد - كما أن النوم في المسجد مكروه على المشهور، وقد ورد في هذا الحديث: أنها (صلوات الله عليها) جلست. (2)

ثم أنت أنة

إسماع الصوت للرجال

مسألة: يجوز للمرأة أن تسمع الرجل صوتها إذا حفظت الموازين الشرعية، بأن لم يكن هناك خوف فتنه، أو من الخضوع في القول مثلاً، قال سبحانه: « ولا يخضعن في القول

ص: 48

1- وفي بحار الانوار ج 22 ص 185 ب 2 في تفسير قوله تعالى: « واذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب » يعني فإذا سألتهم أزواج النبي صلى الله عليه وآله شيئاً تحتاجون اليه فاسألوهن من وراء ستر، قال مقاتل: امر الله المؤمنين ان لا يكلموا نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم الا من وراء حجاب. (ذلكم) أى السؤال من وراء حجاب (اطهر لقلوبكم وقلوبهن) من الريبة ومن خواطر الشيطان (وما كان ان تؤذوا رسول الله) بمخالفة ما امر به في نسائه ولا في شىء من الاشياء. انتهى.

2- حول أحكام المسجد وآدابه راجع موسوعة الفقه ج 19 ص 118-298 كتاب الصلاة، وموسوعة الفقه كتاب الآداب والسنن.

فيطمع الذي فى قلبه مرض .»(1)

وقد كانت النساء يتكلمن مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ومع أمير المؤمنين (عليه السلام) ومع الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) ومع علماء الدين إلى عصرنا الحاضر، وعلى ذلك جرت سيرة المتشعبة عموماً، لكن يجب مراعاة الموازين الشرعية.

وما ذكر يدل على جواز ذلك، فإن المحذور هو الخضوع بالقول وما أشبهه، فيجوز للنساء إلقاء الخطب وقراءة التعزية فى المجالس النسوية وإن وصل صوتها إلى أسمع الرجال، كما يجوز تسجيل صوت قراءتها(2)، مع مراعاة الجهات الشرعية.(3)

سمع صوت المرأة

مسألة: يجوز للرجال أن يسمعوا صوت النساء مع مراعاة الموازين الشرعية، لأصالة الحل والإطلاقات والسيره المتصلة، والفرق بين المسألتين(4) واضح.

البكاء على الميت

مسألة: يستحب الأنين والبكاء على الميت، كما بكت عليها السلام على أبيها، وقد يكون بكاءها عليها السلام وأنيها لفقد أبيها ولغصب حق خليفته أمير المؤمنين على عليه السلام ولما جرى عليها من مختلف أنواع الظلم.

وفى العروة الوثقى: (يجوز البكاء على الميت ولو كان مع الصوت، بل قد يكون راجحاً كما إذا كان مسكناً للحنن وحرقة القلب، بشرط أن لا يكون منافياً للرضا بقضاء الله، ولا فرق بين الرحم وغيره، بل قد مر استحباب البكاء على المؤمن، بل يستفاد من بعض الأخبار جواز البكاء على الأليف الضال).(5)

وقد ذكرنا فى (الفقه) استحباب البكاء على المؤمن لتواتر الروايات بذلك قولاً وعملاً،

ص: 49

1- الأحزاب: 32.

2- وبيع أو توزيع تلك الأشرطة مع ملاحظة الموازين الشرعية.

3- راجع موسوعة الفقه: (كتاب النكاح) المسألة 39.

4- أى (إسمع الصوت للرجال) و(سمع صوت المرأة).

5- العروة الوثقى كتاب الطهارة فصل فى مكروهات الدفن المسألة الأولى.

وما يقال من ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن البكاء مكذوب عليه(1).

رفع المرأة صوتها بالبكاء

مسألة: لا بأس في سماع الرجال الأجانب بكاء المرأة، كما لا بأس في أن ترفع صوتها بالبكاء.

كما دل على ذلك بكاؤها عليها السلام في البيت، حيث كان صوتها مسموعاً في المسجد(2).

وقد أوصى الإمام الباقر (عليه السلام) بأن تندبه النوادب في منى، عشر سنين(3) وهناك مجتمع الرجال والنساء كما هو واضح.

البكاء لفقد المعصوم عليه السلام

البكاء لفقد المعصوم عليه السلام(4)

مسألة: يستحب البكاء لفقد المعصوم عليه السلام كما بكت الزهراء عليها السلام على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكذلك يستحب البكاء عالياً في مصيبتهم(5).

ص: 50

- 1- راجع موسوعة الفقه ج 15 ص 161-168 كتاب الطهارة، في مستحبات قبل الدفن وحينه وبعده، الواحد والثلاثون.
- 2- بل في المدينة، ففي الحديث: (.. واما فاطمة فبكت على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى تأذى بها اهل المدينة، فقالوا لها: قد آذيتنا بكثرة بكائك، فكانت تخرج الى المقابر - مقابر الشهداء - فتبكي حتى تقضى حاجتها ثم تنصرف)، راجع عوالم العلوم ومستدركاته مجلد فاطمة الزهراء عليها السلام ج 2 ص 790.
- 3- الكافي: ج 5 ص 117 ح 1 عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (قال لي أبي: يا جعفر أوقف لي من مالي كذا وكذا النوادب تندبني عشر سنين بمنى أيام منى).
- 4- حول هذا المباحث راجع كتاب (الشعائر الحسينية) لآية الله الشهيد السيد حسن الشيرازي (قدس سره).
- 5- فقد روى عن ابن عباس، قال: خرجت انا وعلى والنبي صلى الله عليه وآله في جنان المدينة، فمررنا بحديقة فقال علي (عليه السلام): ما احسن هذه الحديقة يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وآله: حديقتك في الجنة احسن منها، ثم مررنا بحديقة فقال: ما احسن هذه يا رسول الله، حتى مررنا بسبع حدائق، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: حدائقك في الجنة احسن منها، ثم ضرب بيده على رأسه ولحيته وبكى حتى علا بكاؤه، فقال: ما يبكيك يا رسول الله، قال: ضغائن في صدور قوم لا يبدونها لك حتى يفقدوني). الطرائف ص 428 عن المناقب لابي بكر احمد بن موسى بن مردويه الحافظ.

ويستحب تشكيل مجالس للبكاء عليهم (عليهم الصلاة والسلام) فهو نوع من

المواساة، ومن الانتصار للمظلوم، ومن سبل تثبيت محبة آل البيت عليهم السلام في قلوب الناس، وقد دل على ذلك كثير من الروايات.

فعن ابي عبد الله (عليه السلام) قال لفضيل: (تجلسون وتحديثون، قال: نعم جعلت فداك، قال: ان تلك المجالس احبها فأحيوا امرنا يا فضيل فرحم الله من أحبب امرنا، يا فضيل من ذكرنا او ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه ولو كانت اكثر من زبد البحر)(1).

بكاء المظلوم تظلاً

مسألة: يستحب بكاء المظلوم، للتظلم، بصوت عال، فإنه من غير الصحيح أن يسكت الإنسان على الظلم، ولذا قال سبحانه: «لا تظلمون ولا تظلمون»(2).

والبكاء إحدى طرق الضغط على الظالم وفضحه وإثارة العواطف ضده، ولذا بكى الإمام السجاد (عليه السلام) تلك المدة الطويلة(3)، وبكت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام حتى استشهدت(4).

كما روى أنها عليها افضل الصلاة والسلام (ما زالت بعد أيها معصبة الرأس، ناحلة الجسم، منهدة الركن، باكية العين، محترقة القلب، يغشى عليها ساعة بعد ساعة) الحديث(5).

ص: 51

1- بحار الانوار ج44 ص282 ب24 ح14. وفي البحار ج71 ص351 ب21 ح20: (احيوا امرنا).

2- البقرة: 279.

3- بكى (عليه السلام) بعد ابيه الحسين (عليه السلام) اربعين سنة. كما سبق في الصفحة الهامش

4- العوالم ومستدركاتهما، مجلد فاطمة الزهراء ج2 ص782 باب مدة بقائها صلوات الله عليها بعد أيها واحزانها وبكائها في تلك المدة الى وفاتها. وراجع روضة الواعظين ص150 مجلس في ذكر وفاة فاطمة عليها السلام.

5- المناقب ج3 ص362 فصل في وفاتها وزيارتها عليها السلام.

ومثل البكاء: الأنين سواء على الميت - كما سبق - أم على المظلوم، أم من المظلوم، وقد ورد في قصة يوم (أحد) أن صفية كانت تأن وتحن على حمزة وكان ذلك بمحضر من الرجال، وكلما أنت أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأينها، وكلما حنت حن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لحنينها.

وقد ورد: انه لما انصرف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من وقعة (أحد) إلى المدينة سمع من كل دار قتل من أهلها قتيل نوحاً وبكاءً ولم يسمع من دار حمزة عمه، فقال: لكن حمزة لا بواكى له، فألى أهل المدينة أن لا ينوحوا على ميت ولا يبكوه حتى يبدؤوا بحمزة فينوحوا عليه ويبكوه. (1)

أجهشت القوم لها بالبكاء

البكاء لبكاء المظلوم

مسألة: يستحب أن يبكى الناس تفاعلاً مع بكاء المظلوم، فإنه مشاركة وجدانية وتآلم لألم المتألم (2)، بالإضافة إلى أنه يتضمن تأييداً للمظلوم ونصرة له.

قال على (عليه السلام) فى وصيته للحسن والحسين عليهما السلام: (كونا للظالم خصماً وللمظلوم ناصرًا) (3).

البكاء لبكاء المفجوع

مسألة: يستحب بكاء الناس لبكاء المفجوع بمصيبة، ولذا ورد استحباب البكاء على

ص: 52

- 1- من لا يحضره الفقيه: ج 1 ص 116 ب 111 ح 52. وراجع بحار الأنوار ج 79 ص 92 ب 16 ح 44.
- 2- وقد ورد فى فضل زيارة الحسين (عليه السلام): (..ان فاطمة عليها السلام اذا نظرت اليهم ومعها الف نبي والف صديق والف شهيد ومن الكرويين الف الف يسعدونها على البكاء، وانها لتشهق شهقة فلا تبقى فى السماوات ملك الا بكى رحمة لصوتها..).
- 3- بحار الانوار ج 42 ص 245 ب 127 ح 46.

الميت وإن لم يعرفه الإنسان (1).

وقد بكى الرسول صلى الله عليه وآله وأن يحزن صبغة.

فإن البكاء رحمة ورقة وعطوفة (2)، وكلها مطلوبة شرعاً، حسب الروايات

الكثيرة الواردة في التوادد والتراحم والرحمة والعطف وشبهها، الشاملة بإطلاقها للمقام.

ص:53

1- راجع العروة الوثقى كتاب الطهارة فصل في مكروهات الدفن المسألة الأولى، وفيه: (يجوز البكاء على الميت.. بل قد يكون راجحاً.. ولا فرق بين الرحم وغيره، بل قد مر استحباب البكاء على المؤمن).

2- وفي الحديث عنه (عليه السلام) قال: (بكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند موت بعض ولده، فقبل له: يا رسول الله تبكى وانت تنهاننا عن البكاء، فقال: لم انهكم عن البكاء، وانما نهيتكم عن النوح والعيول، وانما هي رقة ورحمة يجعلها الله في قلب من شاء من خلقه، ويرحم من يشاء وانما يرحم من عباده الرحماء) بحار الانوار ج79 ص101 ب16 ح48. وعنه (عليه السلام) قال: (رخص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في البكاء عند المصيبة وقال: النفس مصابة والعين دامعة والعهد قريب). بحار الانوار ج79 ص101 ب16 ح48.

افتتاح الحديث بما يهيئ النفوس

مسألة: يستحب أن يفتتح المتكلم أو الخطيب حديثه بما يهيئ النفوس ويعد الأذهان لتقبل الكلام، على حسب مقتضيات البلاغة، ولذا نجد انها صلوات الله عليها (أنت أنة أجهش القوم لها بالبكاء، فارتج المجلس).

فإنها عليها السلام فجرت في النفوس كوامن العواطف، وجعلت القوم في قصوى حالات الاستعداد النفسى والعاطفى للاستماع إلى حديثها وظلامتها.

فعلينا أن نتعلم من مدرستها عليها السلام حتى افتتاح الحديث، بل وتطعيمه بما يؤثر على الحضور والمستمعين أكبر الأثر، فإن ذلك كمال وفضيلة، ولاشك ان تربية الإنسان نفسه على الفضيلة والكمال من المستحبات، وقد قال سبحانه: «وأمر قومك يأخذوا بأحسنها».(1)

وقال تعالى: «اتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم».(2)

هذا بالإضافة إلى أنه كلما كان كلام الإنسان مشتملاً على عوامل تحريك العواطف وإثارة دافئ العقول يكون أقوى وقعاً في نفوس المستمعين، فيكون أقرب إلى قبولهم للمعروف وانتهاهم عن المنكر وفعلهم الخيرات، كل في مورده.

ثم أمهلت هنيئة حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم

الكلام فى أفضل الأحوال

مسألة: ينبغى إيراد الكلام على مقتضى الحال، بل وفى أفضل الأحوال، ولذلك (أمهلت هنيئة) فان البدء بالحديث والقوم فى شدة البكاء وفورة الاهتياج مما يفقد كلمات المتكلم تأثيرها المطلوب، ويكون التفاعل معها حينئذ أقل.

ص:54

1- الأعراف: 145

2- الزمر: 55.

فالإمهال عندئذ ضروري، ولكن بشرط أن لا يكون الفاصل طويلاً، لأن الكلام يفقد حرارته وموالاته بسبب الفصل الطويل، وهذا مما ينافي موازين البلاغة، فاللازم أن لا يكون متتابعاً جداً، وأن لا يكون متباعداً بعضه عن بعض، بل يكون طبق الأسلوب البلاغي حسب اختلاف المقامات(1)، ولذلك كان إمهالها عليها السلام (هنيئة) فقط.

افتتحت الكلام بحمد الله

افتتاح الأعمال بذكر الله تعالى

مسألة: افتتاح كل أمر - ومنه الحديث والكلام، على المنبر كان أو تحته، لجمع أو لفرد، في أمر من أمور الدنيا أو الآخرة - بذكر الله وحمده عزوجل، قلباً ولساناً، بل عملاً، في كل مورد بحسبه.

ومعنى الافتتاح العملي: أن يكون العمل من مصاديق ما يحبه الله تعالى ويريده شروعاً (وهو الافتتاح) واستمراراً بأن يكون مورد رضا الله سبحانه وتعالى، وذلك مثل: المشى إلى الحج(2).

أو يوضح بنظير المرور تحت القرآن الكريم عند إرادة السفر وما أشبه ذلك.

وقد ورد في الحديث: (كل أمر ذي بال لم يذكر فيه بسم الله فهو أبتري)(3).

والمراد: أنه أبتري عن الخير، فلا خير له في الدنيا ولا في الآخرة.

وسلب الخير عنه قد يكون مطلقاً في بعض الأعمال، وقد يكون في الجملة وبالنسبة في بعضها الآخر، على حسب نوعية العمل والنية وغير ذلك.

ص:55

1- راجع كتاب (البلاغة) للإمام المؤلف دام ظله.

2- فمن مشى قاصداً الحج يكون قد افتتح عملياً بما هو ذكر لله تعالى، عكس من مشى قاصداً الصنم أو الحرام حيث يكون قد افتتح بذكر الشيطان، فيعم الذكر العملي أيضاً.

3- بحار الأنوار ج73 ص305 ب58 ح1. والبحار ج89 ص242 ب29 ح48. ومثله في تفسير الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): ص25 ح7.

تعليم الناس على الافتتاح بالحمد

مسألة: يستحب تربية وتعليم الناس على الافتتاح بذكر الله تقديس أسماؤه، للإطلاقات، ولما يستفاد من قولها وفعلها (صلوات الله عليها) ههنا.

فإن افتتاح كبير القوم أو قائدهم، كلامه بشيء أو بأسلوب خاص، يكون تعليماً للذين يتبعونه.

وقد سبق القول بأن أقوالها وأفعالها (عليها السلام) كسائر المعصومين (عليهم السلام) نظراً لإحاطتهم والتفاتهم، وقد لوحظت فيها كل الجهات الممكنة والدلالات المحتملة، فتكون حجة ذات دلالة من جميع الجهات، وقد ورد في الدعاء: (اللهم انى افتتح الشئ بحمدك) (1)

الافتتاح بذكر الله جهراً

مسألة: يستحب أن يكون الافتتاح بذكر الله تعالى جهراً، كما صدر ذلك من السيدة الزهراء (عليها السلام) وقد كان يمكن لها أن تذكر الله سبحانه سرّاً، كما هو عادة بعض الناس.

وقد ورد استحباب الجهر ب- (بسم الله الرحمن الرحيم)، وأن ذلك من علائم المؤمن.

فقد قال الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): (علامات المؤمن خمس: صلاة الإحدى والخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر بسم الله الرحمن الرحيم). (2)

وربما يقال: بأن من علل الدعوة لزيارة الأربعين، والتأكيد عليها في الروايات الشريفة: إفادة ان الإمام الحسين (عليه الصلاة والسلام) - الذى كان فى غاية المظلومية فى يوم عاشوراء من مختلف الحثيات والأبعاد - كيف أعزه الله سبحانه وتعالى ولما يمض على استشهاده أربعون يوماً!

تقديم الحمد بعد البسملة

ص: 56

1- مصباح الكفعمى ص 578 دعاء الافتتاح، الفصل 35 فيما يعمل فى شهر رمضان.

2- مصباح المتعبد ص 787، الإقبال ص 589. روضة الواعظين ص 195. بحار الأنوار: ج 82 ص 75 ب 46 ح 7. ومثله عن الإمام الصادق (عليه السلام) فى غوالى اللئالى ج 4 ص 37 ح 127.

مسألة: يستحب تقديم الحمد - بعد البسملة - على غيره في افتتاح الحديث بل كل أمر.

فالحمد يكون مقدماً، سواء كرره (1)، أم أتى ثانياً بما يفيد معنى: (الحمد)، لا بلفظه (2)، وسواء كان بلفظ (الحمد لله)، أم بما يشتق منه ك-: (أحمد الله) و(أنا حامد له) أو ما أشبه ذلك من سائر الصيغ (3).

ولو انقطع الكلام عاد المرء إلى البدء بحمد الله مرة أخرى - كما هو المشاهد في خطبتها (عليها السلام) -.

والثناء عليه

اشتمال الافتتاح على الثناء

مسألة: يستحب اشتمال افتتاح الأعمال والأقوال على الثناء الجميل على الله سبحانه وتعالى، مضافاً إلى أصل ذكر اسمه حسنت أسماؤه، وحمده جلت آلاؤه.

فإن الثناء عبارة عن تثنية الشيء (4) وهو تأكيد، ولعلها (عليها الصلاة والسلام) كررت الحمد أو ما بمعنى الحمد، فإن الثناء يمكن أن يكون بالحمد أو بغيره مما يدل على تعظيم المحمود.

ص: 57

-
- 1- بأن يقول: الحمد لله، الحمد لله.
 - 2- كأن يقول: الحمد لله والشكر له تعالى مثلاً.
 - 3- توضيحه: قد يكون المراد ان الحمد: وإن كان مكرراً أو بصيغ أخرى فإنه مقدم على سائر أنواع الثناء، فمثلاً تقول: الحمد لله الحمد لله وسبحان الله والصلاة على رسول الله.
 - 4- كما سيأتي في بحث (الثناء بما قدم).

الصلاة على الرسول وآله الأطهار (ع)

مسألة: يستحب الصلاة على النبي وآله (عليهم السلام) مطلقاً، وفي افتتاح الكلام خاصة.

ويدل على الاستحباب بالإضافة إلى فعلها (عليها الصلاة والسلام) ذى القرينة، قول الله سبحانه وتعالى:

((إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً))(1).

وقد ورد في جملة من الروايات كيفية الصلاة على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأن يقال: (اللهم صل على محمد وآل محمد) (2) أو ما أشبه ذلك.

مثل: (صلى الله) ومثل: (رب صل) ونحوهما.

ص: 58

1- الأحزاب: 56.

2- راجع موسوعة الفقه ج 95 ص 129 (كتاب الآداب والسنن) وفيه: فصل في كيفية الصلاة على محمد وآله، عن ابن أبي حمزة، عن أبيه، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل: (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) فقال: الصلاة من الله عز وجل رحمة، ومن الملائكة تزكية (بركة) ومن الناس دعاء وأما قوله عز وجل: (وسلموا تسليماً) فإنه يعنى التسليم له فيما ورد عنه، قال: فقلت له: فكيف نصلى على محمد وآله؟ قال: تقولون: صلوات الله وصلوات ملائكته وأنبياؤه ورسله وجميع خلقه على محمد وآل محمد، والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته، قال فقلت: فما ثواب من صلى على النبي صلى الله عليه وآله بهذه الصلوات؟ قال: الخروج من الذنوب والله كهيئة يوم ولدته أمه. «معاني الأخبار ص 104» عن كعب بن عجرة قال قلت: يا رسول الله علمتنا السلام عليك، فكيف الصلاة عليك؟ فقال: قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم انك حميد مجيد، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم انك حميد مجيد «المجالس ص 232». عن أبي عبد الله، أو أبي جعفر عليهما السلام قال: أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة الصلاة على محمد وأهل بيته «قرب الإسناد ص 9». انتهى.

واستفادة الاستحباب - اضافة إلى الأمر في الآية المباركة - بلحاظ القرائن الكثيرة.

فعاد القوم في بكائهم

تجدد البكاء عند تجدد ذكر الفقيد

مسألة: المستفاد من إطلاق أو ملاك (1) قولهم (عليهم الصلاة والسلام): (يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا) (2) وجملة من الروايات الأخر، مثل ما في دعاء الندبة وغيره، بالإضافة إلى ما تقدم من حديث الرحمة والرفقة والحنان، وكلها مستحب بالأدلة العامة: استحباب تجدد البكاء عند تجدد ذكر الفقيد، خاصة إذا كان معصوماً.

وتجدد الذكر لا يلزم أن يكون بمحضر الناس، كما لا يلزم أن يكون باللفظ، بل يشمل حتى التوجه القلبي.

وتجدد البكاء قد يكون:

1: أشبه بالاختياري، لتفجر العاطفة كما في هذا المورد (فعاد القوم في بكائهم) نظراً لعظمة المصاب وقرب وقوعه وسماع صوت ابنته (عليها السلام) بما تضمنه من رنة الأسي المرير وبما كان يعكسه من لواعج الحزن الشديد.

2: وقد يكون اختياريًا بالتفكر في المصاب والسعي لإثارة العاطفة، وكلاهما مما يثاب عليه الإنسان.

فلما أمسكوا عادت في كلامها

عدم قطع بكاء المنفجوع

ص: 59

1- الإطلاق على تقدير كون المراد ب- (يحزنون) الأعم من الحزن وإظهاره كما هو المستفاد عرفاً في أمثال المورد، والملاك على تقدير العدم.

2- بحار الأنوار: ج 44 ص 287 ب 34 ح 56. الخصال ص 635. تأويل الآيات ص 641. غرر الحكم ص 117 ح 2049 الباب الخامس في الامامة، الفصل الأول في الاثمة. كامل الزيارات ص 101 باب 32 ثواب من بكى على الحسين بن علي (عليه السلام). جامع الاخبار ص 179 فصل 141 في النوادر.

مسألة: ينبغي أن لا يقطع الإنسان بكاء الباكي، بل يمهل حتى يمسك لما سبق، بالإضافة إلى أنه نوع من التأدب.

كما ورد مثل ذلك في استحباب الإصغاء إلى المتكلم وعدم قطع كلامه، على عكس ما هو المتداول عند الكثيرين، خاصة أثناء الجدل، حيث يقطع البعض حديث الآخر دون رعاية لحرمة وحتى دون فهم كلامه ومراده.

بل يمكن جريان هذا الاستحباب في الفعل أيضاً - بالملاك - بأن لا يقطع الإنسان فعل إنسان آخر بشيء من عمل أو قول، فإنه نوع من التأدب واحترام الآخرين، ومن مصاديق ذلك ما ورد من كراهة أن يدخل الإنسان في سوم أخيه المؤمن. (1)

مراعاة حال المستمع

مسألة: ينبغي مراعاة حال المستمع، ومن المراعاة ترك الخطاب فيما إذا لم يكن المستمع في وضع يتمكن فيه، أو يسهل عليه الاستماع، لبكاء أو شبهه.

وقد سبق نظير ذلك (2) ولا يبعد أن يكون سكوتها (صلوات الله عليها) لذلك ولما سبق جميعاً.

كما ينبغي مراعاة ما يحف بالكلام من الأمور الخارجية، ومن ذلك ان يسكت الإنسان لقراءة غيره القرآن الكريم مثلاً، حيث ورد قوله سبحانه: ((فاستمعوا له وأنصتوا)). (3)

وقد ورد إن ابن الكواقرأ القرآن وكان على (عليه الصلاة والسلام) في القراءة في الصلاة، فسكت على (عليه السلام) حتى إذا سكت فأتى (عليه الصلاة والسلام) قراءته، مع ان قراءته للقرآن كانت في مقام التعريض بالإمام (عليه السلام)، حيث قرأ - والإمام في سورة الحمد أثناء امامته

ص: 60

1- راجع وسائل الشيعة: ج 12 ص 338 ب 49 ح 3، وفيه: (نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أن يدخل الرجل في سوم أخيه المسلم).

2- الفرق بين هذا وما سبق «الكلام في أفضل الأحوال» ان هذا لوحظ فيه جانب القابل، وذاك كان الملاحظ فيه جانب الفاعل، وبعبارة اخرى: ذاك كان بلحاظ تأثير الكلام، وهذا بلحاظ الجانب الإنساني من حيث مراعاة وضع المستمع، وفرق هذا عما سبقه مباشرة: إن هذا أعم مطلقاً أو من وجه، فليدقق.

3- الأعراف: 204.

للجماعة أبان خلافته الظاهرية - ((ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك)) (1) فسكت الإمام (عليه السلام) ، فلما سكت ابن الكوا عاد الإمام (عليه السلام) ، فلما عاد ابن الكوا سكت الإمام (عليه السلام) ، فلما سكت اكتفى الإمام (عليه السلام) في الجواب ب-: قوله تعالى ((فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون)) (2) ثم أتم (عليه السلام) قراءته وصلاته ولم يعاقبه أدنى عقوبة على ذلك. (3)

فقال عليها السلام: الحمد لله على ما أنعم

العودة الى حمد الله تعالى

مسألة: يستحب أن يعود الإنسان بعد قطع كلامه إلى حمد الله تعالى مرة ثانية، لأنه يعد ابتداءً أيضاً.

والمراد بالابتداء ههنا: الابتداء النسبي، فلا تنافي بين هذه وبين ما سبق من (كل أمر ذي بال لا يذكر بسم الله فيه فهو أبتري) (4) على تقدير إرادة البسملة، وإلا - بأن أريد ما هو اسم لله تعالى - صدق على حمد الله، لتضمنه اسم الله، إذ أحدهما كلي والآخر من مصاديقه.

والظاهر أنها (عليها السلام) حمدت مرتين، والثانية لوحدة نسق الكلام، ولعله يدل على استحباب التثنية.

هذا و(الحمد): هو ذكر الله بالجميل على نعمه مطلقاً، فإنه واجب عقلاً وشرعاً، وإن لم يجب بهذه الصيغة، نعم يجب التقييد بها في الصلاة للدليل الشرعي.

و(الحمد) لا يختص بمجال النعمة على الشخص، بل هو الذكر والوصف بالجميل

ص: 61

1- الزمر: 65.

2- الروم: 60.

3- بحار الأنوار: ج 89 ص 221 ب 28 ح 2. وفي البحار أيضاً ج 33 ص 343 ب 23 ح 587 عن شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.

4- وسائل الشيعة: ج 4 ص 1194 ب 17 ح 4، باب استحباب الابتداء بالبسملة، ط اسلامية.

الاختياري (1) بقصد التعظيم، على نعمه مطلقاً (2) وقد يعمم حتى للابتداء بالثناء. (3) أما (الشكر) فهو الثناء الجميل وإظهار الامتنان على ما أولاه من معروف وإحسان.

وله الشكر على ما ألهم

الشكر لله تعالى

الشكر لله تعالى (4)

مسألة: يستحب الشكر لله تعالى في ابتداء الكلام - خطابة كان، أم كتابة، أم حديثاً عادياً - بعد ذكر الله وحمده.

والشكر في الإبتداء من باب المصداق كما قالت (عليها السلام): (وله الشكر على ما ألهم).

والإلهام: هو الإلقاء في الذهن والروح، وهو نوع من التلقين. (5)

وقد قال سبحانه: ((لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد)) (6).

والمراد بالكفر: كفران النعمة وعدم الشكر، لا الكفر في العقيدة، فإن الكفر:

قد يطلق على الكفر في العقيدة، كما لو جحد الخالق.

وقد يطلق على كفر النعمة.

وقد يطلق على ترك شيء مما أمر الله سبحانه وتعالى به كما في قوله: ((أفتمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض)). (7)

سواء كان الأمر على سبيل الاستحباب أو على سبيل الوجوب، مثل قوله سبحانه:

ص: 62

1- عكس المدح الذي يشمل الجميل غير الإرادي كمدح اللؤلؤ لجماله.

2- أى سواء تعلقت النعمة بالشخص نفسه أم بغيره.

3- راجع (أقرب الموارد).

4- حول هذا المبحث ونظائره راجع: (الفقه: الآداب والسنن) و(الفقه: الواجبات والمحرمات) و(الفضيلة الإسلامية) للإمام المؤلف دام ظله.

5- (ألهمه الله خيراً) أى: ألقنه، مجمع البحرين مادة (ألهم).

6- إبراهيم: 7.

7- البقرة: 85.

((ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين)) (1)

وقد ورد في حديث الإمام الصادق (عليه السلام): (الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه)، منها الثلاثة التي سبقت. (2)

والثناء بما قدم

الثناء على الله تعالى

مسألة: يستحب الثناء على الله تعالى في الكلام - كما سبق - بعد الحمد والشكر، كما قامت هي (عليها السلام) بذلك، فإن كل أفعالها وأقوالها على أتم مقتضيات الحكمة.

والثناء - كما ذكرنا - بمعنى الثنية، لأن الإنسان يثنى على الله سبحانه وتعالى ما ذكره أولاً (3) سواء كان الأول حمداً، أو مدحاً، أو شكرياً، أو تمجيدياً، أو ما أشبه ذلك.

أو: إن أوله ما تفضل به الله سبحانه من النعم على عبده.

ذكر متعلق الحمد وما يوجبه

مسألة: يستحب ذكر متعلق الحمد والشكر والثناء وما يستوجبه، ولو إجمالاً، تأسياً بها (سلام الله عليها) حيث قالت: (على ما أنعم) و(على ما ألهم) و(بما قدم).

فإنه من التفصيل المطلوب في مقام المدح ونحو المدح، كما نرى ان المادح يذكر الأسماء

ص: 63

1- آل عمران: 97.

2- راجع بحار الأنوار ج 8 ص 308 ب 24 ح 73. والبحار ج 69 ص 92 ب 98 ح 2. والبحار ج 69 ص 100 ب 98 ح 30. والبحار ج 90 ص 60 ب 128، وهي كما في الحديث: كفر الجحود بالربوبية وأن لاجنة ولانار... وجحد الجاحد وهو يعلم واستقر عنده... وكفر النعمة... وترك ما أمر الله به.. وكفر البراءة... (مجمع البحرين مادة كفر).

3- قال في (لسان العرب) مادة (ثنى): ثنيت الشيء ثنياً، أى: عطفته، وثنى الشيء ثنياً: رد بعضه على بعض، وثنى الشيء: جعله إثنين، والثناء: ما يصف به الإنسان من مدح أو ذم، وخص بعضهم به المدح.

المتعددة والخصوصيات المختلفة للممدوح.

وكذلك المحزون يذكر شتى الصفات الحسنة، ومختلف الخصال المستحسنة للمحزون عليه، وهكذا في كل مورد يكون المطلوب فيه إطالة الكلام(1).

ذكر الله تعالى وحمده عند تواتر المصائب

مسألة: يستحب ذكر الله تعالى وحمده وشكره والثناء عليه عند اشتداد البلاء وهجوم المصائب على الإنسان.

وذلك من أهم الدروس التي يجب أن نتعلمها من الصديقة الطاهرة (عليها السلام) حيث أنها (صلوات الله عليها) رغم ما نزل بها من عظيم المصائب وجليل الخطوب، حيث فقدت أباهما خاتم النبيين (صلى الله عليه وآله وسلم) وحيث هجم عباد السلطنة على دارها وضربوها وكسروا ضلعها وأسقطوا جنينها وغضبوا حقها وحق بعلمها سيد الأوصياء (عليه السلام)، رغم كل ذلك تبدأ تظلمها بحمد الله وشكره والثناء عليه. وقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): إن رسول الله كان إذا ورد عليه أمر يسره قال: (الحمد لله على هذه النعمة) وإذا ورد عليه أمر يغتم به قال: (الحمد لله على كل حال). (2)

وإنما كان الحمد لله عند نزول المكاره - كما ورد: (الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه) (3) - فلأن المكروه بالنسبة إلى الصالحين إما ترفيع درجة، وإما محو ذنب، وهذا فيمن يقع منهم الذنب كغير المعصومين (عليهم السلام)، أما في المعصومين (عليهم السلام) فالمكاره كلها تسبب ترفيع درجاتهم ومزيد قربهم من الله تعالى.

توجه المظلوم إلى الله تعالى

مسألة: يستحب للمظلوم أن يتوجه إلى الله تعالى بقلبه، وأن يذكره بلسانه مطلقاً، وفي حين تمهيده الأسباب لرفع الظلم والضييم عنه.

ص: 64

1- راجع كتاب (البلاغة) للإمام المؤلف دام ظله.

2- بحار الأنوار: ج 68 ص 33 ب 61 ح 14. والبحار ج 90 ص 214 ب 7 ح 17.

3- مثله في شرح النهج ج 7 ص 252 وفيه: (سبحان من لا يحمد على المكروه سواه).

ومنه (1) الدعوى والمطالبة بالحق، فإن رفع الظلامه بيد الله سبحانه وتعالى أولاً وبالذات، وقد جعل الله سبحانه وتعالى لرفع الظلامه أسباباً تكوينية أمر بانتهاجها - كما أمر بمراجعة الطبيب عند المرض - باعتبار أنه تعالى جعل الدنيا دار بلاء وامتحان وأسباب ومسببات، وقد ورد في الحديث الشريف: (اعقلها وتوكل) (2) فهو سبحانه علة العلل.

وبذلك يظهر وجه استحباب التوجه حين مطالبة الحق، حيث ان القلوب بيد الله سبحانه وتعالى، ويمكن أن يكون التوجه لله سبباً لإلقائه سبحانه وتعالى الرفاهة في قلب الخصم فيستجيب لدعوة المظلوم ويرفع ظلامته.

فقد ورد: (قلب السلطان بين إصبعي الرحمان).

كما روى: ان رجلاً جاء إلى الإمام الصادق (عليه الصلاة والسلام) وسأله أن يتوسط لدى الوالى لإنجاز حاجته... ولما قضيت حاجته، جاء إلى الإمام (عليه السلام) متسائلاً: يابن رسول الله متى دخلت عليه؟ فقال (عليه السلام) - ما معناه - : إنى سألت الله الذى بيده القلوب، فألان قلب الوالى لقضاء حاجتك.

من عموم نعم

إفاضة الخير على الجميع

مسألة: يستفاد من (تخلقوا بأخلاق الله) (3) كبرى.

وعموم نعم الله جل وعلا - على ما فى هذا الحديث ومتواتر الروايات والآيات والعقل والوجدان - صغرى:

رجحان تعميم النعمة وإفاضة الخير على الجميع، إضافة إلى اطلاقات البر والمعروف وقضاء الحوائج وغيرها.

ص: 65

1- أى من تمهيد الأسباب.

2- ارشاد القلوب 121 ب 35 فى التوكل على الله. مشكاة الانوار 319 الفصل السابع فى الخصال المنهى عنها. ونهج الفصاحة: ص 69 ح 359. وفى بحار الانوار ج 68 ص 137 ب 63 ح 20 : (واعقل راحلتك وتوكل). وكذا فى البحار ج 100 ص 5 ب 1 ح 18.

3- بحار الأنوار: ج 58 ص 129 ب 42.

وقولها (عليها السلام): (من) بيان ل- (ما) في (والثناء بما قدم).

و (ما قدم) يحتمل أن يراد به: ما أوجد، كما يحتمل أن يراد به: معنى الابتداء، فهو جل وعلا بدأ بالإحسان، ونحن نثنى بالذكر الجميل.

ابتدأها

الابتداء بالنعمة والإحسان

مسألة: يستحب الابتداء بالنعمة والإحسان قبل أن يطلب ذلك من الإنسان.

ويفهم ذلك مما تقدم في البحث الآنف، بالإضافة إلى أن الخير خير، والابتداء بالخير خير مضاعف، ذلك انه في أصل الخير خير، وابتدأه ابتداء بالإحسان، وهو خير إضافي.

ولذا ورد في الأدعية: (يا مبتدئاً بالنعمة قبل استحقاقها).⁽¹⁾

ومن أسماء الله سبحانه (البدىء و البديع)⁽²⁾ فهو سبحانه يبدأ بالنعمة، وهو سبحانه بديع يبدع الأشياء لا من مثال سبقه فتعلم منه، فكل ما في الكون إبداع، من الذرة إلى المجرة، ومن الجوهر إلى العرض، ومن عالم الاعتباريات إلى عالم الحقائق والواقعيات، المادية منها والمجردة، عند القائل بها.

وهناك روايات عديدة تحض على الابتداء بالإحسان، قال: (اليد العليا خير من اليد السفلى).⁽³⁾

وسبوغ آلاء

كمال النعم وتمامها

مسألة: يستحب إسباغ الآلاء، أى إتمامها وإكمالها.

ص: 66

1- البلد الأمين: ص 18 (وفيه يا مبتدياً). وعنه في بحار الأنوار ج 83 ص 75 ب 39 ح 10.

2- الكافي: ج 8 ص 173 ح 194. وبحار الأنوار ج 4 ص 262 ب 4 ح 110

3- بحار الأنوار: ج 21 ص 211 ب 29 ح 2. والبحار ج 75 ص 267 ل 23 ح 108.

والفرق بين العموم والإسباغ في الجملتين:

ان العموم، بمعنى شمولية النعمة، لزيد ولعمرو ولبكر مثلاً، أو نعم عديدة لزيد، أى شمولية النعم للواحد.

أما السبوغ، فعبارة عن الكمال والتمام، و(نعمة سابغة) أى كاملة وافية.

وربما فسر إسباغ النعمة بتوسعتها (1) وربما يعبر ب-: تكثير النعمة، كيفاً لكل واحد من المنعم عليهم.

وتسمى النعمة: نعمة، لأن الإنسان ينعم بسببها، وتسمى: آلاءً جمع إلى (2) لأنها تنتهى إلى الإنسان، فإن مادة (الى) بمعنى الانتهاء وتعنى هنا النعمة، وهو من إضافة الصفة للموصوف فهو بمعنى (آلاء سابغة).

ص:67

-
- 1- قال فى مجمع البحرين: (اسباغ النعمة): توسعتها، ومنه الدعاء: (أسبغ علينا نعمك) أى أفضها علينا سابقة واسعة، والتعدية بعلى لتضمنها معنى الإفاضة، و(إسباغ الوضوء): إتمامه وإكماله، و(الحمد لله سابغ النعم) أى: كاملها وتامها «انتهى». وقال فى لسان العرب: (شئ سابغ) أى: كامل واف، و(سبغت النعمة): إتسعت، و(نعمة سابغة) و(أسبغ الله عليه النعمة): أكملها وأتمها ووسعها.
- 2- (ألى) بالقصر والفتح، وقد تكسر الهمزة، مجمع البحرين مادة (الا).

أسداها، وتمام ممن والاها

إسداء النعمة

مسألة: يستحب إسداء النعم إلى كل الناس، حسب القدرة، حيث تقدم انه يستحب التخلق بأخلاق الله سبحانه وتعالى، والإسداء هو الإيصال بيسر في مقابل الإيصال بعسر. (1)

توالي إفاضة النعم

مسألة: يستحب التوالى في إفاضة النعم وتعاقبها، لما سبق.

كما يستحب أن يتجلى ذكر الإنسان نعم الله سبحانه وتعالى على لسانه وقلبه وجوارحه، فإن مركز ذكر النعمة، اللسان والبدن والقلب، ولذا قال سبحانه: ((اعملوا آل داود شكراً)). (2)

فإن قسماً من الناس يعرف نعم الله سبحانه، لكنه لا يذكرها بلسانه، ولا يظهر أثر النعمة على جوارحه، بصلاة أو صيام أو ركوع أو سجود أو ما أشبه ذلك، ومن الناس من يفعل كل ذلك، ومن الناس من يذكر النعم بلسانه فقط... وهكذا.

فإن المستحب ذكر النعم، كما ذكرتها الصديقة الطاهرة (عليها السلام) باللفظ، بالإضافة إلى ذكرها بقلبها وعملها بجوارحها كما هو دأبهم (صلوات الله

جم عن الإحصاء عددها

عليهم أجمعين).

قولها (عليها السلام): (وتمام ممن) حيث ان مننه تعالى تامة لا نقص فيها.

ص: 68

1- قد يستفاد ذلك من التأمل في كتب اللغة، فقد جاء في لسان العرب: (السدو) «وهو مصدر الثلاثى المجرد»: السير اللين و(السادى) الذى فيه اتساع خطو مع لين «انتهى». وفي المجمع: (أسدى) أعطى.

2- سبأ: 13.

ووالى بين الشئيين بمعنى: تابع، فنعمة سبحانه وتعالى التامة متوالية متلاحقة.

إظهار العجز عن إحصاء النعم

مسألة: يستحب إظهار عجز الإنسان عن إحصاء نعم الله سبحانه ومدى قصوره عن الإحاطة بجانب من مخلوقاته تعالى وهو النعم الإلهية.

لوضوح ان الإنسان محدود بحد صغير فى نطاق ضيق، والنعم محدودة بحد كبير وفى إطار واسع حتى بالنسبة إلى إنسان واحد، فكيف بكل نعم الله سبحانه على كل الناس من أول الخلق وإلى ما لا ينتهى من الجنة.

بل النعم قد يصدق عليها اللامتاهى اللابقفى على امتداد الزمن، إذ لا انتهاء للآخرة (1) بمشيئته تعالى.

وربما يكون الأمر كذلك من الناحية الكمية (2) بل والكيفية (3) أيضاً.

وقد ورد فى الدعاء: (وتقاصر وسع قدر العقول عن الثناء عليك وانقطعت الالفاظ عن مقدار محاسنك وحكت الألسن عن احصاء نعمك واذا ولجت بطريق البحث عن نعتك بهرتها حيرة العجز عن ادراك وصفك) (4).

قولها (عليها السلام): (جم) أى كثر (عن الإحصاء عددها) فإن نعم الله لا يمكن إحصاؤها، فمثلاً فى جسم الإنسان مليارات من الخلايا الحية مما لا يمكن الإنسان من إحصائها وفى كل خلية قشرة (غطاء خارجى) ولب ومركز قيادة. (5)

تذكر لا نهائية النعم

ص: 69

- 1- فالنعم مستمرة زماناً إلى ما لانهاية.
- 2- فربما يكون إعداد النعم فى عالم الآخرة متواترة مترادفة بحيث لا تنتهى كمراتب الأعداد.
- 3- فربما تكون مراتب النعم ودرجاتها متزايدة باستمرار لا متناه، كأن تزداد حلاوة العسل باستمرار ويزداد برد الماء ورواؤه أنا بعد آن وهكذا.
- 4- بحار الانوار ج92 ص403 ب129 ح34، من دعاء كان يدعو به امير المؤمنين (عليه السلام) والباقر والصادق صلوات الله عليهما.
- 5- وقد أحصى بعض علماء العلم الحديث إن فى كل مركز قيادة لكل خلية ثلاثون ألف طابق - إذا ما شبهنا هذا المركز بعمارة ذات طوابق - تمر عبرها وبسببها كافة التفاعلات الكيماوية وغيرها.

مسألة: يستحب أن يتذكر الإنسان دوماً أن نعمه تعالى لاتعد ولا تحصى، وأن يشكر الله ويحمده على ذلك.

فإن تذكر أصل النعمة والشكر لها مستحب، وتذكر أنها لاتعد ولا تحصى مستحب آخر، لأنه نوع من الذكر ومن الشكر، وقد قال سبحانه: ((فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون)).(1)

ونأى عن الجزاء أمدّها

عدم إمكان الجزاء على النعم

مسألة: يستحب تذكير الناس دوماً بأن نعم الله سبحانه وما أفاضه على الخلق لا يمكن ولا يعقل جزاؤها.

لأنه لو فرض إمكان أصل الجزاء منا له تعالى - وهو فرض محال، لأن الجزاء لا يكون إلا بما هو خارج عن ملك المجازى وحيطة قدرته، والحال ان كل موجود داخل في ملك الله سبحانه وحيطته - فهو أيضاً بنعمة اخرى، لأن كل ما للإنسان من جسم وروح وعقل وعاطفة وقدرة وإيمان، وكل ما في الكون بأجمعها، نعم الله سبحانه وتعالى، فكل حركة وكل شكر يستدعى شكراً جديداً إلى ما لانهاية.

قال السيد الطباطبائي في قصيدته:

شكراً وأنا لي بلوغ ما وجب من شكره والشكر للشكر سبب

وبهذا المعنى ورد عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) في مناجات الشاكرين حيث يقول (عليه الصلاة والسلام):

_ (الهي أذهلني عن إقامة شكرك تتابع طولك، وأعجزني عن إحصاء ثنائك فيض فضلك، وشغلني عن ذكر محامدك ترادف عوائدك، وأعياني عن نشر عوارفك توالي أياديك... فألأوك جمّة ضعف لساني عن إحصائها، ونعماؤك كثيرة قصر فهمي عن إداراكها، فضلاً عن استقصائها، فكيف لي بتحصيل الشكر وشكري إياك يفتقر إلى شكر، وكلما قلت لك_

ص:70

الحمد، وجب على لذلك أن أقول لك الحمد... (1).

وتفاوت عن الإدراك أبدها

قولها (عليها السلام): و(نأى) أى بعد، فحياة الإنسان لاتسع لجزء نعمه سبحانه، فأمد النعم قد أبعداها عن إمكان الجزاء، حيث ان نعم الله تواترت على الإنسان قبل خلقته فى هذا العالم - مثلاً عالم الذر - وحين كان تراباً، ثم نطفة، فإنساناً كاملاً، ثم وهو فى عالم الآخرة فى الجنة.

العجز عن إدراك النعم

العجز عن إدراك النعم (2)

مسألة: يستحب ذكر الله سبحانه بهذا النحو الذى يشير إلى محدودية إدراك الإنسان من جهة، وإلى دوام نعم الله تعالى من جهة اخرى.

بيان: ان (ابد) (3) نعم الله سبحانه لاتدرك، إذ ان النعم لامتناهية حيث انها موصولة بجنة لامحدودة - لايقفياً - من حيث الزمن (الكم المتصل غير القار) ومن حيث العدد (4) (الكم المنفصل) كما سبق، بل وربما حتى من حيث المسافة، إذ يحتمل توسع الجنة باستمرار من هذا الحيز أيضاً، ونظيره ما فى الحياة الدنيا قال سبحانه: ((والسمااء بنيناها بأيد وإنا لموسعون)) (5).

ومن المعلوم ان الإدراك محدود خصوصاً فى الدنيا، ولذا لايمكن من إدراك ابد النعم،

ص: 71

- 1- بحار الأنوار ج91 ص146 ب32 ح21. وعنه فى مفاتيح الجنان المعرب ص 122، المناجاة السادسة، مناجاة الشاكرين.
- 2- حول هذا المبحث ونظائره راجع الكتب الكلامية للإمام المؤلف، ومنها: (القول السديد فى شرح التجريد) و(شرح المنظومة).
- 3- الأبد: الدوام والخلود، وبمعنى الدهر الطويل الذى ليس بمحدود.
- 4- أى عدد مصاديق النعم.
- 5- الذاريات: 47.

فقد (تفاوت) أى تباعد تباعداً كبيراً(1) (عن الإدراك أبدها) أى أبد النعم ودوامها.

فلا- يتمكن الإنسان من إدراكها، فإن القوة المدركة محدودة، وذلك غير محدود بالقياس لتلك، والمحدود لا يستوعب غير المحدود استحالة عقلية كما أشرنا إلى ذلك.

وقد يكون السبب فى محدودية القوة المدركة فى الدنيا: سجنها فى حيز الجسم، فلربما توسعت المدارك الإنسانية فى الآخرة بحيث تحيط بالنعم وشبهها، وهذا الأمر على مبنى تجرد الروح أظهر، فتأمل.

ونديهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها

الاستزادة من النعم

مسألة: يستحب السعى للاستزادة من النعم بالشكر وغيره، حتى يتفضل الله سبحانه باتصال النعم بعضها ببعض، فإنه تعالى هو الذى (نديهم) أى دعاهم (لاستزادتها بالشكر)، وإجابة دعوة الله تعالى راجحة(2) دون شك.

وقد وعد سبحانه بزيادة النعم وتواصلها أثر الشكر وبسببه، قال تعالى: ((لئن شكرتم لأزيدنكم)).(3)

وقال سبحانه: ((ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه)).(4)

وقال عز وجل فى آية أخرى: ((ومنجاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغنى عن العالمين)).(5)

التحفظ على النعم

مسألة: يستحب التحفظ على النعم، فإن النعم إنما تحفظ بالشكر القولى والعملى،

ص: 72

1- تفاوت الشيطان تفاوتاً: أكثر تباعد ما بينهما «مجمع البحرين للشيخ الطريحي مادة (فوت)».

2- بالمعنى الأعم.

3- إبراهيم: 7.

4- النمل: 40.

5- العنكبوت: 6.

فللشكر فائدتان: فائدة حفظ النعم، وفائدة الاستزادة منها، واستحباب التحفظ على الأصل - ما هو الموجود من النعم - يفهم من ندبه تعالى للاستزادة منها كما لا يخفى.

كما يستحب تشويق الناس بعضهم بعضاً للاستزادة من النعم، والتحفظ على ما عندهم منها، إذ تشمله اطلاقات كثير من الآيات والروايات، إضافة إلى العقل، وبيان ندبه تعالى لذلك من طرق التشويق.

كما يستحب تعليم الآخرين طرق الاستزادة من النعم وحفظها، ويشمله قوله تعالى: ((تعاونوا على البر والتقوى)) (1).

وهذا من غير فرق بين أن تكون النعمة مادية أو معنوية، ظاهرة أو باطنية، فإن الحمد والشكر يوجبان بقاء النعمة والاستزادة منها.

وجوب أصل الشكر وبعض مصاديقه

مسألة: يمكن القول بوجوب أصل الشكر لله تعالى، فمن أعرض عن شكره مطلقاً (2) كان آثماً، كما قد يجب بعض مصاديقه، لوجوب حفظ أو تحصيل بعض النعم لجهات عديدة.

فإنه من الشكر واجب، ومنه مستحب، فإن كان مقدمة للواجب وجب، وإن كان مقدمة للمستحب استحباب (3)، للتلازم بين المقدمة وذی المقدمة، كما قرر في بحث مقدمة الواجب ومقدمة الحرام (4).

وقد أرشد الله سبحانه للشكر حتى يستزيد الإنسان من نعمه تعالى.

قال سبحانه: ((لئن شكرتم لأزيدنكم)) (5).

وستكون النعم عند الشكر متصلة بعضها ببعض، بفضلته تعالى.

والشكر - فيما عدا الواجب - مستحب مطلقاً.

ص: 73

1- المائدة: 2.

2- بالقلب واللسان والجوارح دائماً.

3- ولو عقلاً.

4- راجع (الأصول) للإمام المؤلف دام ظله.

5- إبراهيم: 7.

كما أن الشكر بهذا اللفظ (1) مستحب، سواء كان بهذه الصيغة أم بسائر الصيغ، وسواء كان متعلقه لفظ الجلالة بذاته أم سائر صفاته، فيصح أن يقول: (شكراً لله) أو (شكراً للخالق) أو (الرازق) أو (الحاكم) أو (العالم) أو (القائم) أو (الدائم) أو (الحى) أو (القيوم).

كما يصح أن يقول: (أشكر) أو (إني شاكر) أو ما أشبه ذلك من الألفاظ الكثيرة، من حيث التعلق ومن حيث صيغة الشكر، وكذلك يصح أن يأتي بصيغة الجمع نحو: (إنا شاكرون) وما أشبه ذلك.

هذا كله فى الشكر اللفظى.

وأما الشكر العملى: فإطاعة الله سبحانه، قال تعالى: ((اعملوا آل داود شكراً)) (2) وقال تعالى: ((اشكروا لى ولا تكفرون)) (3) والمراد بالشكر هنا: الأعم.

واستحمد إلى الخلائق باجزالها وثنى بالندب إلى أمثالها

حمد الله واجب أم مستحب

مسألة: ينبغى حمد الله تعالى على نعمه وعلى غيرها أيضاً.

ولولا القرينة لدل قولها: (استحمد) على الوجوب، إذ (استحمد) بمعنى: طلب منهم - جل شأنه - أن يحمده، لأنه أجزل عليهم النعم، والأصل فى طلب العالى من الدانى وجوب التلبية، خاصة إذا كان مشفوعاً بتعليل كتعليلها (عليها السلام) (4) إذ ذلك ملزم للحمد عقلاً.

ويمكن الالتزام بدلالته (5) على وجوب الطبيعة (6) المنطبقة على الواجب من الحمد (7)

ص: 74

1- أى بهذه المادة.

2- سبأ: 13.

3- البقرة: 152.

4- فى قولها عليها السلام: (باجزالها).

5- أى دلالة (استحمد).

6- وهى الكلى الطبيعى.

7- المراد: ان هناك مصاديق واجبة شرعاً تتضمن الحمد له تعالى، كالصلاة المتضمنة لسورة الحمد - مثلاً - فينطبق كلى (الحمد) المطلوب على هذه المصاديق ويتحقق بها.

فيتحقق امتثالها بالإتيان بتلك المصاديق وتكون القرائن صارفة عن إرادة العموم(1) فتأمل.

ونظيره قوله تعالى: ((فليعبدوا رب هذا البيت، الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)) (2)

و(الإجمال): عبارة عن الإكمال كما سيأتي، فهذه الجملة بالنسبة إلى الكيف، وإن أمكن غير ذلك، والجملة السابقة (3) بالنسبة إلى الكم، فشكره على حمده (4) يزيدا كما ويعطيها الديمومة زمناً.

وقد يفرق بين الحمد والشكر:

بأن (الحمد) أعم، إذ ليس فيه دلالة على نعمة واصله إلى الحامد، لأنه ربما يحمد لكون المحمود له صفة حميدة، بينما (الشكر) له هذه الدلالة، وقد سبق ذلك.

ثم لا يخفى ان الشكر والحمد مطلوبان لله تعالى لأجل الإنسان نفسه، لالفائدة تعود إليه سبحانه، إذ هو تبارك وتعالى الغنى المطلق، فهما كعبادته جل وعلا تزيد الإنسان تكاملاً وسمواً واقتراباً منه سبحانه، فطلبه ذلك مناً للطفه وكرمه وفضله وحكمته.

ويشير إلى ذلك ما ورد من قوله تعالى في الحديث القدسي: (عبدى أطعنى تكن مثلى أقول للشئء كن فيكون، وتقول للشئء كن فيكون) (5).

وقوله سبحانه: ((وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم)) (6).

ص: 75

1- أى ارادة: ايجاب مطلق الحمد وكل أفراده، فعلى هذا تكون سائر أفراد الحمد المتحققة فى غير الواجبات المعهودة مستحبة.

2- قریش : 34.

3- (ونذبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها).

4- أى معه.

5- راجع عدة الداعى ص 310 وفيه: (يابن آدم انا اقول للشئء كن فيكون اطعنى فيما أمرتك اجعلك تقول للشئء كن فيكون). وفى الصراط المستقيم ج 1 ص 169 عنه صلى الله عليه وآله وسلم: (ان لله عباداً أطاعوا الله فأطاعهم الله يقولون للشئء بأمره كن فيكون).

6- يس: 61.

وقوله تعالى: ((أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً)).(1)

ونظائرها كثيرة، مما يدل على أن النفع والضرر يعود للإنسان نفسه.

و(الإ-جزال) معناه: الإكمال والإتمام والإكثار(2) يقال: (أجزلت له من العطاء) أى: أكثرت، فإن أصل النعمة يوجب الحمد والشكر والإكثار من النعمة يستدعى مزيداً من الحمد والشكر.

فاللازم وجوباً أو استحباباً إيقاف الناس على ذلك، حتى يحمده ويشكروه سبحانه وتعالى أكثر وبذلك يستجلبون خيراً أكثر بلطف الله سبحانه وتعالى.

وكما أنه سبحانه نديهم للاستزادة منها في دار الدنيا، كذلك نديهم إلى الحصول على أمثال نعم الدنيا في الآخرة عبر الشكر والحمد، قال تعالى: ((كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً)).(3)

فالشكر والحمد أولاً يزيد نعم الدنيا، وثانياً يسبب نعم الآخرة، فهو تعالى قد ثنى دعوته وطلبه(4) ب- (الدعوة إلى أمثالها) أى: أمثال تلك النعم والآلاء والمنن(5)، فالراجح - وجوباً أو استحباباً - نذب العباد ودعوتهم إلى الاستزادة منها.

وهذه هي نوع من التجارة مع الله سبحانه، نظير قوله تعالى:

((إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة)) (6).

ص:76

1- المائدة: 76.

2- تستفاد هذه المعانى مما ذكره اللغويون لتوضيح معنى (جزل) أو موارد استعماله، فمثلاً: (جزل) ككرم: صار ذا رأى جيد، و(الجزل): العاقل الأصيل الرأى «القاموس المحيط» - (جزل) و(حطباً جزلاً) أى: غليظاً قوياً، و(رجل جزل) أى: جيد الرأى، و(امرأة جزلة) أى: تامة الخلق و(اللفظ الجزل): خلاف الركيك و(الجزيل): العظيم، و(عطاء جزل وجزيل) أى: كثير - «راجع لسان العرب مادة جزل».

3- البقرة: 25.

4- أى أضاف لطلبه الأول «وهو طلب الحمد فى (استحمد) وطلب الشكر فى الجملة السابقة» طلباً ثانياً هو «الدعوة إلى الأمثال».

5- فى قولها عليها السلام: (من عموم نعم ابتداها وسبوغ آلاء أولها وتمام منن والاها).

6- التوبة: 111.

ومن الواضح: انها تجارة رمزية، إذ لا نسبة بين الثمن والمثمن، إضافة إلى أن الكل ملك له تعالى. (1)

وأشهد أن لا إله إلا الله

بحث حول كلمة التوحيد

مسألة: التعبير ب- (أشهد) دون (أقر) أو (أعترف) أو ما أشبه ذلك، نظراً لأن (الشهادة) و(الشهود) هو أعلى مراحل الإدراك، ووجوده تعالى ووحانيته من الوجدانيات والفطريات، فهو معلومة للإنسان بأجلى أنحاء المعرفة، وكذلك فيما هو بمنزلة ذلك. (2)

وكلمة التوحيد (3) مركبة من عقد سلب وعقد إيجاب، فنفي الباطل والغير أولاً، ثم إثبات الحق المحض المطلق.

هذا ونفى الشريك يستلزم - لدى الدقة - نفي الجزء أيضاً (4) إضافة إلى أن التركيز على نفي الشريك لأنه الشائع في المعتقدات دون قسمه. (5)

ثم إن وجوب الإيمان بالله تعالى فطري وعقلي، وما ورد من إيجاب ذلك إرشاد وإفادات.

وإن منكر وجوده تعالى كافر، فإن كان معتقداً به سبحانه فيما سبق ثم أنكر

ص: 77

1- أى : إن الثمن والمثمن، والمشتري والمشتري كلها ملك لله تعالى، ولذلك كانت المعاملة رمزية مجازية.

2- قد يكون المراد الشهادة برسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الثابتة بالبراهين الجلية.

3- أى (لا إله إلا الله).

4- قد يكون هذا دفع دخل مقدر، وإجابة عن انه لماذا لم تتضمن كلمة التوحيد نفي الاجزاء لله تعالى؟.. حيث ان إثبات الواحدية يستلزم

إثبات الأحدية أيضاً، إذ المركب لا يخلو إما أن يكون كلا جزئيه واجباً فلم يكن واحداً وهذا خلف، أو يكون كلاهما ممكناً فلا يعقل أن

يكون المركب منهما واجباً، وهذا خلف، أو يكون أحدهما واجباً فعندئذ لا يكون المجموع واجباً - إذ النتيجة تتبع أحس المقدمتين - بل

كان هذا الجزء واجباً وذاك كضم الحجر بجانب الإنسان ويكون التعبير بالجزئية باطلاً.

5- وهو نفي الجزء والتركب.

كان مرتداً، والمرتد فطري وملى، والبحث في ذلك كله موكول إلى مظانه(1).

والحكمة في ذكر ذلك كله - من: أصول الدين ولواحقها والفروع وشطر وافر من الأخلاقيات - في خطبتها (عليها السلام)، هي: التعليم والتزكية والتأكيد والتركيذ والتذكير وإتمام الحجفة.

فإن بأمثال هذه الخطبة منها ومن أبيها وبعليها وبنيتها (عليهم صلوات المصلين) أثاروا عن الناس دفائن العقول(2) وعلموهم وزكوهم(3).

وبأمثالها تركزت هذه المباني وثبتت وترسخت رغم كل الطوارئ والموانع والتشكيكات والشبهات.

وبأمثالها تمت الحجفة على الناس: ((لئلا يكون للناس على الله حجة)).(4)

وقد يكون لذلك أيضاً ما نجد من الشارع المقدس حيث قد سن واجبات ومستحبات تمتد بامتداد حياة الإنسان كلها، من الولادة حتى الوفاة(5) بل من قبلهما ومن بعدهما أيضاً(6) وهي تتضمن الحديث عن الأصول والفروع والأخلاقيات وشبه ذلك.

وحده لاشريك له

فلذلك نجدها عليها السلام تحدثت عن ذلك كله في خطبتها، تزكيةً وتعليماً وتذكيراً وإتماماً للحجفة، ويتضمن ذلك أيضاً بعد الأسوة.

ص:78

1- راجع موسوعة الفقه ج4 ص182-274 كتاب الطهارة، الثامن في نجاسة الكافر.

2- إشارة للحديث الوارد في بيان حكمة بعثة الأنبياء عليهم السلام: (ويشيروا لهم دفائن العقول) «بحار الأنوار ج11 ص60 ب1 ح70».

3- إشارة إلى قوله تعالى: ((هو الذي بعث في الأميين رسولاً يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)) «الجمعة : 2».

4- النساء: 165.

5- فمثلاً يستحب الأذان والإقامة في أذن الوليد.

6- كالأدعية الواردة قبل وحين الحمل، وكالأدعية التي تقرأ للبيت والصلاة عليه وتلقينه.

وحدانية الله وأحديته

مسألة: يجب، وجوباً فطرياً وعقلياً (1) الاعتقاد بوحدانيته تعالى، وبأحديته أيضاً ف-: (كما هو الواحد إنه الأحد ليس له الاجزاء لا اجزاء حد)(2)

فإن اللازم أن يعتقد الإنسان بالإله الواحد، الفرد، الذي لا شريك له ولا جزء له، ومن اعتقد بشريك لله سبحانه كان مشركاً، أى: أشرك بالله غيره.

سواء جعل له من البشر ولداً أو والداً أو زوجة: ((لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد)).(3)

أو إلهاً آخر، كما فى الثنوية الذين يعتقدون بالهين اثنين: إله الخير وإله الشر، أو إله النور والظلمة، أو أكثر من ذلك، فإن هذا أيضاً مشرك، عليه أحكام الكفار كما هو مذكور فى (الفقه)(4).

و(وحده) و(لا شريك له) تأكيد فى تأكيد لمضمون (لا إله إلا الله) وكان التأكيد محبذاً، لشيوع الشرك وشدة تمسك طوائف عديدة به ولغير ذلك(5).

استحباب التلفظ بالشهادة

مسألة: يستحب التلفظ بالشهادة بوجوده ووحدانيته سبحانه وتعالى.

فإن المستحب استخدام مادة الشهادة مثل: (أشهد) أو (شهادتى) أو ما أشبه ذلك، وإن لم يكن هذا اللفظ بما هو هذا اللفظ - مادة وصيغة - واجباً، ولذا لو قال: (أعتقد بالله واحد) أو تلفظ بنظائر ذلك كان كافياً.

فأصل الإيمان بالله تعالى وبوحدانيته واجب، أما النطق بلفظ الشهادة فهو مستحب، إلا فى مثل التشهد فى الصلاة حيث دل الدليل على الوجوب، وكذلك الشهادة بسائر صفاته

ص: 79

1- ذهب الإمام المؤلف فى (الأصول) إلى أن العقل حاكم أيضاً لا مدرك فقط، على ان العبارة هنا أعم من الإدراك والحكم.

2- أجزاء الحد: هى أجزاء المهية، أى الجنس والفصل، فليس له حتى التجزؤ العقلى.

3- الإخلاص: 34.

4- راجع موسوعة الفقه ج4 ص182-274 كتاب الطهارة، الثامن فى نجاسة الكافر.

5- كاهمية الموضوع.

الثبوتية والسلبية، فإن أصل الاعتقاد بها واجب والتلفظ مستحب.

حيث ان (التلفظ) له أثر تكويني ووضعي ونفسي وخارجي في كثير من الأحيان، وفي العديد من الأمور، إذ انه نوع من (الإيحاء) و(التلقين) إضافة إلى مدخليته في تلوين المحيط وإعطاء صبغة معينة: ((صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة)).(1)

وهو (المظهر) الذي يبنى عليه(2) العقلاء الكثير من شؤون حياتهم، غير مكتفين ب- (المضمر والمخبر) فحسب. كما في العقود والإيقاعات التي قد يعد الكلام أحد المبرزات والأركان لها، وحده فقط أو لا.(3)

التأكيد في الاعتقادات

مسألة: يستحب التأكيد في القضايا الاعتقادية، تأكيداً لفظياً أو معنوياً، كما قالت (سلام الله عليها): (لا إله إلا الله).. (وحده).. (لا شريك له).

وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حينما وقف قائماً على باب الكعبة: (لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده)(4) وكما نشاهد ذلك في كلمات كثيرة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكلمات المعصومين (عليهم السلام).

والظاهر ان الضمير أيضاً كاف، كما ورد في القرآن الحكيم: ((فاعلم انه لا إله إلا هو)).(5) وما أشبه ذلك.

استحباب الابتداء بالشهادة

مسألة: يستحب تضمين بداية الخطبة أو الكلام - بل والعمل أيضاً - بالشهادة لله بالوحدانية.

ص: 80

1- البقرة: 138.

2- أى على المظهر.

3- أى مع غيره، ف- (لا) نفى ل- (فقط) والمقصود: ان العقلاء في العقود والإيقاعات يشترطون المبرز وهو اما اللفظ فحسب - على مبنى البعض أو في بعض الموارد - أو اللفظ وغيره من سائر المبرزات كالإشارة والفعل مثلاً على سبيل البدل.

4- بحار الأنوار: ج 21 ص 105 ح 26.

5- محمد: 19.

فإن الابتداء فى كل خطبة وكل كلام وكل عمل - تجارة كان أم زراعة أم سفراً أم غير ذلك - بالشهادة، سواء كان بنفس لفظ الشهادة أم غيرها، مثل أن يقول: (لا إله إلا الله) مستحب وموجب للمباركية ونزول الخيرات الإلهية وتوجه العناية الربانية، وفى الحديث: (فإن ذكر الله سبحانه حسن على كل حال فلا تسأم من ذكر الله) (1) فتشمله الإطلاقات ودليل الأسوة.

ويمتاز ابتداء الكلام بالعناية الأكثر، إذ هو من أجلى المصاديق.

وكذلك الأمر فى آخر الكلام أو العمل، فى كثير من الأحيان، كما ورد: (فإن من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة). (2)

وقال (عليه السلام): (كفارات المجالس أن تقول عند قيامك سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين). (3)

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن كفارة المجلس: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت رب تب على واغفر لى). (4)

صبغة الله

مسألة: يستحب (تطعيم) و(ملا) كافة جوانب الحياة ببيان الأمور الإعتقادية، وتحويل ذلك إلى سنة شاملة بحيث تتحول إلى جزء لا يتجزأ من حياة الناس، فى المسجد والمدرسة والمعمل والمتجر والبيت وغيرها، فذكر وبيان وكتابة القضايا الإعتقادية ينبغى أن يملأ الخطب والكتب والصحف وحتى الجدران عبر لوحات صغيرة تتضمن كلمات منتخبة تذكر بأصول العقائد.

ص: 81

- 1- وسائل الشيعة: ج 1 ص 219 ب 7 ح 2.
- 2- من لا يحضره الفقيه: ج 1 ص 132 ح 345. والأمالى للشيخ الصدوق ص 540 المجلس الثمانون. وثواب الأعمال ص 195 ثواب تلقين الميت. ودعوات الراوندى ص 250 فصل فى تلقين المحتضر عند الموت وتغسيله وتشييعه.
- 3- وسائل الشيعة: ج 15 ص 585 ب 37 ح 1، والآيات المباركة فى سورة الصافات: 180-182.
- 4- مستدرک الوسائل: ج 5 ص 290 ب 4 ح 5884.

ولذلك نرى الصديقة الطاهرة (عليها السلام) تتطرق بدءاً ووسطاً وختماً لتلك القضايا العقائدية، ونرى آل البيت (عليهم السلام) والعلماء الأبرار من بعد قد أدخلوها حتى في خطبة عقد النكاح: (الحمد لله الذى أحل العقد والنكاح وحرّم الزنا والسفاح، والصلاة والسلام على محمد وآل بيته سادات أهل الخير والفلاح...).

فإن هنالك مرحلتين:

الأولى: أن يملأ الإنسان ذهنه وضميره بكلمة التوحيد - لفظاً ومضموناً - ونظائرها من الأمور الاعتقادية، وأن يطفح ذلك على لسانه دوماً بينه وبين نفسه، قال تعالى: ((الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم)).(1)

الثانية: مرحلة تعامل الإنسان مع الآخرين في هذا البعد: عبر بيان ذلك للناس قولاً وكتابة وغير ذلك، بحيث يصبح مظهر المجتمع مظهراً لكلمات التوحيد والشهادة بها وبالنبوة وما أشبه ذلك.

ويشير إلى هذا بأوفى بيان إعجازى، قوله تعالى: ((صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة)) (2) فاللازم أن تتحول الشهادات بل الشهادات الثلاث ونظائرها إلى (صبغة) عامة للمجتمع وشاملة لشتى ميادين الحياة.

كلمة جعل الإخلاص تأويلها

الإخلاص فى العقيدة والعمل

مسألة: يجب الإخلاص فى الإعتقادات، وكذا فى الأعمال الجوانحية والجوارحية الأخرى فى الجملة، فإن الإنسان يجب أن يعقد قلبه على الإيمان بأصول الدين مخلصاً غير مشوب ذلك بشىء (3)، بأن يقوم بأعماله العبادية مخلصاً لله، لارياً أو سمعةً، أو طمعاً فى أجر

ص: 82

1- آل عمران: 191.

2- البقرة: 138.

3- يمكن توضيح تصور إمكان وقوع الشرك فى القضايا الاعتقادية عبر ذكر بعض الأمثلة: الإيمان بوحداية الله تعالى لأنه كذلك، لا لأجل أنه لولا الإيمان بوحدايته سيدخل فى النار، بحيث لولا هذا التخوف لما آمن بوحدايته، وكذلك الأمر من حيث الطمع فى الجنة، فى هذا المثال، وكذا فى بقية الأمور الاعتقادية، وهناك مثال من نمط آخر: الإيمان برسالة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأن الله سبحانه اتخذه رسولاً، لا لأنه عربى أو لأنه من قبيلة كذا أو ما أشبه ذلك - مما يذهب اليه القوميون وأشباههم - ولو بنحو التشريك، أى يؤمن برسالته (صلى الله عليه وآله وسلم) لأن الله أرسله ولأنه كان عربياً. ويمكن التمثيل بنمط آخر وإن كان نادراً: الإيمان بأى واحدة من أصول الدين لما سبق، لاخوفاً من انكشاف عدم اعتقاده بها وعدم عقد قلبه عليها ولو عبر فلتات اللسان أو عبر أجهزة كشف الأفكار أو ما أشبه ذلك.

دنيوى أو ما أشبه ذلك، إلا ما كان على نحو الداعى على الداعى (1) فإذا لم يكن له إخلاص لم يقبل الله سبحانه منه، كما قال تعالى فى قرآنه الحكيم:

((وما أمروا إلا ليعبدوا لله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة)) (2).

و(القيمة) صفة لمحذوف أى دين الطريقة القيمة، أو دين النفس القيمة، أو ما أشبه ذلك مما يمكن تقديرها لأن تكون (القيمة) صفة لها، فإن الموصوف إذا كان مذكراً والوصف مؤنثاً، أو بالعكس يقدر مثل هذا التقدير (3).

أما بالنسبة إلى ما عدا الإعتقادات والأعمال العبادية كالمعاملات والأعمال الشخصية وما أشبهه، فإن كان مقروناً بالإخلاص كان سبباً للفضل والبركة.

وهناك رواية تفيد استحباب أن يجعل الإنسان كل أعماله حتى أعماله العادية وأفعاله الشخصية اليومية - كالأكل والشرب والمنام مثلاً - لله سبحانه وتعالى، فإذا أكل شيئاً أو شرب الماء، أكله وشربه بلحاظ ان الله سبحانه أمر أن يكون صحيح الجسم سليم الجسد ومتنعماً

ص: 83

1- كمن يستأجر للصلاة نيابة عن ميت مقابل كذا من المال، فإن الأجرة لو اعتبرها داعياً لكى يقصد (الصلاة لله) صح وإلا فلا، والاستثناء فى كلام المصنف منقطع كما لا يخفى.

2- البيئ: 5.

3- وفى تفسير تقريب القرآن ج3 ص205: (دين القيمة) أى دين الكتب القيمة - التى تقدم ذكرها - بمعنى انه الدين المذكور فى تلك الكتب. وفى تفسير مجمع البيان ج5 ص522: (دين القيمة تقديره دين الملة القيمة، لانه اذا لم يقدر ذلك كان اضافة الشىء الى صفته وذلك غير جائز، لانه بمنزلة اضافة الشىء الى نفسه).

بنعم الله تعالى:

((قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا))⁽¹⁾.

وفى الروايات: (إن لبدنك عليك حقاً)⁽²⁾.

وكذلك إذا ذهب إلى دورة المياه أو سافر للترفيه أو باشر زوجته وغير ذلك.

بل حتى المكروهات قد يمكن إتيانها لله سبحانه وتعالى إذا كانت محلاً لذلك⁽³⁾ حيث ورد: (إن الله يحب أن يؤخذ برخصه، كما يحب أن يؤخذ بعزائمه)⁽⁴⁾ فتأمل.

وأما في المحرمات بدون أن يكون لها جهة وجوب فلا، نعم إذا صار للمحرم جهة وجوب أهم كان كذلك، كما إذا عمل محرماً نقيية أو خوف ضرر أكبر كخوف الموت إذا لم يستعمل هذا الحرام - كأكل لحم الخنزير في المخمصة - كما قال سبحانه: ((فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه))⁽⁵⁾ مما فصل مبحثه في الفقه⁽⁶⁾.

ثم لا يخفى أن مرجع ومآل الشهادة ب- (لا إله إلا الله) الإخلاص، والمراد بكون مرجعها الإخلاص: إما المرجعية الثبوتية أو التكوينية، فيكون كلامها (عليها السلام) إخباراً، وقد يؤيده السياق، وإما أن يكون المراد هو: عليكم أن ترجعوها للإخلاص، فيكون كلامها (عليها السلام) إنشاءً في قالب الإخبار، فقد جعل سبحانه وتعالى تكويناً أو تشريعاً للإخلاص تأويلاً لكلمة (لا إله إلا الله).

وإذا كانت هذه الكلمة، وهي أس الدين، مرجعها إخلاص فوجوبه - في الجملة - بديهي.

وإذا لم يكن إله غير الله فمن الواضح إنه يجب عقلاً الإخلاص له.

قال علي (عليه السلام): (وكلمة الإخلاص فانها الفطرة)⁽⁷⁾.

ص: 84

1- الأعراف: 32.

2- راجع مستدرک الوسائل: ج 11 ص 154 ب 3 ح 12664.

3- بأن عارضها أهم مثلاً.

4- مستدرک الوسائل: ج 1 ص 144 ب 23 ح 214.

5- البقرة: 173.

6- راجع موسوعة الفقه كتاب (القواعد الفقهية) قانون الأهم والمهم، للإمام المؤلف دام ظله.

7- من لا يحضره الفقيه ج 1 ص 205 ح 613.

وقال على (عليه السلام) : (وكمال توحيد الإخلاص له وكمال الإخلاص له نفى الصفات عنه لشهادة كل صفة انها غير موصوف وشهادة كل موصوف انه غير الصفة)[\(1\)](#) فيكون الإخلاص بمعنى الاعتقاد بأنه تعالى خالص من كل نقص وما أشبه ويكون هذا الاعتقاد واجباً.

ص: 85

1- بحار الأنوار: ج 4 ص 247 ب 4 ح 5 عن نهج البلاغة.

توحيد الله في أعماق القلوب

مسألة: يستحب أن يؤكد الإنسان على أن التوحيد ومعرفة الله سبحانه من الأمور الفطرية، فإن وجود الله سبحانه وتعالى ووحدانيته من الفطريات التي غرست في أعماق ذات الإنسان(1)، فقد تضمنها قلب كل فرد وقد وصلت بالقلب خلة كبرهان ملازم، إلا أن الغبار قد يتراكم ليحجب الرؤية، فكان التذكير والتأكيد مطلوباً لذلك، فالتركيز على ذلك ينفع الإنسان نفسه وغيره أيضاً.

أما الإنسان نفسه: فلأنه إichاء، والإيحاء يوجب مزيداً من الجلاء ومراتب أعلى من الوضوح(2).

وأما لغيره: فلأنه هداية وإرشاد وإفادات إلى أن الفطرة مطابقة لما أمر الله سبحانه وتعالى من العقيدة القول والعمل، قال سبحانه: ((فطرت الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله)).(3)

فالشهادة إذن موصولة بالقلوب ومغروسة فيها، من وصله فهو موصول، فإن الله سبحانه جعل فطرة الإنسان - في قلبه - بالشهادة على وحدانيته.

ولما دخلت الشهادة في القلب أعطت نوراً لفكر الإنسان، فإن فكر الموحد له نور خاص كاشف عن الواقع، إذ يرى الأشياء كما هي لا كما يراها الطبيعي والثنوي ومن أشبههما.

وفي الرواية الشريفة: (ليس العلم بكثرة التعلم، إنما هو نور يقذفه الله في قلب من يريد أن يهديه).(4)

وقال (عليه السلام) : (العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء).(5)

ص: 86

1- راجع الكافي ج 2 ص 12 باب فطرة الخلق على التوحيد.

2- كما ثبت ذلك في علم النفس.

3- الروم: 30.

4- بحار الأنوار : ج 67 ص 140 ب 52 ح 5 (بيان).

5- مصباح الشريعة ص 16 ب 6 في الفتيا.

وقولها (عليها السلام): (معقولها) لعل المراد ان ما يعقل من كلمة التوحيد من المراتب واللوازم، أى ما يمكن أن يتعقله الإنسان منها، قد أعطاه الله للإنسان ومنحه إياه، حيث أناره في تفكيره، فقد أفاض إلى الحد الذى يتحملها العقل البشرى وهو غاية اللطف والفضل.

وحيث أن للإنسان مركزين: مركزاً للعاطفة ومركزاً للتفكير، وبعبارة أخرى: قلب وعقل، فقد غرس الله تعالى أصول الدين فيهما، فقد ضمنها القلوب أى «التوحيد الفطرى» كما أنارها العقول أى: «التوحيد النظرى» (1) كى لا يكون للناس على الله حجة بعد ذلك.

ومنه يستفاد: أهمية القلب والفكر والتأكيد عليهما، خاصة فى الاعتقادات كالتوحيد.

الممتنع من الأبصار رؤيته ومن الألسن صفته

امتناع رؤية الله تعالى ووصفه

مسألة: يجب الاعتقاد بأن الله تبارك وتعالى ليس بجسم، ولا يحل فى جسم، وليس فى جهة، وحكم من قال: بكونه تعالى جسماً وادعى الحلول مذكور فى (الفقه). (2)

فإنه سبحانه وتعالى مجرد عن المادة والحيز والجهة والمكان والزمان والمقدار ومضارعاتها، ولذلك يستحيل رؤيته. (3)

وهذه من الصفات السلبية على ما ذكره العلماء فى كتبهم الكلامية، لأنه تعالى ليس بمركب ولا- جسم ولا مرئى ولا محل للحوادث ولا شريك له ولا- فقر له فى أية جهة من الجهات، وإذا كان الممكن غنياً فى بعض الجهات غنىً مجازياً، فإنه تعالى غنى بكل أبعاد معنى الغنى، فهو الغنى بالذات وهو الغنى المطلق، وغيره الفقير المطلق وما له فهو بالعرض.

ثم إن رؤيته تعالى ممتنعة عن (الأبصار) لا (البصائر) كما ورد فى الحديث عن أبى عبد الله (عليه السلام): (جاء حبر إلى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت

ص: 87

1- أى: ما يثبت بالدليل والبرهان العقلى.

2- راجع موسوعة الفقه، كتاب الطهارة، مبحث النجاسات.

3- كما تستحيل رؤية عدد من المخلوقات كالروح والعقل وما أشبه مما يسمى ب- (المجردات).

ربك حين عبدته؟ قال: فقال علي (عليه السلام): ويلك ما كنت أعبد رباً لم أره! قال: وكيف رأيتَه؟ قال: ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان. (1)

أما اللسان فهو أيضاً لا يتمكن من وصف الله سبحانه، لأن مفردات اللغة محدودة واللسان أيضاً محدود كماً وكيفاً، وصفاته تعالى غير محدودة ولا يمكن أن يستوعب المحدود غير المحدود كما تقدم.

إضافة إلى أن صفاته سبحانه عين ذاته، وكما لا يمكن إدراك كنه ذاته فكذلك صفاته، وما يذكر في وصفه تعالى فهو إشارات وعلامات عامة لا غير، قال (عليه السلام): (فليس لكونه كيف ولا له أين ولا له حد ولا يعرف بشئ يشبهه). (2)

ص: 88

1- الكافي: ج 1 ص 97 ح 6. والتوحيد ص 174-175 ح 2 باب نفى المكان والزمان والسكون والحركة والنزول والصعود والانتقال عن الله عزوجل.

2- الكافي: ج 1 ص 88 ح 3 عن أبي جعفر (عليه السلام).

ابتداعاً، وإنما هو جمع وتفريق وما أشبه ذلك، أو إنه يستمد مما هو مخزون في فطرته أو عقله أو وعيه الباطن. (1)

هذا ولا يخفى ان التفكير في الكون وعظمته وعظمة خالقه بالإضافة إلى دلالة جملة من الآيات والروايات عليه - كما سبق - يوجب توثيق الارتباط بالله سبحانه وتعالى، والاتصال بالله يسبب استقامة التفكير وسموه وصقل الروح واستحكام النفس الملهمة بالتقوى وغلبتها على النفس الأمارة، وإيجاد معانٍ متعالية أخرى في الإنسان، كالتوكل على الله والرضا بقضائه والتسليم لأمره، وما أشبه ذلك، وهذا من علل الدعوة للتفكير في مخلوقاته تعالى.

قال جل وعلا: ((أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت، وإلى الأرض كيف سطحت، فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر)). (2)

فإنه تعالى أحدث (الأشياء) كلها وابتدأ خلقها لا عن مادة موجودة سابقاً، إذ لا يعقل أن تكون المادة أزلية، لأن كل متغير حادث، فإن المتغير لا - يكون قديماً، كما أن القديم لا يكون متغيراً، على ما فصل في علم الكلام. (3) فالعلة المادية والعلة الصورية للشيء كلاهما مخلوقان له تعالى، ويمكن الاستناد - في جملة الأدلة النقلية - إلى كلامها (عليها السلام) هذا: (ابتدع الأشياء) في إبطال أزلية العالم والعقول العشرة وما أشبهه. (4)

ولم يكن هناك مثال سابق حتى يخلق الله تعالى الأشياء على تلك الأمثلة مقتدياً بها، وربما يستثم ان الجملة الأولى (5) إشارة للعلة المادية، وهذه الجملة (6) إشارة للعلة الصورية.

ص: 92

- 1- إضافة إلى إن كل شخص قد مر بعوالم سابقة كعالم الذر - مثلاً - ولا يعرف ما الذي شاهده أو سمعه هناك، بالإضافة إلى أن العالم ملئ بالأصوات والذبذبات والأمواج وما أشبهه، ولعل ما خطر بباله مما تصوره إبداعاً هو مما التقطه من تلك الذبذبات ونحوها.
- 2- الغاشية: 17- 22.
- 3- ومن الأدلة على ذلك برهان الدور والتسلسل، راجع (القول السديد في شرح التجريد) للإمام المؤلف دام ظله.
- 4- فان الأشياء جمع محلى بأل فيفيد العموم.
- 5- أى: (ابتدع الأشياء...).
- 6- أى: (وأنشأها...).

قدرته تعالى

مسألة: يجب الاعتقاد بقدرته تعالى، والتفصيل المذكور في علم الكلام.

قال تعالى: ((إن الله على كل شيء قدير)) (1).

وقال سبحانه: ((وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً)) (2).

فإن التكوين كان بالقدرة لا بألة حتى يكون من قبيل قطع الحطب بالمشار، وإلا لعاد الكلام إلى خلق تلك الآلة، وهكذا، فيتسلسل والتفصيل في محله.

وذراًها بمشيئته

مشيئته تعالى

مسألة: يجب الاعتقاد بمشيئته تعالى وإرادته وإنه الفاعل المختار، على ما هو المذكور في علم الكلام.

قال سبحانه: ((يخلق الله ما يشاء)) (3).

وقال تعالى: ((وربك يخلق ما يشاء ويختار)) (4).

وقال سبحانه: ((إن ربك فعال لما يريد)) (5).

وقال تعالى: ((إن الله يفعل ما يريد)) (6).

وقال عز وجل: ((ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا ان يشاء الله)) (7).

ص: 93

1- البقرة: 20.

2- الفاطر: 44.

3- النور: 45.

4- القصص: 68.

5- هود: 107.

6- الحج: 14.

7- الكهف: 23-24.

وقال سبحانه: ((وما تشاؤون الا ان يشاء الله رب العالمين)) (1).

و(الذرة) الخلق، فكأنه يهب على الممكن نفحة الوجود ب- (الذريات)، فالفرق بين الخلق والذرة بالاعتبار (2).

و(المشيئة) من (شاء) أى أراد، والمراد: الإرادة التى هى صفة الفعل لا صفة الذات.

من غير حاجة الى تكوينها

الغنى المطلق

مسألة: يجب الاعتقاد بأنه تعالى هو الغنى المطلق ولا يحتاج إلى أى شىء، وتفصيل الكلام فى علم الكلام، قال سبحانه: ((واعلموا ان الله غنى حميد)) (3).

وقال تعالى: ((وربك الغنى ذو الرحمة)) (4).

وقال سبحانه: ((فان الله غنى عن العالمين)) (5).

ص: 94

1- التكوير: 29.

2- وفى تفسير (تقريب القرآن) للإمام المؤلف دام ظلّه ج 26 ص 163: (والذريات) الواو للقسم، أى قسما بالذريات وهى الرياح التى تذرّوا التراب وغيره (ذرّوا) مفعول مطلق للتأكيد. وفى (مجمع البيان) ج 5 ص 152: (ذرت الرياح التراب تذرّوه ذرّوا، اذا طيرته وأذرتّه تذرّيه بمعناه). وفى (لسان العرب) مادة ذرا: (ذرا: ذرت الرياح التراب وغيره، تذرّوه وتذرّيه ذرّوا وذريا وأذرتّه وذرتّه: أطارته وسفته وأذبتّه، وقيل: حملته فأثارتّه وأذرتّه، اذا ذرت التراب وقد ذرا هو نفسه.. وفى التنزيل العزيز: والذريات ذرّوا، يعنى الرياح،.. وأذريت الشىء اذا القيته مثل القانك الحب للزرع. ذرّأ: فى صفات الله عزوجل، الذارئ، وهو الذى ذرّأ الخلق: أى خلقهم، وكذلك البارئ، قال الله عزوجل: ولقد ذرّأنا لجنهم كثيرا، أى: خلقنا. وقال عزوجل: خلق لكم من أنفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرّوكم فيه). انتهى.

3- البقرة: 267.

4- الأنعام: 133.

5- آل عمران: 97.

وقال تعالى: ((لله ما فى السماوات والأرض ان الله هو الغنى الحميد)). (1)

إفاضة الخير، لذاته

مسألة: يستحب أن يفعل الإنسان الخير وإن لم يكن محتاجاً إليه، بل أن يفعل الخير لذاته بما هو هو، لا لما سيرجع منه إليه.

والعبارة (2) عرفية، إذ المراد ب- (الحاجة) الحاجة الظاهرية الدنيوية، وإلا فإن (الخير) مطلقاً له فائدة يحتاجها الإنسان إما بنحو الأثر الوضعى الدنيوى أو بنحو الأجر الأخرى.

وذلك لما تقدم من استحباب تخلق الإنسان بأخلاق الله سبحانه وتعالى، حيث ورد: (تخلقوا بأخلاق الله) (3) وإن كان الأمر فيه تعالى امتناعاً وفى الإنسان إمكاناً. (4)

أما ما فى الحديث القدسى: (كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن اعرف فخلقت الخلق لكى اعرف) (5) فإن محبة المعرفة لفائدة العارف (6) لا لفائدة المعروف (7) كما أن ظهور الكنز واستخراجه نافع للمستخرج لا للكنز كما لا يخفى.

ص: 95

1- لقمان: 26.

2- أى: (وإن لم يكن محتاجاً إليه).

3- بحار الأنوار: ج 58 ص 129 ح 42. وراجع مستدرک الوسائل: ج 9 ص 5 ب 95 ح 10038 وفيه: (ليتخلقوا.. بأخلاق خالقهم وجاعلهم).

4- أى: الحاجة فى الله سبحانه ممتعة، أما فى الإنسان فالحاجة لفعل الخير ممكنة ذاتاً.

5- بحار الأنوار: ج 84 ص 344 ب 13 ح 19. وبحار الأنوار: ج 84 ص 199 ب 12 ح 6 (بيان). وفى شرح النهج ج 5 ص 163 باب اختلاف الأقوال فى خلق العالم.

6- أى: الخلق.

7- أى: الخالق.

الفرق بين الحاجة والفائدة

ويمكن القول في الفرق بين (الحاجة) و(الفائدة) حيث قالت (عليها السلام): (من غير حاجة... ولا فائدة): إن (الحاجة) تطلق بالنظر إلى القابل، والفائدة بالنظر إلى الفاعل، فالحاجة تنسب للمعطى والمستفيد، والفائدة تنسب للمعطى والمفيد.

وربما يقال: بأن النسبة بينهما العموم من وجه، فقد يكون الإنسان محتاجاً لشيء وفيه فائدة له، وقد لا يكون مفيداً له، وقد يكون مستفيداً من شيء دون حاجة منه إليه.

وعلى هذا فكما يستحب فعل الخير وإن لم تكن للإنسان حاجة إليه، كذلك يستحب فعله وإن لم تكن له فيه فائدة.

والله سبحانه وتعالى لا يستفيد من صور الأشياء، كما لا يستفيد من ذاتها وخلقها، فإن الشيء قد يفيد بذاته كالذهب، وقد يفيد بصورته كالأوراق النقدية، وقد يفيد بكليهما كالمصوغ من الذهب والمجوهرات.

إلا تثبتاً لحكمته

الحكمة الإلهية

مسألة: يجب الاعتقاد بأنه تعالى حكيم، والتفصيل في علم الكلام(1)، قال سبحانه: ((يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم)).(2)

وقال تعالى: ((ان ربك حكيم عليم)).(3)

وقال عز وجل: ((عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير)).(4)

ص:96

1- راجع (القول السديد في شرح التجريد) للإمام المؤلف دام ظله.

2- النمل: 9.

3- الأنعام: 83 و128.

4- الأنعام: 73.

ليعبدون)) (1) حتى يطيعوا فيستحقوا الثواب الدائم.

والجملة السابقة (2) تشير إلى معرفته جل وعلا، وهذه الجملة - مسبوقة بتلك - ترشد إلى لزوم العمل على طبق تلك المعرفة. (3)

وقد يكون المراد من هذه الجملة: التنبيه على أن كل شيء مطيع له، قال سبحانه: ((قالتا أتينا طائعين)) (4).

وقال تعالى: ((ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها)) (5).

وعلى الاحتمال الأول فهذه الجملة تتضمن إنشاء، وعلى هذا الاحتمال تتضمن إخباراً بالإطاعة التكوينية.

وإظهاراً لقدرته

3: إظهار قدرته عز وجل

مسألة: ابتداء الأشياء لا من شيء كان قبلها وإنشاؤها بلا احتذاء أمثلة امتثلها، أكبر دليل على القدرة الذاتية اللامتناهية (6) للخالق جل وعلا.

ومن الطبيعي أن ظهور هذه القدرة وتجليها للناس أكثر فأكثر يسبب تعبدهم بأوامره وطلبهم رضاه تعالى، وهو من أسباب إعزاز دعوته، لذلك كان من الواجب - في الجملة - بيان القدرة الإلهية للناس، وهو مما يقرب المبين والمبين له، إلى الله سبحانه وتعالى.

ص: 99

1- الذاريات: 56.

2- أى: تنبيهاً لحكمته.

3- أى: ان الخالق عندما يكون حكيماً فى تكوينه وتشريعه كان من اللازم عقلاً الامتثال لأوامره ونواهيه.

4- فصلت: 11.

5- هود: 56.

6- نظراً لدالتها على الصدور من واجب الوجود، وهو لا يمكن إلا أن يكون لامتناهياً بقول مطلق، والتفصيل فى الكتب الكلامية.

المستحبة شرط لها، أما في سائر الأمور، فإن من تعبد حصل على القرب والثواب الجزيل، ومن لم يتعبد لم يكن عليه إثم، وقد ورد في الروايات ان من المستحب أن يعمل الإنسان كل شيء لله سبحانه وتعالى كما تقدم الإلماع إليه.

فالعلة الغائية للخلقة هي: طلب عبادتهم، أو صيرورتهم عبيداً، أو ما أشبهه، قال سبحانه: ((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)) (1) أى: ليعبدون باختيارهم - على بعض الاحتمالات - أو المراد من (يعبدون): لأدعوهم وأطلب منهم عبادتي، كما أشارت (عليها السلام) إليه بكلمة (تعبداً)، وقد يكون ذلك دفعاً لشبهة الجبر. (2)

والفرق بين (وتنبيهاً على طاعته) وبين (وتعبداً لبريته) - بناء على كون الجملة السابقة إخبارية - واضح (3)، وأما على كونها إنشائية فالفرق: ان (التعبد) مرتبة أقوى من (الإطاعة) كما يظهر من معنى (العبادة) و (التعبد) فيما سبق.

إظهار العبودية لله تعالى

مسألة: يستحب إظهار العبودية لله تعالى، في الجملة.

ومن المعلوم ان إظهار العبودية غير التعبد، فإن التعبد إنما هو بين الإنسان وبين ربه، وإظهار العبودية عبارة عن إظهارها للناس، نعم هذا في غير ما يفضل أن يأتي الإنسان به سراً، والشارع قسم الأمر إلى ما يستحب إظهاره وإلى ما يستحب إسراره.

وذلك لأن الإظهار تقوية لقلوب الناس ودعوة لهم إلى الارتباط بالله سبحانه وتعالى وإيجاد قدوة ومثال صالح لهم، ولذا أمر الشارع بصلاة الجماعة وشبهها (4)، وقال تعالى: ((وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية)) (5).

ص: 101

1- الذاريات: 56.

2- إذا كان بمعنى طلب العبادة، كما سبق.

3- إذ تكون تلك إشارة للجانب التكويني، وهذه إشارة للجانب التشريعي.

4- فاطر: 29. الرعد: 22.

5- راجع موسوعة الفقه ج 23 ص 377-391 كتاب الصلاة فصل في الجماعة.

النص والفتوى قال سبحانه: ((وما امروا إلا ليعبدوا لله مخلصين له الدين))(1).

وقد ورد في الحديث إن الله تعالى يقول للمرائى يوم القيامة: (أنا خير شريك من أشرك معى غيرى فى عمل عمله لم أقبله إلا ما كان لى خلاصاً)(2).

وفى رواية: (ان الله يقول: انا خير شريك، من عمل لى ولغيرى فهو لمن عمل له دونى)(3).

وقال على (عليه السلام) : (اعملوا لله فى غير رياء، فإنه من عمل لغير الله وكله الله إلى عمله يوم القيامة)(4).

نعم إذا كانت العبادة لله سبحانه طمعاً فى جنة أو خوفاً من نار، أو لحاجة دنيوية، كشفاء مريض أو دفع عدو أو الحصول على مال أو ما أشبه ذلك (5) فإنها صحيحة أيضاً، وتكون من مصاديق العبادة لله تعالى، وقد قال سبحانه: ((ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين))(6).

وقال تعالى: ((يدعون ربهم خوفاً وطمعاً))(7).

نعم الرتبة الأسمى من العبادة: هى عبادته جل وعلا لأنه أهل للعبادة، كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : (ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً فى جنتك لكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك)(8) فإنه هو المنعم الحقيقى بل(9) الكمال المطلق.

ص:103

- 1- البيئة: 5.
- 2- الكافى: ج2 ص295 ح9. وشبهه فى تفسير العياشى ج2 ص353 ح94.
- 3- تفسير العياشى ج2 ص353 ح95. وشبهه فى المحاسن ص252 ح271.
- 4- وسائل الشيعة: ج1 ص49 ب11 ح10.
- 5- مما كان بنحو الداعى على الداعى.
- 6- الأنبياء: 90.
- 7- السجدة: 16.
- 8- بحار الأنوار: ج67 ص186 ب53 ح1. و(غوالى اللئالى) ج1 ص404 ح63 المسلك الثالث فى أحاديث رواها الشيخ العالم.. و(الغوالى) ج2 ص11 ح18 المسلك الرابع فى أحاديث رواها الشيخ العلامة.. و(الالفين) ص128 المائة الثانية.
- 9- بل هذه للإضرار وبقصد الترقى، كما لا يخفى.

5: إعزاز الدعوة

مسألة: (إعزازاً) أى: لأجل تقوية الدعوة وغلبتها (1) ومنه يعلم رجحان ما يوجب إعزاز دعوته تعالى، ودعوته هي للإيمان به وتوحيده وعدله وللإيمان برسله وكتبه، إلى آخر أصول الدين وما يتفرع عنها، وفي الصحيفة السجادية في وصفه (صلى الله عليه وآله وسلم): (إرادة منه لإعزاز دينك) (2).

وهذه الجملة والجملة السابقة يحتمل أن تكون تعليلاً لأصل الخلق وتكوين الأشياء، ويحتمل أن تكون تعليلاً لنحوها وكيفيةها وخصوصيتها، أى لكون الخلق لا من شىء كان قبلها وبلا احتذاء أمثلة، وكونها بالقدرة لا بالألّة... ففى هذا، الإظهار الأتم للقدرة والإعزاز الأكبر للدعوة، وهو ادعى لتعبد البرية والتنبية على الطاعة، وقد يكون الاحتمال الأول أقرب وأسرع تبادراً.

وإذا كان من علل الخلق إرادته جل وعلى (إعزاز الدعوة) كان (إعزازها) عنواناً مستقلاً مصرحاً به (3) يدور مداره كثير من الأحكام سلباً وإيجاباً.

وذكر (إعزاز الدعوة) تعليلاً للخلق، من باب ما يؤول إليه الشىء. (4).

وفى بعض النسخ: (إعزازاً لأهل دعوته) (5) فيدل على رجحان إعزاز حملة الدين كما هو واضح.

بيان العلل والأهداف

ص: 104

1- العزة: هي القوة والغلبة.

2- الصحيفة السجادية ص 32 وكان من دعائه عليه السلام بعد هذا التحميد فى الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله.

3- ك شف الغمة ج 1 ص 481 خطبة فاطمة الزهراء عليها السلام.

4- هذا دفع وحل مقدر فليدقق.

5- كشف الغمة ج 1 ص 480 فى خطبتها عليها السلام.

مسألة: ينبغي للإنسان بيان العلل والأهداف والغايات المترتبة على كل قرار يصدره، أو موقف يتخذه، أو منهج يرسمه.

سواء كان لعائلته أم لأصدقائه أم للتجمعات المحيطة به أم المتعاملة معه أم لمجمعه.

وسواء كان في الشؤون الدينية أم الدنيوية، الاقتصادية أم السياسية، الاجتماعية أم غيرها.

إذ ان ذلك يوجب مزيداً من اعتماد الآخرين على الإنسان، إضافة على أنه تربية للناس على التفكير والتعقل والتدبر، وتقييم كل شئ بمنظار المنطق والدليل والحكمة، كما دعى إليه القرآن الكريم، وعدم الإتياع الأعمى كما كان دأب المشركين: ((إنا وجدنا آباءنا على أمة، وإنا على آثارهم مقتدون)).(1)

ثم إنه يوجب تصحيح الخطأ فى قرار أو مسيرة الإنسان والحيلولة دون الإستبداد، إذ تعويد الناس على ذكر العلل يوجب نموهم فكرياً وتصديهم لإسداء النصح والمشورة ولذا كانت: (المشورة مباركة) (2).

و: (أعقل الناس من جمع عقول الناس إلى عقله) (3).

و: (من استبد برأيه هلك) (4).

و: (الاستشارة عين الهداية) (5).

و: (ما عطب من استشار) (6) وما أشبهه.

ص: 105

1- الزخرف: 23.

2- تفسير العياشى ج 1 ص 204 ح 147 من سورة آل عمران. بحار الأنوار: ج 72 ص 103 ب 48 ح 34.

3- وفي غرر الحكم ص 442 الفصل الاول فى المشاورة ح 10078: (من شاور ذوى العقول استضاء بانوار العقول). وح 10060: (المشورة تجلب لك صواب غيرك). وح 10057: (من شاور الرجال شاركها فى عقولها)؟.

4- غرر الحكم ودرر الكلم ص 443 الفصل الاول فى المشاورة ح 10111. بحار الأنوار: ج 72 ص 104 ب 48 ح 38 عن نهج البلاغة.

5- بحار الأنوار: ج 72 ص 104 ب 48 ح 38. و غرر الحكم ص 442 الفصل الاول فى المشاورة ح 10066.

6- كنز الفوائد ج 1 ص 367 فصل من كلام امير المؤمنين (عليه السلام) وآدابه وحكمه.

إضافة إلى إنه تأس وإقتداء بالمعصومين (عليهم السلام) في ذكرهم العلل التشريعية والتكوينية (1) كما ذكرت (عليها السلام) ههنا العلة في خلق العالم ومن قبله العلة في حمدته تعالى وشكره، وستذكر العلة في بعثة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واختياره، والعلة في استخلاف القرآن عليهم، والعلة في اختيار على (عليه السلام) دون غيره، ثم تطرقت لعلل جعل العديد من فروع الدين وأحكامه وغيرها.

وكما تطرق القرآن الكريم من قبل لبيان علل أو حكم الكثير من الأمور التكوينية أو التشريعية وقد أشرنا إليه في مواطن من هذا الكتاب وغيره.

الهدف: تكامل الإنسان

وأخيراً: فإن العلل الخمسة المذكورة في كلامها (عليها السلام) كلها مما يصب في طريق تكاملية الإنسان (2) واقتربه الأكثر إلى مصدر الكمال المطلق والحق المطلق، فهي تعود إلى الإنسان نفسه أولاً وأخيراً، قال تعالى: ((إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم)) (3).

فقد خلقهم لرحمته (4) كما ورد في الحديث عن ابي عبد الله (عليه السلام): (فان الله تعالى خلق

ص: 106

1- راجع مثلاً كتاب (علل الشرائع).

2- فمعرفة حكمة الله وقدرته وإطاعة أوامره والتعبد بها وإعزاز دعوته كلها تزيد الإنسان تكاملية، مادية ومعنوية، دنيوية وأخروية.

3- هود: 119.

4- فإذا كان الناس يركضون وراء المال أو الشهرة أو الرئاسة أو حتى العلم - بما هو علم - فإنها جميعاً كمالات مجازية محدودة فانية ((كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام)) «الرحمن: 26 و27». أما معرفة الله وإطاعته فهو الكمال الحقيقي للإنسان، والعلم - كالعلوم الطبيعية والإنسانية، وما أشبه - يكتسب قيمته الحقيقية الخالدة إذا كان في هذا الإطار كجسر للاقتراب من الحقيقة الخالدة وكطريق لاكتساب رضى الله تعالى، بما تقدمه العلوم من خدمة الإنسان الذي أمر الله سبحانه فطرة وعقلاً وشرعاً بإعطائه حقه والتعاون معه والإحسان إليه، وإلا- لكانت له قيمته مجازية محدودة يثيبه الله عليها دنيوياً... والعلوم مع ذلك تكشف جانباً من عظمة الله وقدرته وحكمته في مخلوقاته.

خلقاً لرحمته (1).

ثم جعل الثواب على طاعته

الإثابة على الإطاعة

مسألة: يستحب جعل الثواب على الإطاعة وعلى الالتزام بالقانون، من غير فرق بين رب العائلة والمعلم والقائد وغيرهم، وربما وجب، فإنه إتباع لله سبحانه وتعالى ولسنة الرسل والأنبياء (عليهم السلام) وهو سيرة العقلاء. (2)

حيث يجعلون الثواب على الطاعات، سواء كانت الطاعات إيجابية أم سلبية، مثل جعل الثواب على ترك كذا من الأعمال الضارة المنافية، كما ورد عنه (عليه السلام): (من ترك مسكراً مخافة الله أدخله الجنة وأسقاه من الرحيق المختوم) (3) ومن ترك الكذب كان له من الثواب كذا، وما أشبهه (4).

والثواب أعم مما يعطيه الله للإنسان في الدنيا أو في الآخرة، قال تعالى: ((فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة)). (5)

وجعل الثواب هو من حكمة الله، وهو من الطرق التي وضعها الله لتعبد البرية وجرهم للطاعة - وهذا من غاية لطف الله وفضله - ومن أسباب إعزاز الدعوة، ومن مظاهر قدرة الله أيضاً.

ووضع العقاب على معصيته

ص: 107

1- ق رب الاسناد ص 35.

2- في الجملة.

3- وسائل الشيعة: ج 7 ص 253 ب 13 ح 2.

4- ل لتفصيل راجع كتاب (ثواب الأعمال) للشيخ الصدوق قدس سره.

5- آل عمران: 148.

يتحول إلى عقرب تلدغ الإنسان - مثلاً - في الآخرة، وهكذا سائر المعاصي، فهناك علاقة تكوينية بين العمل وبين العقاب الأخرى، قال تعالى: ((ذوقوا ما كنتم تعملون)).(1)

زيادة لعباده عن نعمته

حفظ العباد عن التعرض للنقمة الإلهية

مسألة: يجب زيادة العباد وإبعادهم عن نعمته تعالى، عقلاً ونقلاً، وتحقيقاً لغرض المولى جل وعلا، والروايات الدالة على ذلك كثيرة جداً، (فنعوذ بالله من غضب الله ونقمته)(2).

ومعنى الزيادة: الطرد والدفع والإبعاد، يقال: ذاد الإبل عن الحوض، أى: طرده عن الماء(3).

ففى المحرمات وترك الواجبات الزيادة واجبة، لأنها نوع من النهى عن المنكر والتعليم وتنبية الغافل وإرشاد الجاهل وما أشبه ذلك.

وهذا(4) من غاية لطف الله بعبده، وللتوضيح نمثل: بأن يضع الأب عقوبة الحبس يوماً - مثلاً - على من أراد من أبنائه التوغل فى غابة مجهولة خطيرة، فإن هذه العقوبة هى للحيلولة دون وقوعه فى الخطر الأعظم، وكذلك الطبيب الذى يجرى عملية جراحية منعاً لسريان السرطان إلى سائر الأعضاء.

فالعقوبات الدنيوية المجعولة على ارتكاب المعاصى كسرب الخمر والزنا وشبههما مع اجتماع شرائطها الكثيرة(5) لدفع النقمة الكبرى التى ستنال العاصى فى الآخرة(6).

ص: 109

1- العنكبوت: 55.

2- ع ل الشرائع ص 487 ح 3 باب 239 باب علل المسوخ وأصنافها.

3- وفى لسان العرب مادة (ذود): الذود، السوق والطرود والدفع، تقول: ذدته عن كذا، وذاده عن الشئ ذوداً وزياداً.

4- أى وضعه تعالى العقوبات زيادة لعباده عن نعمته.

5- وقد ذكر الإمام المؤلف فى (الفقه) إن إجراء بعض الحدود مشروط بأكثر من أربعين شرطاً، فراجع.

6- راجع كتاب (العقوبات فى الاسلام) لآية الله العظمى السيد صادق الشيرازى (دام ظله).

هذا لو كان المراد من (العقاب) فى كلامها (عليها السلام): العقوبات الدنيوية.

وأما لو كان المقصود منه فى كلامها (عليها السلام) العقاب الأخرى، فإن التهديد به يردع الكثيرين عن ارتكاب المعاصى التى تؤدى إلى تقمته تعالى، وهذا (1) هو ما يقتضيه الربط بين العلة والمعلل له. (2)

وحياشة لهم إلى الجنة

سوق العباد إلى الجنة

مسألة: يجب سوق العباد إلى الجنة، على ما عرفت فى البحث الآنف، قال تعالى: ((وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض)) (3).

وقال سبحانه: ((وسابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله)) (4).

و(حياشة) أى: سوقاً (5)، فإن الله تعالى يريد لعباده الجنة والنعيم والسعادة السرمدية، قال سبحانه: ((إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم)) (6).

والطريق إلى ذلك الإطاعة وتجنب المعاصى، فإن الكون دنياه وآخرته قررت بحيث ان المطيع مآله النعمة والجنة، والعاصى مآله النقمة والنار، كما تمت هندسة الكون بحيث أن الزارع يحصد غداً ومن لا يزرع يبقى صفرأ يداً، ومن يدرس يصبح طبيباً أو مهندساً أو ما أشبهه، ومن لا يدرس يبقى جاهلاً.

ص: 110

1- إشارة إلى تفسير كلامها عليها السلام (وضع العقاب) بالتفسير الإثباتى لا الثبوتى، إذ (التهديد بالعقاب) - كما ذكر دام ظلّه - هو السبب للزيادة لا وجوده الحقيقى بنفسه.

2- العلة: (زيادة لعباده عن تقمته) والمعلل له: (وضع العقاب على معصيته).

3- آل عمران: 133.

4- الحديد: 21.

5- وفى لسان العرب مادة (حوش): وحشت الابل، جمعتها وسقتها.

6- هود: 119.

وإن كثيراً من الناس لا يسوقه إلى الجنة وإلى النعيم المقيم إلا ما يراه من العقاب على المعصية فيرتدع، فيوفق للنعيم المقيم.

التطرق لفلسفة الثواب والعقاب

مسألة: من اللازم بيان فلسفة الثواب والعقاب للناس، إذ ذلك يزيدهم إيماناً واعتقاداً والتزاماً. وحتى بالنسبة إلى الأبوين عند عقاب الطفل أو ثوابه، ويرجح أن يذكر السبب حتى يكون تأثيره أكثر.

وهذا الأمر يجرى في القوانين الوضعية أيضاً، فأية عقوبة تضعها شركة أو هيئة أو دولة - شرط أن تكون في إطار الشريعة(1)- ينبغي أن تذكر علتها وفلسفتها للناس.

ولذا أكثر في القرآن الحكيم من ذكر الفلسفة، فإن القرآن الكريم ذكر فلسفة كثير من الأحداث والأحكام، مثلاً قال جل وعلا في الصلاة: ((وأقم الصلاة لذكري)) (2) فإن (لذكرى) فلسفة (أقم الصلاة).

وقال سبحانه: ((كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)) (3) ف- (لعلكم تتقون) فلسفة هذا الحكم.

وقال تعالى: ((ليشهدوا منافع لهم)) (4) في فلسفة الحج.

وقال سبحانه: ((ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين)) (5) حيث إن فائدة الجهاد تعود إلى النفس، قال (عليه السلام): (جاهدوا تورثوا أبناءكم عزاً).

وقال (عليه السلام): (جاهدوا تغنموا) (6) وهو فلسفة الجهاد.

وقال تعالى: ((خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)) (7) حيث أن التطهير

ص: 111

1- كعقوبة الفصل من الشركة أو العزل من وظائف الدولة لو ارتشى أو تماهل في قضاء حوائج المراجعين أو ما أشبه ذلك.

2- طه: 14.

3- البقرة: 183.

4- الحج: 28.

5- العنكبوت: 6.

6- وسائل الشيعة: ج 11 ص 6 ب 1 ح 5.

7- التوبة: 103.

وقال سبحانه: ((الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم))⁽¹⁾ حيث أن تفضيل الله سبحانه وإنفاق الأزواج سبب قوامية الرجال على النساء.

وقال في فلسفة الدعوة إلى عبادته تعالى وحده: ((ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون))⁽²⁾ إلى غير ذلك.

ص: 112

1- النساء: 34.

2- القصص: 88.

وأشهد أن أبى محمداً عبده ورسوله

الاعتقاد بنبوته (ص)

مسألة: يجب الاعتقاد بنبوته النبي الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ورسالته، فإن من لم يعتقد بنبوته رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان كافراً وإن اعتقد بنبوته سابق الأنبياء (عليهم السلام) (1)، كما ذكرنا ذلك بالنسبة إلى الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) حيث أن من أنكر أحدهم كان كمنكرهم جميعاً.

وأعظم برهان خالد على رسالته (صلى الله عليه وآله وسلم): هو القرآن الكريم حيث تفرد (صلى الله عليه وآله) دون سائر الأنبياء بمعجزة أبدية ظاهرة على مر الأجيال وذلك مقتضى خاتميته.

ثم إن الاعتقاد بنبوته ورسالته تعود فائدته إلى الإنسان نفسه: ((قل ما سألتكم من أجر فهو لكم)) (2) إذ هو إضافة إلى كونه إدراكاً وعلماً لحقيقة كبرى و(العلم نور) (3) إن الاعتقاد مقدمة طبيعية للعمل بمناهجه التي توفر سعادة الدنيا والآخرة للإنسان.

والاعتقاد من عقد القلب فلا يكفى مجرد العلم بذلك، بل ينبغي عقد القلب عليه، قال تعالى: ((وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم)) (4) وكما يظهر ذلك من كلامها (عليها السلام) فيما سيأتي: (منكرة لله مع عرفانها).

التلفظ بالشهادة الثانية

مسألة: يستحب التلفظ بالشهادة الثانية في مختلف الأحوال، في الخطاب والخطبة وحين الافراد والخلوة.

لما يترتب على ذلك من الثواب الأخرى، إضافة إلى كونه تلقيناً وإيحاءاً وتكريساً لهذه الجملة ولمدلولاتها التضمنية والالتزامية في النفس أكثر فأكثر، وقد يكون لذلك التأكيد في

ص: 113

1- راجع (المقنعة) ص 30 باب ما يجب من الاعتقاد في انبياء الله تعالى ورسوله.

2- سبأ: 47.

3- منية المريد ص 167 في التوكل على الله. ومصباح الشريعة ص 16 الباب السادس في الفتيا.

4- النمل: 14.

الروايات الشريفة على التلفظ بكلمة التوحيد والصلوات على النبي محمد وآله (عليهم السلام) وسائر الأذكار والادعية.

ثم ان التلفظ بهذه اللفظة بالنسبة إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مثل التلفظ بهذه اللفظة بالنسبة إلى الله سبحانه وتعالى كما تقدم، فيصح أن يقول: (إنه رسول الله) و(أشهد) و(نشهد) و(شهادتي) وما هو من هذا القبيل.

بل أصل التلفظ في الجملة واجب (1) ولا- يكفي الاعتقاد فقط أو الإتيان فقط بدون التلفظ، فإن الإيمان مركزه القلب واللسان والجوارح، كما ذكر في العلم الكلام، وكما ورد في الروايات: (تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان). (2)

واستحباب التلفظ بها - على ما سبق - إنما هو إذا لم تكن جهة وجوب، وإلا كما في موارد تنبيه الغافل وإرشاد الجاهل والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف وما أشبهه، وجب بالمقدار الذي يحقق الغرض.

الشهادة بعبوديته (ص) لله تعالى

مسألة: يستحب الشهادة بأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) عبد لله تعالى، وقد يجب (3) وذلك لما سبق (4) واتباعاً لله سبحانه حيث قال تعالى: ((سبحانه الذي أسرى بعبده ليلاً)). (5)

وقال سبحانه: ((الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب)). (6)

وقال تعالى: ((ذكر رحمة ربك عبده زكريا)). (7)

ص: 114

1- كما يتكرر في الصلاة وغيرها كثيراً.

2- بحار الأنوار: ج 66 ص 68 ب 30 ح 21. وفي (الخصال) ص 609: (الإيمان هو معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالاركان).

3- كما في الصلاة.

4- في البحث السابق (يستحب التلفظ بالشهادة الثانية).

5- الإسراء: 1.

6- الكهف: 1.

7- مريم: 2.

وقال سبحانه: ((واذكر عبدنا داود)).(1)

وقال تعالى: ((واذكر عبدنا أيوب)).(2)

وقال سبحانه: ((ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً)).(3)

وقال تعالى: ((إنه من عبادنا المؤمنين)).(4)

وقال سبحانه: ((لن يستكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون)).(5)

وقال تعالى: ((قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً)).(6)

ونقرأ في الصلاة كل يوم: (أشهد أن محمد عبده ورسوله).

وتقديم العبد، لأنه اعتراف بإله الكون، ولأن وصول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى منتهى درجة العبودية لله تعالى هو الذي أهله ليكون رسولاً، بل أفضل الرسل على الإطلاق، فهو (صلى الله عليه وآله وسلم) عبد أولاً ورسول ثانياً، وكفى بالإنسان فخراً وسمواً وكمالاً أن يكون عبداً خاشعاً خاضعاً لله تعالى.

الاعتقاد بالعبودية

مسألة: يجب الاعتقاد بأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) عبد لله تعالى، وكذلك غيره من الأنبياء والأئمة (عليهم السلام)، ويحرم الغلو فيهم (عليهم السلام)، وذلك في قبال من يتوهم أنهم (عليهم السلام) شركاء لله سبحانه أو أبناءه، قال تعالى: ((وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصراني المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون)).(7)

ص: 115

1- ص: 17.

2- ص: 41.

3- الإسراء: 3.

4- الصفات: 81 و111 و132.

5- النساء: 172.

6- مريم: 30.

7- التوبة: 30.

وقال (عليه السلام) : (يهلك في اثنان: محب غال ومبغض قال (1)).

وقال (عليه السلام) : (ولا تغلوا وإياكم والغلو كغلو النصارى فإني برىء من الغالين). (2).

الشهادة الثانية

مسألة: يستحب أو يجب - كل في مورده - التشهد بالشهادة الثانية بعد ما شهد الإنسان بالشهادة الأولى.

ومنه يعرف الحكم في الشهادة الثالثة (3).

وفي الحديث: (إن المسافر إذا نزل ببعض المنازل يقول: اللهم أنزلي منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين، ويصلى ركعتين... ويقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأن علياً أمير المؤمنين والأئمة من ولده أئمة أتولاهم وأبرء من أعدائهم) الحديث. (4).

التصريح بالنسب وإظهاره

مسألة: ينبغي التصريح بالنسب والتأكيد عليه وإظهاره، فيما إذا كان دخیلاً في تحقيق الغرض ومؤكداً ومؤيداً للكلام (5)، قال علي (عليه السلام) : (لا جمال كالحسب) (6)، كما قالت

ص: 116

- 1- بحار الأنوار: ج 25 ص 285 ب 10 ح 36. وراجع أيضاً معدن الجواهر ص 36. وخصائص الأئمة ص 124. وجامع الاخبار ص 13 الفصل الخامس. وغرر الحكم ص 118 الفصل الاول في الأئمة ح 2054.
- 2- بحار الأنوار: ج 4 ص 303 ب 4 ح 31. والاحتجاج ص 438 احتجاجه فيما يتعلق بالامامة. وتفسير الامام العسكري (عليه السلام) ص 50 ح 24 اعظم الطاعات.
- 3- وسيأتي البحث عن ذلك.
- 4- مستدرک الوسائل: ج 8 ص 231 ب 43 ح 9324. وفي وسائل الشيعة: ج 16 ص 100 ب 1 ح 5 عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (... الخیر أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله).
- 5- ويشاهد ذلك في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى أمير المؤمنين عليه السلام، والامام الحسن والامام الحسين وعلى بن الحسين وسائر الأئمة عليهم السلام، فراجع مثلاً: بحار الانوار ج 12 ص 127 ب 6 ح 3. والبحار ج 16 ص 205 ب 9 (بيان). والبحار ج 19 ص 314 ب 10 ح 61. والبحار ج 19 ص 337 ب 10 ح 83. والبحار ج 20 ص 274 ب 17 ح 27. والبحار ج 21 ص 178 ب 28 ح 14. والبحار ج 25 ص 214 ب 7 ح 5. والبحار ج 28 ص 248 ب 4 ح 29. والبحار ج 38 ص 330 ب 68 ح 2. والبحار ج 39 ص 335 ب 90 ح 2. والبحار ج 41 ص 82 ب 10 ح 10. والبحار ج 43 ص 353 ب 16 ح 31. والبحار ج 43 ص 355 ب 19 ح 33 و 34. والبحار ج 43 ص 361 ب 17 ح 3 و 4. والبحار ج 44 ص 41 ب 19 ح 3. والبحار ج 44 ص 89 ب 20 ح 2. والبحار ج 44 ص 94 ب 20 ح 8 وص 103 ح 11. والبحار ج 44 ص 122 ب 21 ح 13. والبحار ج 45 ص 113 ب 39 ح 1، وص 161 ح 6 وص 174 ح 22 و... .
- 6- غرر الحكم ودرر الكلم ص 409 الفصل الخامس في الاصل والنسب ح 9395. هذا اذا لم يقصد به التفاخر وما اشبهه من الرذائل

الاحلاقية كما هو واضح.

(صلوات الله عليها): (وأشهد أن أبى محمدا...).

فتصريحها بالنسب هنا يوجب تهيج العواطف وتحريكها لتقبل كلماتها (عليها السلام) إضافة إلى أنه يذكرهم بكلماته عن ابنته وحببته وبضعته، فيكون ذلك أدعى لقبول الحق منها.

والتصريح بالنسب أو إظهاره قد يجب في مواطن عديدة، كما في موارد من الإرث أو النكاح أو الرضاع أو ما أشبه ذلك، سواء بالنسبة إلى نفسه، أم بالنسبة إلى الغير، مما هو مذكور في (الفقه).

نشر فضائل الوالدين

مسألة: ينبغي للإنسان أن يتطرق لذكر فضائل والده وأن يقوم بنشرها، قال تعالى: ((وبالوالدين إحساناً)) (1) وكذلك والدته وسائر الأقرباء، بل مختلف المؤمنين، فهو حض وحث على الخير وتشويق عليه.

كما إن عكسه مكروه أو محرم، قال تعالى: ((إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ولهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة)) (2).

والأمر بالنسبة للوالدين والأرحام أكد، لأن نشر فضائلهم قد يعد نوعاً من صلة الرحم

ص: 117

1- الأنعام: 151.

2- النور: 19.

((وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله)) (1) إضافة إلى أنه نوع من مقابلة الإحسان بالإحسان وأداء لبعض حق الوالد على الولد، بالإضافة إلى قوله تعالى: ((ولا تبخسوا الناس أشياءهم)) (2) فإن الإغماض عن الفضائل وسترها وعدم ذكرها نوع من البخس.

هذا كله إذا لم يكن من التفاخر وما أشبهه، قال تعالى: ((بسم الله الرحمن الرحيم، أهاكم التكاثر، حتى زرتم المقابر، كلا سوف تعلمون، ثم كلا سوف تعلمون)) (3).

اختاره وانتجبه قبل أن أرسله

فضائل الرسول (ص)

مسألة: يستحب أو يجب - كل في مورده - بيان فضائل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، كما بينت (عليها السلام) في خطبتها.

وكذلك بالنسبة إلى سائر الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) وبالنسبة إلى العلماء والصالحين أيضاً.

الاختيار الإلهي للرسول الأعظم (ص)

مسألة: يجب أن يكون اختيار النبي من قبل الله تعالى وبتعيينه سبحانه، وكذلك الإمام (عليه السلام)، حيث قالت: (اختاره وانتجبه) أى: لأن يكون رسوله الأخير إلى البشر وأفضل الرسل على الإطلاق، وفي حديث عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (فلم أزل خياراً من خيار).

قولها (عليها السلام): (وانتجبه) من النجاسة، وقد نجب نجابة: إذا كان فاضلاً نفسياً في نوعه، أى اصطفاه، وذلك قبل أن خلقه وفطره، وفي زيارة الجامعة: (خلقكم أنواراً فجعلكم

ص: 118

1- الأنفال: 75.

2- الأعراف: 85.

3- التكاثر: 14.

بعرشه محققين(1) فإن النور تحول إلى إنسان، كما أن النار تحولت إلى الجان، وكما أن التراب تحول إلى البشر، قال تعالى: ((والله خلقكم من تراب)).(2)

ومن الواضح إمكان تحول المادة إلى المادة، والمادة إلى الطاقة، وبالعكس، فقد اختاره الله وانتقاه قبل أن يرسله، أى إنه تعالى انتخب من عرف انه خير البشرية على الإطلاق، للرسالة.

والعلم كاشف وليس بعلّة، فإن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان سيخرج قمة القمم في مختلف الامتحانات الإلهية - حسب معرفته سبحانه وتعالى بعلم الغيب - لذلك انتخبه هو دون غيره ليحمله أعظم الرسالات والمسؤوليات الكونية على الإطلاق وأعطاه من الامتيازات الاستثنائية ما أعطاه.

وهناك وجه آخر: هو امتحانه جل وعلا للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولكل من عداه في عوالم سابقة، فأبدى (صلى الله عليه وآله وسلم) أهليته على الإطلاق، وقد يشير إلى هذا الوجه ما ورد في زيارة السيدة الزهراء (عليها السلام): (يا ممتحنة امتحنك الذى خلقك قبل أن يخلقك فوجدك لما امتحنك صابرة)(3) وتفصيل البحث في علم الكلام والحديث.

مواصفات خاصة للنبي (ص) والإمام (عليه السلام)

مسألة: فى قولها (عليها السلام): (اختاره وانتجبه) دليل على أن هنالك مواصفات استثنائية، يجب أن تتوفر فى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والإمام (عليه السلام).

فقد اختاره صلى الله عليه وآله وسلم وانتقاه الله تعالى بما يحمل من مواصفات تؤهله لى يكون رسولاً لرب العالمين وحجة على الناس أجمعين.

ففى نفس كلمة (اختاره وانتجبه) دلالة على ذلك، حيث وقع الاختيار من بين الكل

ص:119

1- عيون اخبار الرضا عليه السلام ج2 ص275 ح1 زيارة اخرى جامعة. وراجع أيضاً (مفاتيح الجنان) و (الدعاء والزيارة) زيارة الجامعة الكبيرة.

2- فاطر: 11.

3- التهذيب: ج6 ص9 ب16 ح12. وراجع ايضا (المزار) ص178 باب زيارتها عليها السلام. ومصباح المتعبد ص711. وجمال الاسبوع ص31 و32 زيارة الزهراء عليها السلام.

عليه وهو سبحانه أحكم الحكماء(1) على أن تفرد الله تعالى بهذا العمل وقيامه به بالذات دليل على ذلك، حيث ان غيره لا يمكن أن يكتشف تلك الصفات الإستثنائية.

ومن هنا كان اعتراض الملائكة عليه سبحانه في قضية خلق آدم (عليه السلام)، قال تعالى: ((واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون)) (2).

ومن جملة تلك الصفات: العصمة (3) اللازمة عقلاً وشرعاً في النبي والإمام عليهما السلام (4) والتي لا يعرفها إلا الله سبحانه وتعالى وقد أشار إليه الإمام (عليه الصلاة والسلام) في قصة اختيار موسى (عليه السلام) حيث اختار سبعين رجلاً ومع ذلك كفروا: ((واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا)) (5).

وليس هذا نقصاً في موسى (عليه السلام) واختياره، وإنما هو بيان لأن الذين كانوا خيرة القوم حسب مختلف الظواهر كانوا هكذا فكيف إذا كانوا غير الخيرة، أو كانوا غير مختارين من قبل النبي (عليه السلام) وهو أدري الناس بما يمكن للبشر معرفته من خفايا النفس البشرية.

أما بالنسبة إلى الفقهاء أو الوكلاء والرجوع إليهم، فهو بأمر الله سبحانه وتعالى أيضاً، قال تعالى: ((وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون)) (6) فحيث لم تشترط فيهم العصمة ولم تكن فيهم ضرورة ولا واقعة، لذلك أوكل الله تعالى معرفة مصاديقهم إلى الناس

ص: 120

1- إضافة إلى أن (انتجبه) - كما سبق - من: نجب نجابة، إذا كان فاضلاً نفيساً في نوعه.

2- البقرة: 30.

3- العصمة هي ما يتمتع المكلف معه من المعصية متمكناً منها، ولا يتمتع منها مع عدمها. راجع (الألفين) ص 56 المائة الاولى البحث السابع في عصمة الامام (عليه السلام).

4- راجع كتاب (الألفين) للعلامة الحلي (قدس سره) ص 56 المائة الاولى، البحث السابع في عصمة الامام (عليه السلام)، وكتاب (القول السديد) للمؤلف دام ظله. و(علل الشرائع) ص باب العلة التي من أجلها يجب ان يكون الامام معروف القبيلة.. معصوماً من الذنوب.

5- الأعراف: 155.

6- التوبة: 122.

أنفسهم أو إلى أهل الخيرة منهم. (1)

فلا يقال: لماذا يلزم في النبي والإمام (عليهما السلام) العصمة دون وكلائهم في حال حياتهم أو بعد غيبتهم، فإن القياس مع الفارق الكبير.

إضافة إلى عدم وجود القابلية لمقام العصمة في غير الأنبياء والأئمة (عليهم السلام)، إذ هو تعالى فياض حكيم يعطى فيضه ولطفه للقابل لاغير. (2)

مواصفات وكلاء المعصومين (ع) وأتباعهم

مسألة: ومما سبق نعرف أن الفقهاء والوكلاء والقضاة وأئمة الجماعة والخطباء ومن أشبههم، بل عموم أتباع المعصومين (عليهم السلام) وإن لم يكونوا معصومين إلا- ان من الضروري أن يتحلوا بكثير من الصفات التي توفر درجة من السنخية والتجانس مع موكلهم وأئمتهم وقادتهم، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: (ألا وإن لكل مأموم إمام يقتدى به ويستضيء بنوره ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه ألى وإنكم لاتقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد). (3)

ثم إن من تلك الصفات: ما ذكر في القرآن الكريم وورد في الأحاديث الشريفة حكاية عن حال الأنبياء (عليهم السلام) أو وصفاً للمؤمنين، مثل قوله سبحانه: ((إنه كان عبداً شكوراً)). (4)

ص: 121

1- راجع المسائل الاسلامية ص 90 احكام التقليد المسألة 3 وفيه: (يعرف المجتهد باحدى طرق ثلاث: اولاً: ان يتقن الانسان نفسه بذلك بان يكون الشخص نفسه من اهل العلم ويتمكن من معرفة المجتهد، ثانياً: ان يخبر بذلك عالمان عادلان يمكنهما معرفة المجتهد بشرط ان لا يخالف خبرهما عالمان عادلان آخران، ثالثاً: ان يشهد جماعة من اهل العلم والخبرة ممن يقدرون على تشخيص المجتهد ويوثق بهم باجتهد أحد، والظاهر هو كفاية اخبار شخص واحد اذا كان ثقة بذلك).

2- بالإضافة إلى ان الدنيا دار امتحان، وكونها دار امتحان يقتضى وجود نبي أو إمام معصوم (عليه السلام) يكون بمثابة المنبع والمصدر الأساسى والرئيسى للتشريع، ووكلاء لهم بمثابة الجداول والفروع، لم يشترط فيهم ذلك ولم يتحقق، فالجمع بين كونها دنيا وبين ((حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود)) «البقرة: 187» وبين إرادة الامتحان وغيرها يقتضى ذلك فدق.

3- مستدرک الوسائل: ج 12 ص 54 ب 63 ح 13497 عن نهج البلاغة.

4- الإسراء: 3.

وقوله تعالى: ((إنه كان صادق الوعد)).(1)

وقوله سبحانه: ((فبما رحمة من الله لنت لهم)).(2)

وقوله تعالى: ((فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر)).(3)

وقوله سبحانه: ((محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود)) (4) الآية.

وقوله تعالى: ((قد أفلح المؤمنون، الذين هم فى صلاتهم خاشعون، والذين هم عن اللغو معرضون، والذين هم للزكاة فاعلون، والذين هم لفروجهم حافظون)) (5) الآية.

وقوله سبحانه: ((كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)).(6)

وعنه عليه السلام: (من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً على هواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه).(7)

وعن أبى عبد الله (عليه السلام): (ينبغى للمؤمن أن يكون فيه ثمان خصال: وقور عند الهزاهز، صبور عند البلاء، شكور عند الرخاء، قانع بما رزقه الله، لا يظلم الأعداء، ولا يتحامل للأصدقاء، بدنه منه فى تعب، والناس منه فى راحة، إن العلم خليل المؤمن، والحلم وزيره، والصبر أمير جنوده، والرفق أخوه، واللين والده).(8)

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (المؤمن ... بشره فى وجهه، وحزنه فى قلبه، أوسع شىء

ص:122

1- مريم: 54.

2- آل عمران: 159.

3- آل عمران: 159.

4- الفتح: 29.

5- المؤمنون: 15.

6- آل عمران: 110.

7- وسائل الشيعة: ج 18 ص 94 ب 10 ح 20. والاحتجاج ص 458 احتجاج ابى محمد الحسن ابن على العسكري (عليه السلام) فى انواع شتى من علوم الدين.

8- الكافي: ج 2 ص 230 ح 2. والنخصال ص 406 باب الثمانية ح 1.

صدرأ، وأذل شىء نفساً... يكره الرفعة، ويشنأ السمعة، طويل الغم، بعيد الهم، كثير الصمت، ذكور، صبور، شكور، مغموم بفكره، مسرور بفقره، سهل الخليقة، لين العريكة... أصلب من الصلد، ومكادحته أحلى من الشهيد، لا جشع ولا هلع ولا عنف ولا صلف ولا متكلف ولا متعمق... (1)

وهذه الصفات وإن كانت عامة إلا أن توفرها في الوكلاء أكد، كما لا يخفى.

وسماه قبل أن اجتباه

التسمية قبل الولادة

مسألة: يستحب التسمية للشخص قبل الولادة، وقد ورد في الروايات استحباب تسمية المولود قبل أن يولد، حتى إنهم قالوا: إذا عرف إنه ولد سمى باسم الولد، أو أنثى فباسم الانثى، أو مشكوك فباسم مشترك يصلح للذكر والانثى.

وفي الحديث عن علي (عليه السلام): (سموا أولادكم قبل أن يولدوا، فإن لم تدروا أذكر أم انثى فسموهم بالأسماء التي تكون للذكر والانثى، فإن أسقاطكم إذا لقوكم يوم القيامة ولم تسموهم يقول السقط لأبيه: ألا سميتي). (2)

ومن هذه الجهة سمى رسول الله محسناً قبل أن يولد. (3)

قولها (عليها السلام) (اجتبله) أى: خلقه، فقد سماه جل وعلا لملائكته وأنبيائه قبل أن يخلقه (4) أو انه تعالى وضع له اسماً قبل أن يخلق مطلقاً. (5)

ص: 123

1- الكافي: ج 2 ص 226 ح 1. واعلام الدين ص 115 باب صفة المؤمن.

2- وسائل الشيعة: ج 15 ص 121 ب 21 ح 1. والخصال ص 634 علم امير المؤمنين (عليه السلام) اصحابه فى مجلس واحد..

3- الكافي: ج 6 ص 18 ح 2. وعلل الشرائع ص 464 باب النوادر ح 14.

4- أى: قبل أن يخلقه فى هذا العالم، أى قبل ولادته، وإلا فإن نوره صلى الله عليه وآله وسلم قد خلق قبل سائر الأشياء، راجع بحار الأنوار: ج 25 ص 21 ب 37.

5- أى قبل خلقه جسمه وروحه ونوره.

واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة وبستر الأهاويل مصونة وبنهاية العدم مقرونة

من فضائله (ص)

مسألة: ينبغي التركيز والتأكيد على اختيار الله جل وعلا واصطفائه للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ولسائر الرسل وللأئمة (عليهم السلام)، وبيان فلسفة ذلك أيضاً، كما سبق الإشارة إلى جانب منها وكما سيأتي في كلامها (عليها السلام): (علماً من الله بمآل الأمور...).

إذ ان ذلك إضافة إلى تضمنه توجيهاً وتربية، فإنه يزيد من شدة التفاف الناس حولهم وبهم (عليهم السلام).

قولها (عليها السلام): (إذ) بيان لظرف الاصطفاء، فالقبلية زمنية ورتبية أيضاً، فقد اختاره (صلى الله عليه وآله) لا قبل البعثة فحسب، بل قبل الخلقة أيضاً.

وفي الحديث عن جابر بن عبد الله: (قال: قلت لرسول الله: أول شىء خلقه الله ما هو؟ فقال: نور نبيك يا جابر خلقه الله ثم خلق منه كل خير)⁽¹⁾.

ولا ينافى هذا ما ورد من أن (أول ما خلق الله عز وجل العقل)⁽²⁾ لأن العقل الأكمل هو النبي (صلى الله عليه وآله) ونوره عقل.

و(الأهاويل) الأهوال، هذا تشبيه للعدم بالهول أو يقال: إن الأهوال شرور والشورور أعدام، كما ذكروا في علم الكلام في بحث ان الوجود خير محض والعدم شر محض.⁽³⁾

و(بنهاية العدم): العدم ليس بشىء حتى يكون له ابتداء، وإنما هو كناية عن العدم المحض الذى لا شائبة له من الوجود حتى الوجود الذهنى والانتزاعى والاعتبارى.

ص:124

1- بحار الأنوار: ج 25 ص 21 ب 1 ح 37.

2- من لا يحضره الفقيه: ج 4 ص 369 ب 2 ح 5762. وغوالى اللثالى ج 4 ص 99 ح 141 الجملة الثانية فى الاحاديث المتعلقة بالعلم واهله وحامله.

3- راجع القول السيد فى شرح التجريد للإمام المؤلف دام ظله.

وهذه الجمل الثلاثة يحتمل أن يكون المراد بها واحداً، فبعضها بيان للبعض الآخر من باب التفتن في التعبير، ويحتمل أن يكون المراد بها الإشارة إلى التسلسل الوجودات في العوالم المتتالية، أو إلى مراتب الوجود. (1)

علماً من الله تعالى بمآئل الأمور (2) وإحاطة بحدوث الدهور ومعرفة بمواقع المقدور (3)

علمه تعالى

مسألة: يجب الاعتقاد بعلمه تعالى و: ((إن الله قد أحاط بكل شئ علماً)) (4) ((وهو بكل شئ عليم)) (5) والتفصيل في علم الكلام،.

كما يجب الاعتقاد بأنه عز وجل يعلم الغيب: ((ولله غيب السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله)) (6).

ولا يخفى ان علمه سبحانه من صفات الذات، كما هو مفصل في علم الكلام، قال الامام موسى بن جعفر (عليه السلام): (علم الله لا يوصف منه بأين ولا يوصف العلم من الله بكيف ولا يفرد العلم من الله ولا يبان الله منه وليس بين الله وبين علمه حد) (7).

ما وصف الله به نفسه

مسألة: ينبغي أن يصف المرء ربه بما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسله

ص: 125

- 1- وربما يؤيد هذا الاحتمال الثاني قولها عليها السلام: (مصونة، مكنونة) وعلى الاحتمال الأول قد تكون هذه التعابير مجازية.
- 2- وفي نسخة: (بما يلي الأمور).
- 3- وفي نسخة: (بمواقع الأمور).
- 4- الطلاق: 12.
- 5- البقرة: 29.
- 6- هود: 123.
- 7- التوحيد ص 138 باب العلم ح 16.

وأوصيائهم، ويحرم أن يصفه بغير صفاته، وقد قال (عليه السلام): (فمن وصف الله فقد حده ومن حده فقد عدّه ومن عدّه فقد أبطل أزله)(1).

والمراد توصيفه سبحانه بصفات الجسم ولوازم الجسم وما أشبه من صفات الممكنات(2) بل مطلق غير ما يصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسله، وخطبتها (عليها السلام) هي مما يرجع إليه في معرفة أوصافه وأسمائه جل وعلا.

و(مائيل) جمع مأل: ما يؤول ويرجع إليه الأمر(3)، أي إنما بعثه (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلمه بعواقب الامور، كعلمه بعاقبة كل فعل من أفعال البشر ومناهجهم وعلمه بعاقبة بعثته للرسول (صلى الله عليه وآله) وعاقبة عدم بعثته وغير ذلك، كمن يعلم عاقبة من يمشى في غابة خطيرة جاهلاً بمسالكها وأخطارها، وهو تعالى يعلم أيضاً المستجدات والمتغيرات التي تحدث للبشرية ولغيرها على مر الأعصار(4).

فهو سبحانه، يضع منهجاً متكاملًا لشتى أبعاد الحياة البشرية وهو عالم بالعواقب، محيط بالمستجدات، عارف بموقع كل شيء، وقدره فهو يعلم الزمان والمكان والجهات والشرائط المكتتفة بكل حدث وحكم، فمن الطبيعي وجوب اتباع مناهجه ورسله عقلاً.

أما البشر فليس بمقدوره وضع القوانين والمناهج، إذ هم يجهلون كل ذلك، فهم يجهلون خفايا النفس البشرية ويجهلون خفايا الطبيعة ويجهلون المستجدات الطارئة ويجهلون تأثيرات القوانين على الأجيال القادمة ويجهلون التزاحمات والتعارضات ويجهلون ويجهلون(5).

قال تعالى: ((ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين

ص: 126

- 1- الكافي: ج 1 ص 140 ح 6. والتوحيد ص 57 باب التوحيد ونفى الشبيه ح 14.
- 2- ولذا علل (عليه السلام) قوله ب- (لشهادة كل صفة انها غير الموصوف وشهادة الموصوف انه غير الصفة وشهادتهما جميعاً بالتثنية الممتنع منه الأزل) «الكافي: ج 1 ص 140 ح 6» وهذه حال صفات الممكن.
- 3- راجع لسان العرب مادة (أول) وفيه: (الاول: الرجوع. آل الشيء يؤول اولاً ومآلاً: رجع. واول اليه الشيء: رجع. وألت عن الشيء: ارتددت).
- 4- كمن يخطط المعركة وهو على علم تام بكافة الطوارئ والمستجدات التي ستواجه أفراد الجيش، فهو يرسم مختلف الحلول والبدائل لجيشه.
- 5- راجع موسوعة الفقه كتاب القانون للإمام المؤلف دام ظله.

نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً)) (1).

فمن يريد حياة سعيدة بهيجة في الدنيا والآخرة لابد له من الإذعان لاختيار الله ومن اتباع مناهج من اصطفاه الله في كل رطب ويابس، قال تعالى: ((ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين)) (2).

وقال سبحانه: ((يريد الله ليبين لكم ويهديكم)) (3).

وقال تعالى: ((يبين الله لكم أن تضلوا)) (4).

وقال سبحانه: ((كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم)) (5).

استحضار إحاطته تعالى

مسألة: يستحب أن يستحضر الإنسان في ذهنه دوماً إحاطة الله سبحانه بكافة أفعاله وأقواله بل حتى خواطره، وقد ورد: (يا عالم الجهر والخفيات ويا من لا يخفى عليه خواطر الأوهام وتصرف الخطرات) (6)، وأن يتذكر أن أزمة الأمور كلها بيده (7)، وإن المقادير جميعاً تعود إليه، كما قال (صلى الله عليه وآله): (ان الله عز وجل قدر المقادير ودير التدابير) (8).

وقد يجب ذلك..

وبإخطار ذلك دوماً في القلب وتأمله في العقل وتكراره باللسان سيحدث للإنسان حالة روحانية وملكة تقربه إلى مراتب الكمال وتجنبه مواطن الزلل والضلال.

ص: 127

1- النساء: 115.

2- الأنعام: 59.

3- النساء: 26.

4- النساء: 176.

5- النور: 59.

6- الاقبال ص 969 فصل فيما نذكره من تسييح وتحميد و.. في ليلة النصف من شعبان.

7- راجع مصباح المتهجد ص 378 صلاة في طلب الولد وفيه: (علما بأن أزمة الأمور بيدك). وفي البلد الامين ص 386 دعاء اويس القرني: (وازمة الأمور كلها بيدك).

8- التوحيد ص 376 ح 22 باب القضاء والقدر. وفي (الاقبال) ص 661 فصل فيما نذكره من دعاء يوم النصف من رجب: (يا من اليه التدبير وله المقادير).

وقد قال (عليه السلام): «انما الأمور ثلاثة: امر بين رَشده فیتبع، وامر بين غيه فيجتنب، وامر مشكل يرد علمه الى الله والى رسوله» (1).

إتمام الأمر

مسألة: ينبغي للإنسان أن يتم كل أمر بدأ وإن يتقنه، تخلفاً بأخلاقه تعالى (2)، ولقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «رحم الله إمرء عمل عملاً فأتقنه» (3).

والإتمام والإتقان شامل للكم المنفصل والمتصل، ومنه الاستمرار زمنياً، وللكيف ولسائر الجهات، فتأمل.

و(ابتعثه إتماماً لأمره) حيث إن أمره تعالى ابتداءً هو التكوين: «(إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون)» (4) ومنه تكوين الإنسان وغيره ممن وضع عليهم قلم التكليف (5).

و(إتمام الأمر) هو هدايته.

و(الابتعاث) من البعث، لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى.

وبيان آخر: أمره تعالى هو ما سبق من العلل الخمسة المذكورة في كلامها (عليها السلام): «تثبيتاً لحكمته وتبييناً على طاعته...» فيبعثه النبي (صلى الله عليه وآله) يتم التثبيت للحكمة والتبنيه على الطاعة وإظهار القدرة وتعبد البرية وإعزاز الدعوة وإتمام الأمر

ص: 129

1- وسائل الشيعة ج 18 ص 114 ب 12 ح 9.

2- إشارة الى قوله (عليه السلام): «تخلقوا بأخلاق الله» بحار الانوار ج 58 ص 129 ب 42.

3- راجع الامالى للشيخ الصدوق ص 384 المجلس 61 ح 2 وفيه: «ولكن الله يجب عبدا اذا عمل عملا أحكمه».

4- يس: 82.

5- كالجئن قال سبحانه: «((إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدى إلى الرشـد فأمنّا))» «الجئن: 2» ومخلوقات اخرى لانعرفها، قال تعالى: «((وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً))» «الإسراء: 70».

وإبطال الباطل، فإن شر ما يصيب الفرد أو الأمة الوهن والتردد عند مواجهة الصعاب والعقبات التي تعترض طريق المصلحين الأمرين بالمعروف والناهيين عن المنكر.

قال علي (عليه السلام): (يا أيها الناس لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلّة من يسلكه) (1) فكل ما حكم به الله، على الإنسان أن يجد لتحقيقه فإنه سير في طريق الهدف الذي توخاه الله من الخلق.

وقد ذكر في القرآن الكريم على سبيل المدح كلمة (العزم) قال سبحانه: ((لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وأن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور)) (2) وعبر عن بعض الأنبياء بـ: ((أولوا العزم من الرسل)) (3) إلى غير ذلك.

ص: 132

1- مستدرک الوسائل: ج 12 ص 194 ب 4 ح 13858. وشبهه في الارشاد ج 1 ص 276 فصل ومن كلامه (عليه السلام) في مقام آخر.

2- آل عمران: 186.

3- الاحقاف: 35.

التفرق عن الحق

مسألة: يحرم التفرق عن الحق، فقد قال سبحانه: ((واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)) (1) وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (على مع الحق والحق مع على يدور معه حيثما دار) (2) إلى غير ذلك.

وقد ورد في تفسير الآية (3): (ان الله تبارك وتعالى علم انهم سيفترقون بعد نبينهم ويختلفون فنهاهم عن التفرق كما نهى من كان قبلهم فأمرهم ان يجتمعوا على ولاية آل محمد (عليهم السلام) ولا يفرقوا) (4).

ويمكن الاستدلال له بآية: ((ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)) (5) وبديل العقل الآتى على ذلك وعلى حرمة التنازع والاختلاف ما هو هو في الجملة، أى فيما اذا سبب ما لا يجوز من الفشل وذهاب الريح.

وهل يحرم النزاع إذا كان أحد الطرفين أو الأطراف ذا حق شخصى أو شبهه؟ الظاهر عدم ذلك بالنسبة إلى المحق، خاصة إذا كان ضرر التخلي عن حقه أكثر من ضرر التنازع، أما إذا انعكس الأمر كما لو تنازعا في دين أو شبهه من الحقوق فقد يؤدي النزاع - لو لم يتخل ذو الحق عن حقه - إلى سفك الدماء وشبهه، أو إلى ذهاب الريح بدرجة تكون خسارتها أعظم مما يذهب من حقه الحالى، فالمسألة حينئذ تكون من كلى (الأهم والمهم)، ثم ان الآية تشمل المنازع غير المحق مطلقاً.

هذا بالإضافة إلى دلالة العقل على أن الاجتماع قوة والتفرقة ضعف، وسر تقدم وتحطم الامم هو ذلك، فإذا اجتمعت على الحق سلمت وسعدت دنيا وأخرى وإلا فلا.

ص: 133

- 1- آل عمران: 103.
- 2- الفصول المختارة ص 97 وص 135. وبحار الأنوار: ج 33 ص 376 ب 23 ح 606 (بيان). وشرح النهج ج 18 ص 72.
- 3- ق وله تعالى: ((واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)). آل عمران: 103.
- 4- ت فسير القمى ج 1 ص 108 سورة آل عمران فى تفسير الآية 103.
- 5- الأنفال: 46.

الفحص عن حال الأمم

مسألة: يجب التفحص عن حال الأمم الأخرى، ومعرفة انحرافات الفكرية والعملية، وجوباً كفاً، مقدمة للإرشاد والإصلاح، وهو ما يحقق في الجملة الأهداف المذكورة في كلماتها (عليها السلام)، هذا والكلام في وجوب الفحص عن الموضوعات مفصل ذكرناه في محله.

عكفاً على نيرانها، عابدة لأوثانها

عبادة النيران والأوثان

مسألة: تحرم عبادة النيران وسائر الأوثان بما هي هي أو بدعوى انها تقرب الإنسان إلى الله زلفى، كما ورد في القرآن عن لسان المشركين قال تعالى: (وما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى). (1)

فإن عبادة غير الله سبحانه وتعالى محرمة (2)، سواء كان ذلك الغير بشراً، أو حيواناً كالبقرة، أو نباتاً كالشجر، أو جماداً كالحجر والنار والماء، فإن كثيراً من هذه العبادات لاتزال موجودة في بعض البلاد كالهند والصين ونحوهما.

بل إن الكثير من الناس يعبدون ويطيعون أهوائهم من دون الله، كما قال تعالى: ((أرأيت من اتخذ إلهه هواه)) (3) وإطلاق كلامها (عليها السلام) يشملها، وربما يقال بأن الانصراف وبعض القرائن المقامية قد لا تسمح بذلك، فتأمل.

كما يمكن التعميم توسعة مجازاً أو ملاكاً، بإرادة نيران العداوة والبغضاء، لا يحدون عنها إلى الألفة والاجتماع والتعقل والصالح.

ص: 135

1- الزمر:

2- قال تعالى: ((والرجز فاهجر)) « المدثر: 5 » أي عبادة الاوثان، كما في بعض التفاسير، راجع تشابه القرآن ج 2 ص 158 باب فيما يحكم عليه الفقهاء، للشيخ محمد بن علي بن شهر آشوب.

3- الفرقان: 43.

ولا فرق في حرمة عبادة النار والوثن بين مختلف أنواع ما يطلق عليه عبادة عرفاً، كالصلاة والركوع والسجود وتقديم قربان وما أشبه ذلك، كما لا يجوز إذا قصد العبادة ولو بما لا يعد عرفاً عبادة، أما صنع المجسمات والمعاملة عليها لا للعبادة، فالظاهر جواز ذلك لأن الأدلة منصرفة إلى ما كان المقصود منها العبادة والتفصيل مذكور في الفقه. (1)

وقد يكون السبب في تركيز السيدة الزهراء (عليها السلام) على هذا الانحراف العقائدي في المعبود: ان عبادة النيران والأوثان - وهي كما قال تعالى: ((واتخذوا من دونه الهة لا- يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا- يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا- يملكون موتاً ولا- حياة ولا نشوراً)) (2) - يكشف عن الجهل بأكثر الحقائق بدهة وبأكبر الكمالات وأعظمها، بل الجهل بالكمال المطلق.

وذلك إضافة إلى كونه نقصاً (3) يعد من أهم عوامل الجمود الفكري والتخلف الحضاري والعلمي، إذ الفرق واضح بين من إلهه مظهر الفقر والجهل والعجز، ومن إلهه مظهر الكمال والغنى والعلم المطلق، وذلك كمن يتخذ مقتداه وإمامه شخصاً سفيهاً أو حكيماً، مستبدلاً أو استشارياً، قاسياً أو رحيماً، فإن هذا الاتخاذ يؤثر بقدر وإن كان الفرد بطبيعته أو بتربيته الاجتماعية من نمط آخر.

ص: 136

1- راجع موسوعة الفقه: كتاب المكاسب المحرمة ج 12.

2- الفرقان: 3.

3- إذا كان جهل الإنسان بالرياضيات والهندسة أو بقواعد علم النفس أو السياسة أو الاقتصاد وشبهها يعد نقصاً، فما بالك بالجاهل جهلاً مركباً بها، كمن يتصور ان اثنين زائداً اثنين يساوي ثلاثة مثلاً، والأمر في من يتصور الخالق الرازق العالم المطلق هو تلك الأوثان الجاهلة العاجزة أسوأ والنقص فيه أعظم. وإذا كان الجهل بأسماء كبار الشخصيات العالمية والعلمية كالجهل بمكتشف القوة الجاذبية، وبمخترع المصباح الكهربائي وشبهه نقصاً، فما بالك بالجهل بخالق الجاذبية والكهرباء وبخالق اديسون ونيوتون، وبخالق هذا الإنسان نفسه؟ وهكذا.

قال تعالى : ((إن الشرك لظلم عظيم))⁽¹⁾ فهو ظلم للإنسان نفسه ولمجتمعهم كما هو ظلم لعقله ولفطرته ووجدانه.

إنكار الله رغم معرفته

مسألة: يحرم إنكاره جل وعلا، سواء كان بإنكار أصل وجوده، أم وحدانيته، أم بعض صفاته الثبوتية أو السلبية، كما: ((قالت اليهود يد الله مغلولة))⁽²⁾ وكقول النصارى بأن له ولداً، قال تعالى: ((وقالوا اتخذ الرحمن ولداً، لقد جئتم شيئاً إداً، تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدأً، أن دعوا للرحمن ولداً، وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً))⁽³⁾.

وكالقول بالحلول والاتحاد والجبر وما أشبه ذلك، فلقد كانت الأمم حين بعثته (صلى الله عليه وآله وسلم) فرقاً، كل واحدة منها تنكر شيئاً من ذلك فهي (منكرة لله مع عرفانها) بالحقيقة، والمراد إما المعرفة الفطرية أو البرهانية.

أما من لا يعرفه جل وعلا - لشبهة مثلاً - فالواجب عليه الفحص والبحث وجوباً عقلياً قبل أن يكون شرعياً في بعض الموارد⁽⁴⁾ وذلك لاحتمال الضرر العظيم في الدنيا والآخرة، ودفع الضرر المحتمل في الأمور الخطيرة واجب عقلاً، كمن يحتمل احتمالاً عقلياً أن يكون في الطريق سبع أو لص يقتله أو ما أشبه ذلك، فإن العقلاء يردعون عن سلوك هذا الطريق، قال: (لا ضرر ولا ضرار في الإسلام).⁽⁵⁾

ومعنى الإنكار مع العرفان ما ذكر في قوله سبحانه: ((يعرفون نعمة الله ثم

ص: 137

1- لقمان : 13.

2- المائدة: 64.

3- مريم: 88 - 92.

4- إشارة إلى ان الوجوب الشرعي قد يتأتى في غير المنكر لأصل وجوده تعالى، كالمنكر لصفاته مثلاً.

5- وسائل الشيعة: ج 17 ص 376 ب 1 ح 10.

ينكرونها)) (1) وقوله تعالى: ((يعرفونه كما يعرفون أبناءهم)) (2) حيث ان كثيراً من المشركين كانوا يعرفون الله سبحانه وتعالى لكنهم كانوا تقليداً لأبائهم يعبدون الأصنام، وقد اشير في القرآن الحكيم إلى هذا المطلب كرراً (3) فهم كما قال تعالى: ((وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم)) (4).

فإن المعرفة إذا لم تكن موضع العمل يسرى الإنكار إلى السلوك لساناً وعملاً، بل وقلباً - بنائياً - أيضاً، فهم يعرفون علماً، وينكرون عقداً قلبياً.

فأثار الله بأبي محمد (ص) ظلمها

إنارة الظلم

مسألة: لقد كان (صلى الله عليه وآله وسلم) شمساً مضيئة في افق البشرية - بل كل العوالم الإمكانية - فقد كان ولا يزال هو وأهل بيته (عليهم السلام) وسائط الفيض بين الخالق جل وعلا وبين كافة المخلوقات، كما ورد: (بيمنه رزق الورى وبوجوده ثبتت الارض والسماء) (5).

فمن الواجب السعى - عبر الكتب والمجلات والإذاعات وغيرها - لتوضيح الإشرافات الإلهية التي تجلت عبره (صلى الله عليه وآله) على البشرية بأجمعها، ودوره (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي لا يضارع في إضائة طرق الهداية، بل في الكشف عن مختلف الحقائق الدينية والدنيوية في شتى الحقول، وما له (صلى الله عليه وآله) من الفضل على الإنسانية في الأبعاد الحقوقية والأخلاقية والاجتماعية وغيرها وفي أبعاد العلوم الوضعية أيضاً (6).

ص: 138

1- النحل: 83.

2- البقرة: 146. الأنعام: 20.

3- المائدة: 104. الأعراف: 28. يونس: 78. الشعراء: 74. لقمان: 21. الزخرف: 22...

4- النمل: 14.

5- عمدة الزائر ص 375. الدعاء والزيارة ص 269.؟؟

6- راجع كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم ج 12) للإمام المؤلف.

مسألة: يستحب - ويجب في موارد - تأسيساً به (صلى الله عليه وآله وسلم) وتخلقاً بأخلاق الله تعالى(1) ولدليل العقل أيضاً:

أن يكون الإنسان كالمصباح المنير للمجتمع، ينير لهم سبل الرشاد، وفي كل حقل كيفما تمكن.

و(الظلم): جمع الظلمة، وهي قد تكون ظلمة الاعتقادات المخالفة للواقع، وقد تكون ظلمة الأعمال الباطلة، وكما تستر الظلمة الحقائق العينية الخارجية كذلك يستر الجهل الحقائق الفكرية والاعتقادية ويخفى الخير العملي، فيضيع الحق بين أقسام الباطل ويختلط العمل الصالح بالطالح.

وفي ذينك الموردین الإنارة واجبة وفي غير ذلك مستحبة، لأنها نوع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإرشاد الجاهل وتنبية الغافل... الشامل للواجب والمستحب والحرام والمكروه كل في مورده.

تفصيل أهداف البعثة

مسألة: ينبغي الاجتهاد (2) نحو البيان التفصيلي للغاية من بعثته (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهدافها، فإن ذلك من العلة المعدة لاقتراب الناس منها وسوقه نحوها وإرشادهم إليها، ذلك ان الناس لو عرفوا فوائد الشئ ومنافعه تفصيلاً، كانوا أسرع استجابة وأشد ثباتاً وأقوى اندفاعاً، قال تعالى: ((استجيبوا لله والرسول إذا دعاكم لما يحييكم)) (3) وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) (4)، وقال (صلى الله عليه

ص: 139

1- لما ورد من (تخلقوا بأخلاق الله) بحار الأنوار ج 58 ص 129 ب 42.

2- بالمعنى اللغوي وهو استفراغ الوسع. راجع لسان العرب مادة (جهد) وفيه: (والاجتهاد والتجاهد: الوسع والمجهود... والجهاد: المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب او اللسان او ما أطاق من شئ).
3- الأنفال: 24.

4- مكارم الاخلاق ص 8 المقدمة.

وآله): (انما بعثت رحمة) (1).

المقياس في إتباع الرسول (ص)

مسألة: الملاك لمعرفة من يسير بسيرته (صلى الله عليه وآله) ومن يهتدى بهديه ممن يدعى ذلك ويتظاهر به فقط: مدى إنارته لظلمات الجهل، عبر دعوة الناس للتفكير والتدبر وفسح المجال لهم بذلك وعبر المشورة وفتح باب نقد الحاكم إن أخطأ وما أشبهه.

على عكس المستبدين الذين يحرمون قولاً وعملاً، أو عملاً لا قولاً - إغراءً بالجهل وخداعاً للعامة - كل ذلك، بسلب الحرية من العلماء والمصلحين والكتاب والمفكرين وبسوق الناس لإطاعة الحاكم إطاعة عمياء، وفي القرآن الكريم: ((وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلاً)) (2).

وكذلك مدى إنقاذه الناس من الغواية والضلالة، أو محاولة إضلالهم أكثر فأكثر بالتدليس والتلبيس والتحريف وما أشبهه في عكسه، قال (عليه السلام): (إذا جالستم فجالسوا من يزيد في علمكم منطقته، ويذكركم الله رؤيته، ويرغبكم في الآخرة عمله) (3).

وكشف عن القلوب بهمها

توضيح المعضلات

مسألة: ينبغى كشف البهم (4) عن القلوب، وجوباً أو استحباباً، كل في مورده.

فالشبهات والمتشابهات والمشتبهات والابهامات والمعضلات والمجهولات التي يجب على الإنسان الاعتقاد بطرف من أطرافها يلزم كشفها، وفي موارد المستحبات يستحب كشفها.

كما ان الأمر في الأعمال كذلك، فينبغى - بالمعنى الأعم - كشف مجهولاتها وشبهاتها أيضاً، وقد ذكروا في علم الأصول حكم الشبهات الوجوبية والتحريمية، البدوية وغيرها، كما

ص: 140

1- المناقب ج 1 ص 215 فصل في اللطائف.

2- الأحزاب: 67.

3- ارشاد القلوب ص 77، الباب الثامن عشر، وصايا وحكم بليغة، عن الصادق (عليه السلام).

4- البهم، بالضم: جمع (البهمة) وهو المجهول الذي لا يعرف، (مجمع البحرين).

ذكروا مسألة الفحص فى الأحكام والموضوعات(1).

هذا ولا- يخفى مدى أهمية (القلوب) فى تبليغ رسالات الله، وإنه ينبغى الإهتمام بها، لا بالمظاهر فقط، قال تعالى: ((يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم)).(2)

وقال(صلى الله عليه وآله وسلم): (ان الله لا ينظر الى صوركم وأعمالكم، ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم)(3).

وقال الصادق (عليه السلام): (بيننا موسى بن عمران (عليه السلام) يعظ أصحابه إذ قام رجل فشق قميصه، فأوحى الله عزوجل إليه: يا موسى قل له: لا تشق قميصك ولكن اشرح لى عن صدرك).(4)

وجلى عن الأبصار غممها

إزاحة الستائر

مسألة: يستحب أو يجب إزاحة الستائر عن البصائر، إذ الظاهر ان المراد بالأبصار: البصائر، لأن ذلك هو الذى قام به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

وهو بين واجب ومستحب، أما هذا العضو الخارجى الذى يبصر به الإنسان فليس الحديث بصدده (5) والله العالم، وإن كان يجب علاج العين فيما إذا عميت أو أصيبت وأمكن علاجها، أو يستحب، كل فى مورده، قال على (عليه السلام): (فقد البصر أهون من فقدان البصيرة)(6).

قولها (عليها السلام): (غممها) الغمة: الستر، ولذا يسمى السحاب: الغمام، لأنه

ص: 141

1- راجع (الأصول) و(الوسائل فى شرح الرسائل) للإمام المؤلف دام ظله.

2- الشعراء: 89.

3- جامع الاخبار ص 100 الفصل 56 فى الإخلاص.

4- سفينة البحار: ج 2 ص 442 مادة (قلب).

5- وذلك للقرائن المقامية، وسياق كلامها عليها السلام.

6- غرر الحكم ودرر الكلم ص 41 الفصل الاول: أهمية المعرفة ح 5.

يستر ما فى السماء من النيرات(1)، فقد كانت القلوب - قبل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) - جاهلة بالحقائق، والأبصار لا ترى الدرب الصحيح نحو الحياة السعيدة.

وربما يقال فى الفرق بين المقاطع الثلاثة: إن المراد ب- (فأنار الله بأبى محمد ظلمها) أى المجهولات المطلقة، و(كشف عن القلوب بهمها): المتشابهات والمشتبهات، و(جلى عن الأبصار غممها) المجهولات بالعرض، أساتر. (2)

أو يقال: المراد بالظلم: ظلم العقيدة، وبالبهيم: ما يتعلق بها (3)، وبالغمم: كل ما يرتبط بمسيرة الحياة. (4)

أو يقال: الظلم: ما يتعلق بمدركات القوة المتعلقة (5)، والبهيم: ما يتعلق بالقوة المتوهمة (6)، والغمم: ما يتعلق بالقوة المتخيلة والحواس.

والله العالم، ويحتمل أن تكون الجمل من باب التفنن فى التعبير، فتأمل.

وقام فى الناس فى الهداية

الهداية العملية

مسألة: هداية الناس إلى الواجب واجبة، وهدايتهم إلى المستحبات مستحبة، وكذلك فى عكس الأمرين، المحرمات والمكروهات (7).

أما الهداية إلى المباحات فمستحبة أيضاً، حيث ان المباحات أحكام الله سبحانه وتعالى،

ص: 142

1- وفى لسان العرب مادة (غمم) الغمام: الغيم الأبيض، وانما سمي غماما لانه يغم السماء، أى يسترها.

2- كالفطريات المستورة كما ورد (ويشروا لهم دفائن العقول)، نهج البلاغة الخطبة 37/1.

3- كتفاصيل المعاد والحشر والنشر وتفاصيل الخلقة وشبه ذلك.

4- كالسلوك والمعاشرة والعادات والتقاليد وسائر مناهج الحياة اليومية والعملية.

5- أى: الكليات.

6- كالحب والبغض والخوف والرجاء والحسد... الخ.

7- فالهداية لمعرفة المحرمات واجبة، ومعرفة المكروهات مستحبة وقد تجب أيضاً.

وبيان أحكام الله وهداية الناس إليها بين واجب ومستحب.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلى (عليه السلام): (لئن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من ان تكون لك حمر النعم) (1).

وفى بعض الروايات: (خير لك مما طلعت عليه الشمس) (2).

وفى بعضها: (خير لك من الدنيا وما فيها) (3).

قولها (عليها السلام): (فى الهداية) أى: إلى العقيدة الصحيحة والأخلاق الفاضلة والشريعة القويمة.

ويمكن القول بأن الجمل الثلاثة السابقة كانت تشير إلى الجانب النظرى « الفكرى والاعتقادى » وهذه تشير إلى الهداية العملية، فقد قام (صلى الله عليه وآله وسلم) عملياً بهداية الناس نحو ما يصلح دنياهم وأخراهم، فأوجد فيهم روح الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر والمصابرة والمرابطة والتوكل على الله والتواضع والاخوة والحرية والشورى وما أشبه.

كما طبق (صلى الله عليه وآله وسلم) فيهم عملياً مناهج الإسلام الحيوية فى مجالات: الإقتصاد، الزراعة، السياسة، الحكم، الحقوق الفردية والاجتماعية وما أشبه (4).

ومن الواجب علينا أن نحذو حذوه فى كل ذلك، كالقيام بالهداية إلى العقيدة عملياً، بمعنى توفير المقومات والأجواء اللازمة التى تسوق الناس للاعتقاد السليم وللمحافظة

ص: 143

1- الطرائف ص 56 ما ظهر من فضله فى غزوة خيبر ح 52. والعمدة ص 147 و 149 و 157 الفصل 17.

2- شرح النهج ج 4 ص 13 من أخبار يوم صفين.

3- منية المريد ص 101 فصل فيما روى عن النبى صلى الله عليه وآله فى فضل العلم، قاله (ص) لمعاذ.

4- يراجع حول تلك العناوين الكتب التالية للإمام المؤلف دام ظله: من موسوعة (الفقه): الحقوق، السياسة، الإقتصاد، الاجتماع وكذلك (ولأول مرة فى تاريخ العالم ج 1/2)، (من أوليات الدولة الإسلامية)، (حكومة الرسول صلى الله عليه وآله والإمام أمير المؤمنين عليه السلام) وكذلك (السياسة من واقع الإسلام) لآية الله السيد صادق الشيرازى دام ظله.

عليه(1).

فأنقذهم من الغواية

الإيقاذ من الغواية

مسألة: يستحب أو يجب إيقاذ الناس من الغواية، بأى المعنيين فسرت(2)، تأسيساً وإقتداءً به (صلى الله عليه وآله وسلم)، حيث أنقذهم من الغواية(3) التى كانوا فيها والضلالة الفكرية والاجتماعية والسياسية وغيرها والتحارب والفقر وما أشبه(4).

قال على (عليه السلام): (فى طاعة الهوى كل الغواية)(5).

والفاء للتفريع فقد (قام فى الناس بالهداية) (ف-) (أنقذهم من الغواية).

وفى بعض النسخ (وأنقذهم) والواو تفيد مطلق الجمع وهى لا تدل على الترتيب أو التفريع لكنها لا تنفيها أيضاً.(6)

ومن المعلوم أن الهداية غير الإيقاذ:

فإن الهداية: إراءة الطريق.

والإيقاذ: الأخذ بيد الناس حتى الوصول إلى الهدف.

فقد يقول المصلح للناس: (زوجوا أولادكم مبكراً) وقد يهيا أسباب الزواج

وبصرهم من العماية

ص:144

- 1- مثلاً قام صلى الله عليه وآله ببناء خمسين مسجداً فى المدينة وحولها، ونصب أئمة الجماعة من الرجال والنساء - كأم ورقة - للعديد منها، وعين من يعلم القرآن الكريم، وهكذا.
- 2- إذ لها معنيان، كما سيأتى منه دام ظله.
- 3- الغى: الضلالة والخيبة، وغوى يغوى: انهمك فى الجهل وهو خلاف الرشيد. «مجمع البحرين». وفى (لسان العرب) مادة (غوى): الغى: الضلال والخيبة.
- 4- كواد البنات وأكل الحشرات وشبه ذلك مما ستأتى الإشارة إليه فى كلماتها عليها السلام اللاحقة.
- 5- غرر الحكم ودرر الكلم ص307 الفصل الخامس فى الغضب والشهوات ح7037.
- 6- راجع (الالفية) لابن مالك، وشروحها.

ومقوماته حتى يتم، فهذه الجملة اشارة للهداية بالمعنى الثانى(1).

وقد تكون الهداية زيادة عن الإنقاذ عن الغواية، لأن بينهما واسطة، قال تعالى: ((ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم)).(2).

وبصرهم من العماية:

التبصير من العماية

مسألة: يستحب أو يجب تبصير الناس من العماية، عماية القلب والبصيرة والعمى فى السلوك العملى للإنسان، لأن من لا يرى الحقائق هو أعمى تشبيهاً، للمعقول بالمحسوس، قال (عليه السلام): (شر العمى عمى القلب)(3).

ويمكن إرادتها (عليها السلام) من (الغواية): (الخيبة)(4) فتكون غير العماية التى فسرت بالضلالة، ولو فسرت الغواية بالضلالة كانت الجملة الثانية من مصاديق الجملة الأولى (5) إذ الإنقاذ فى كل شىء بحسبه.(6)

وهداهم إلى الدين القويم

الهداية للدين القويم

مسألة: القويم أى العدل المستقيم الذى له قوام وواقعية، لا ذلك الذى فى ظاهره بريق

ص:145

1- المعنى الاول للهداية: اراءة الطريق، والمعنى الثانى: الايصال للمطلوب.

2- هود: 34.

3- الأمالى للشيخ الصدوق ص488 المجلس74.

4- الخيبة: الخسران والحرمان. راجع لسان العرب مادة خيب، وفيه: (الخبية: الحرمان والخسران.. وخاب اذا خسر).

5- الجملة الأولى: (أنقذهم من الغواية) والثانية (بصرهم من العماية).

6- فالإنقاذ من الضلالة: تارة يكون بمجرد أن يبصر الإنسان الضال، وتارة يكون بأكثر من ذلك.

لكنه خلو عن الحق والحقيقة فهو ك- ((خشب مسندة)) (1) أو: ((كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاص)) (2) أو: ((فأما الزبد فيذهب جفاء)) (3) وهذا مما يفرق به بين الحق والباطل والهدى والضلال.

ولقد بذل صلى الله عليه وآله وسلم كل لجهد وأتعب نفسه الشريفة أشد التعب لهداية الناس إلى الدين القويم حتى نزل فيه قوله تعالى: ((طه، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، إلا تذكرة لمن يخشى)) (4).

ومن اللازم علينا أن نتأسى به (صلى الله عليه وآله وسلم) فى العمل لأجل الدين القويم كما ورد فى الحديث: (فتأس متأس بنبيه وإلا فلا يأمن الهلكة). (5).

ثم إن العمل لأجل الدين القويم حتى يتخذ الناس ذلك منهجاً وطريقاً، بين واجب ومستحب كل فى مورده، مثل افتتاح المدارس وتأسيس المساجد وتجهيز الجيوش وتنظيم المنظمات وغير ذلك، كل حسب الزمان والمكان والجهات المناسبة.

ودعاهم إلى الطريق المستقيم

انتهاج الطريق المستقيم

مسألة: ينبغى (6) الدعوة إلى الطريق المستقيم (7) وانتهاجه للوصول إلى المقاصد السامية، فإن العمل لأجل الوصول إلى الهدف، قد يكون بسبب طريق مستقيم وهو الصحيح، وقد يكون بطريق منحرف، أو بطريق متعرج وكلاهما خطأ.

فإن الأول: لا يوصل إلى الهدف وهو نوع من الضلالة، إضافة إلى انه يسبب المشاكل والصعوبات.

ص: 146

1- المنافقون: 4.

2- إبراهيم: 18.

3- الرعد: 17.

4- طه: 13.

5- نهج البلاغة: الخطبة 160.

6- أى يجب أو يستحب كل فى مورده.

7- الاستقامة: الاعتدال والاستواء واستقام الشعر: اتزن... راجع لسان العرب وغيره مادة (قوم).

والثاني: يستلزم مؤونة زائدة وطول الطريق والتعب والنصب.

مثلاً: من يريد الذهاب إلى النجف الأشرف من كربلاء المقدسة، فقد يذهب إلى بغداد ثم إلى الحلة ثم إلى النجف الأشرف، وقد يذهب من كربلاء المقدسة إلى النجف الأشرف بخط مستقيم.

كما انه قد يذهب بسيارة أو بأموال مغموبة، وقد يذهب بطرق محللة شرعية.

ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عمل لأجل الدين القويم والصراط المستقيم عبر الطريق المستقيم بكلا المعنيين، وهكذا يجب أو يستحب مثل ذلك، كل في مورده كما ذكرناه سابقاً.

قال تعالى: ((إنما يتقبل الله من المتقين)) (1)

و: (لا يطاع الله من حيث يعصى).

فهذه الجملة منها (صلوات الله عليها) ترد مقولة (الغاية تبرر الوسيلة). كما أنها تشير إلى أقرب الطرق للنصر والتقدم.

فالتقوى من الله والزهد في ملذات الحياة والصبر على الأذى والتوكل على الله تعالى وإغاثة الملهوف ونصرة المظلوم وإعطاء الخمس والزكاة والعمل بأوامر الله تعالى من الحرية والاخوة والشورى وما أشبهه، هي أسلم وأقرب الطرق لبناء أمة متكاملة وحضارة راقية ولضمان سعادة الدنيا والأخرى وللاتتصار على العدو وللحيلولة دون الظلم والطغيان، قال تعالى: ((وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً)). (2)

وقال سبحانه: ((وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً)). (3)

وقال تعالى: ((ومن يتق الله يجعل له مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدراً)). (4)

ص: 147

1- المائدة: 27.

2- آل عمران: 120.

3- الجن: 16.

4- الطلاق: 23.

وقال (عليه السلام): (جاهدوا تورثوا أبناءكم عزاً).⁽¹⁾

وقال (عليه السلام): (لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر أو ليستعملن عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم).⁽²⁾

على (عليه السلام) هو الصراط المستقيم

ثم لا يخفى إن الطريق والصراط المستقيم في قوله تعالى: ((اهدنا الصراط المستقيم))⁽³⁾ قد فسر بولاية على أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام)، فيكون المراد حينئذ:

من قولها (عليها السلام): (هداهم إلى الدين القويم) دين الإسلام.

ومن قولها: (ودعاهم إلى الصراط المستقيم) ولاية على وذريته (عليهم أفضل الصلاة والسلام).

وقالت (عليها السلام) بعد ذلك: (ثم قبضه الله إليه) أى بعد ما أمر (صلى الله عليه وآله وسلم) بالإسلام وبولاية على (عليه السلام) حيث كمل الدين وتمت النعمة قبضه تعالى، قال تعالى: ((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً))⁽⁴⁾.

فعن ابن عباس قال: كان رسول الله يحكم وعلى (عليه السلام) بين يديه مقابله، ورجل عن يمينه ورجل عن شماله، فقال: اليمين والشمال مضلة والطريق المستوى الجادة، ثم أشار (صلى الله عليه وآله وسلم) بيده (وإن هذا صراط على مستقيم فاتبعوه).⁽⁵⁾

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في يوم الغدير:

(معاشر الناس انا صراط الله المستقيم الذى أمركم باتباعه، ثم على من بعدى، ثم ولدى

ص: 148

1- راجع وسائل الشيعة: ج 1 ص 13 ب 1 ح 22، وفيه: (الجهاد عز الإسلام).

2- مستدرک الوسائل: ج 12 ص 181 ب 1 ح 13827. وغوالى اللئالى ج 3 ص 191 باب الجهاد ح 36.

3- الفاتحة: 6.

4- المائة: 3.

5- المناقب ج 3 ص 74 فصل فى انه عليه السلام السبيل والصراط المستقيم والوسيلة. (سفينة البحار): ج 5 ص 99 مادة (صراط)، الطبعة الجديدة. وشبهه فى (الصراط المستقيم) ج 1 ص 284.

من صلبه، ائمة يهدون الى الحق وبه يعدلون، ثم قرأ: الحمد لله رب العالمين الى آخرها، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): فى نزلت وفيهم نزلت (1).

وعن على (عليه السلام) قال: (أنا صراط الله المستقيم وعروته الوثقى). (2)

وعن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فى قول الله عزوجل: ((صراط الذين أنعمت عليهم)) (3) الآية، قال: (شيعه على الذين أنعمت عليهم بولاية على بن أبى طالب (عليه السلام) لم يغضب عليهم ولم يضلوا). (4)

وعن أبى جعفر (عليه السلام) قال: (أوحى الله إلى نبيه: ((فاستمسك بالذى أوحى إليك إنك على صراط مستقيم)) (5) قال: إنك على ولاية على (عليه السلام) وعلى هو الصراط المستقيم). (6)

ص: 149

1- الاحتجاج ص 62، احتجاج النبي صلى الله عليه وآله يوم الغدير على الخلق كلهم.
2- سفينة البحار: ج 5 ص 98 مادة (صرط)، الطبعة الجديدة، وفيه أيضاً: (قال الشيخ المفيد رفع الله درجته: الصراط فى اللغة هو الطريق فلذلك... سمي الولاء لأمير المؤمنين (عليه السلام) والائمة من ذريته (عليه السلام) صراطاً يعنى أن معرفته والتمسك به طريق إلى الله سبحانه).

3- الفاتحة: 7.

4- بصائر الدرجات ص 71 ح 7 باب ما خص الله به الائمة من آل محمد من ولاية اولى العزم لهم فى الميثاق وغيره. و(سفينة البحار): ج 5 ص 99 مادة (صرط)، فى أن علياً (عليه السلام) هو الصراط، «الطبعة الجديدة».

5- الزخرف: 43.

6- سفينة البحار: ج 5 ص 99 مادة (صرط)، الطبعة الجديدة.

ثم قبضه الله إليه قبض رأفة واختيار ورغبة وإيثار

إنك ميت

إنك ميت(1)

مسألة: لا يجوز القول بأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يمّت، كما قال بعض عند ارتحاله (2)، قال تعالى: ((إنك ميت وإنهم ميتون)) (3).

وقال سبحانه: ((كل نفس ذائقة الموت)) (4).

نعم إنه لا فرق بين حياتهم وموتهم (عليهم السلام) كما ورد: (أشهد أنك حي شهيد ترزق عند ربك) (5).

رأفة الله برسوله (ص) واختياره

(قبض رأفة) ربما يكون المراد منه: القبض لإرادة الرأفة به (صلى الله عليه وآله وسلم) في تلك الدار، وربما يكون المراد به قبضاً رؤوفاً، أى قبضاً سهلاً مقترناً برأفته ولطفه تعالى في قبض أرواح العصاة والمردة وأشباههم حيث يقبضهم قبض غضب (6).

أو المراد قبضاً عن رأفة، أى قبضاً ناشئاً من رأفته سبحانه به (صلى الله عليه وآله وسلم)، ويكون في قبض القبض برأفة أو عن رأفة: القبض بغضب أو عن غضب.

مسألة: ومن الواجب على الإنسان عقلاً وشرعاً أن يتجنب الابتلاء بذلك (7) ولو تذكر الإنسان دوماً مدى شدة أهوال النزع لما حام حول المعاصي، ولكان دائم الحزن والههم، بل مبتعداً عما يحتمل ان يوجب سخط الخالق جل وعلا، قال على (عليه السلام): (من أكثر ذكر

ص: 150

1- الزمر: 30.

2- راجع شرح نهج البلاغة، لابن ابى الحديد ج 10 ص 184، وفيه: (وقد اختلف الرواية في موته «صلى الله عليه وآله» فأنكر عمر ذلك وقال انه لم يمّت وانه غاب وسيعود، فثناه ابوبكر عن هذا القول وتلا عليه الآيات المتضمنة انه سيموت، فرجع الى قوله).

3- الزمر: 30.

4- آل عمران: 185.

5- كامل الزيارات ص 220 ح 13 ب 79 زيارات الحسين بن على عليه السلام.

6- فالمراد: قبضه قبضاً يؤول إلى الرأفة، أو قبضاً مع رأفة، أو قبضاً هو عين الرأفة.

7- أى قبض غضب، على ما فسر.

الموت رضى من الدنيا باليسير(1).

وقال (عليه السلام): (اكثروا ذكر الموت، فانه ما اكثر ذكر الموت انسان الا زهد في الدنيا) (2).

(واختيار): أى منه (صلى الله عليه وآله وسلم) كما فى الروايات إنه اختار لقاء الله سبحانه(3).

أو اختيار منه تعالى له (صلى الله عليه وآله وسلم)، أى اصطفاء منه له.

أو اختيار من الله بين القبض وعدمه، لا أن أخذه كان من المحتوم عليه سبحانه وتعالى(4) وعلى هذا فهو كناية عن لطفه تعالى به (صلى الله عليه وآله وسلم).

رغبته (ص) فى لقاء الله تعالى

(ورغبة) أى منه (صلى الله عليه وآله وسلم) أو من الله تعالى، حيث رغب فى لقاء حبيبه، والمراد برغبته تعالى الغاية، كما قالوا: (خذ الغايات واترك المبادئ).

(وإيثار) أى أثر (صلى الله عليه وآله وسلم) لقاءه، أو أثر الله سبحانه لقاءه.

الرغبة فى ذلك

مسألة: ومن المستحب أن يربى الإنسان المؤمن نفسه بحيث يكون راغباً فى لقاءه تعالى، مؤثراً لقاءه، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (الموت ريحانة المؤمن) (5).

ولا يتيسر ذلك إلا بإطاعته تعالى وتجنب معاصيه، وكذلك بتلقيق النفس والتوسل بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وآل بيته الأطهار (عليهم السلام) كى يكون مستعداً للموت. قال (عليه السلام): (استعد لسفرك وحصل زادك قبل حلول أجلك) (6).

وقيل لأمير المؤمنين (عليه السلام) (ما الاستعداد للموت؟ قال: أداء الفرائض واجتناب المحارم

ص: 151

1- سفنية البحار (الطبعة الجديدة) ج 8 ص 125 مادة (موت).

2- دعائم الاسلام ج 1 ص 221 فصل ذكر الامر بذكر الموت.

3- راجع كتاب (ولأول مرة فى تاريخ العالم) ج 2 ص 297 للإمام المؤلف دام ظله.

4- ربما يكون قولها عليها السلام: (اختيار) لدفع شبهة الجبر، وقد يكون دفعاً للوجوب العقلى عليه تعالى، فدقق.

5- نوادر الرواندى ص 10. ودعائم الاسلام ج 1 ص 221 فصل ذكر الامر بذكر الموت.

6- بحار الأنوار: ج 44 ص 139 ب 22 ح 6.

والاشتغال على المكارم، ثم لايبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه).⁽¹⁾

وإذا أوجد الإنسان في نفسه الرغبة في لقاءه تعالى: كان ذلك من أسباب احترازه الأكثر عن معاصيه سبحانه، وجديته الأكثر لإطاعته، وسعيه الأكثر لاكتساب مرضاته، ومزيد من القرب منه، فيحس عندئذ بلذة كبرى من مناجاته وبفرحة عظمى عند امتثال أوامره، وقد ينال نوعاً من الاطمئنان بأنه تعالى سيقبضه قبض رافة ورحمة، بدرجة أو بأخرى، قال تعالى: ((ألا بذكر الله تطمئن القلوب))⁽²⁾ وقال سبحانه: ((يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي))⁽³⁾.

التذكير بمناقبه (ص)

مسألة: كما ان من المستحب أيضاً تذكير الناس بمناقبه (صلى الله عليه وآله وسلم) هذه، وان الله تعالى قبضه قبض رافة واختيار ورغبة وإيثار.

ولعل من علل إشارتها (عليها السلام) إلى كيفية قبضه تعالى كمدحه (صلى الله عليه وآله وسلم): ان ذلك يشجع الناس على التأسى به (صلى الله عليه وآله وسلم) في أعماله ومناهجه.

إضافة إلى ان ذكر هذه المنقبة للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يوجب التفاف الناس حوله أكثر فأكثر، فإن الإنسان إذا عرف - مثلاً - إن فلاناً مقرب إلى الملك الفلاني، يلتفت حوله أكثر كي يقضى حاجته عند الملك بأحسن وجه، فكيف بالرسول الذي هو سفير ((الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر))⁽⁴⁾ وقد قال سبحانه وتعالى: ((وابتغوا إليه الوسيلة))⁽⁵⁾.

ص: 152

-
- 1- سفينة البحار «الطبعة الجديدة» ج8 ص124 (مادة موت). و(الأمالى) للشيخ الصدوق ص110 المجلس 23 ح8، وفي تنمة الحديث: (والله ما يبالي ابن ابى طالب اوقع على الموت، ام وقع الموت عليه).
 - 2- الرعد: 28.
 - 3- الفجر: 27-30.
 - 4- الحشر: 23.
 - 5- المائدة: 35.

الفرد كلما كان أكثر كمالاً كان إتهامه بالتهمة البذيئة أشق عليه وأقسى كما لا يخفى، ومع كل ذلك تحمل (صلى الله عليه وآله وسلم) وصبر، حتى (قبضه الله إليه قبض رافة واختيار...).

وعلى التأسى به (صلى الله عليه وآله وسلم) ففي الحديث الشريف: (أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل). (1)

وقد قال القرآن الحكيم: ((يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً)). (2)

وقال (عليه السلام) : (ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه) (3).

وفي الحديث: (أفضل الأعمال أحمرها) (4).

والمراد: الأكثر صعوبة وأتعاباً، فإن كل ما كثر تعب - بطبيعته - تكون نتائجه الدنيوية والأخروية أفضل وأكثر، حيث قرر سبحانه وتعالى تزايد المصاعب والمتاعب كما وكيفاً كلما كان الهدف والمقصد أعلى، مادياً أو معنوياً، فقد (حفت الجنة بالمكاره) (5).

قال الشاعر:

تريدين لقيان المعالي رخيصة ولا بد دون الشهد من ابر النحل

والجود يفقر والأقوام قتال

ثم إنه لا منافاة بين (أفضل الأعمال أحمرها) (6) وبين: ((يريد الله بكم اليسر ولا يريد

ص: 154

1- مسكن الفؤاد ص 13. وبحار الأنوار: ج 78 ص 194 ب 1 ح 51 ط بيروت. وفي (الخصال) ص 399: (اعظم الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل).

2- الانشاق: 6.

3- علل الشرائع ص 150 ح 12. الارشاد ج 1 ص 287. المناقب ج 2 ص 204 فصل في ظلامه اهل البيت عليهم السلام.

4- مفتاح الفلاح ص 45 عنه صلى الله عليه وآله وسلم. وبحار الأنوار: ج 67 ص 191 ب 53 ح 2 (بيان).

5- بحار الأنوار: ج 67 ص 78 ب 46 ح 12. وروضة الواعظين ص 421 مجلس في الحث على مخالفة النفس والهوى.

6- بحار الأنوار: 82/332 ب 37 ح 12 (بيان) ط بيروت.

الأول: يفيد تحديد المقياس في قيمة الأعمال، وإن العمل مهما كان أصعب تكون نتائجه أفضل.

والثاني: يفيد عدم عسر الدين وإن الله تعالى قد شرع الأيسر فالأيسر، كما قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (بعثت بالحنفية السمحة)(2) فهما في موضوعين، لا في موضوع واحد حتى يكون بينهما التنافي.

ومن هنا فإن المؤمن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمجاهد في سبيل الله والحافظ لحدود الله، كلما ازدادت متاعبه ومصاعبه وكلما تزايد الضغط عليه لينشئ عن مسيرته، كلما زاده ذلك يقيناً واطمئناناً وعزماً وثباتاً، قال تعالى: ((الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل)).(3)

وفي الحديث الشريف: (المؤمن أشد من زبر الحديد، إن الحديد إذا دخل النار لآن وإن المؤمن لو قتل ونشر ثم قتل لم يتغير قلبه).(4)

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (المؤمن أشد من الجبل والجبل يستقل منه بالفأس والمؤمن لا يستقل على دينه).(5)

وختاماً:

فإن ما تحمله الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) من المصاعب كان مما تنوء بحمله الجبال الرواسي، إلا إن ذلك كله قد انقضى وأصبح (من تعب هذه الدار في راحة) وفي هذا درس لنا وتعليم بأن تتحمل المشاق والأذى في سبيل الله، فإنها منقضية زائلة

ص: 155

1- البقرة: 185.

2- وسائل الشيعة: ج 5 ص 246 ب 14 ح 1.

3- آل عمران: 173.

4- صفات الشيعة للشيخ الصدوق ص 32 ح 47. وبحار الأنوار: ج 67 ص 178 ب 52 ح 42، عن الصادق (عليه السلام).

5- تفسير العياشي ج 2 ص 301 ح 111 في تفسير سورة بنى اسرائيل. وسفينة البحار: «الطبعة الجديدة» ج 1 ص 139 مادة (أمن).

ستلحقها راحة دائمة، قال (عليه السلام) : (صبروا أياما قليلة فأعقبتهم راحة طويلة).⁽¹⁾

قد حف بالملائكة الأبرار ورضوان الرب الغفار ومجاورة الملك الجبار

التعويض الإلهي

رغم وجود ثلة كبيرة من المؤمنين الأخيار الأبرار مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الذين كانوا يناصرونه ويؤازرونه ويضحون في سبيله بالنفس النفيس، بما قل أن يوجد نظيره طوال التاريخ البشري، إلا أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قد عانى كثيراً من مجاورة المنافقين ومن الانتهازيين والمصلحين والمرجفين والمتخاذلين والجنباء وأشباههم حواليه.

كما تشهد بذلك آيات قرآنية عديدة وكما يذكر التاريخ: كخيانة البعض في معركة أحد⁽²⁾.

وكترصد المنافقين به (صلى الله عليه وآله وسلم) الدوائر كما في العقبة⁽³⁾.

وكقضية الدوات والكتف⁽⁴⁾ وغيرها، فإنها كانت تلحق به (صلى الله عليه وآله وسلم) أكبر الأذى وأشد الأضرار، فعوضه الله تعالى عن ذلك بأمور عديدة، منها:

ما أشارت إليه ابنته الزهراء (صلوات الله عليها) ههنا: (قد حف بالملائكة الأبرار) فهم

ص: 156

1- أعلام الدين ص 138 باب صفة المؤمن. وكنز الفوائد ج 1 ص 90 فصل في صفة أهل الإيمان. وبحار الأنوار: ج 65 ص 193 ب 19 ح 48.

2- راجع كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم ج 1 ص 241-242) غزوة أحد.

3- راجع كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم) ج 2 ص 163-164 غزوة تبوك.

4- راجع (الارشاد) ج 1 ص 184. المناقب ج 1 ص 232 وص 235. كشف الغمة ج 1 ص 420. اعلام الورى ص 135. الصوارم المهركة ص 224. كشف اليقين ص 427. وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 6 ص 51: (لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله الوفاة، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ائتوني بدواة وصحيفة اكتب لكم كتاباً لا تضلون بعدى، فقال عمر كلمة معناها: ان الوجد قد علب على رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم قال: عندنا القرآن، حسبنا كتاب الله).

المحيطون به بعد مماته دون ما ينغصه(1).

ثم ترقى (عليها السلام) إلى تعويض آخر أسمى وأعلى: (ورضوان الرب الغفار) قال تعالى: ((ورضوان من الله أكبر)) (2).

ثم ترقى (عليها السلام) إلى أمر آخر أسمى من ذلك: (ومجاورة الملك الجبار) أى: رحمته الخاصة.

قولها (عليها السلام): (ورضوان الرب الغفار) فالله راض عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) فإن الإنسان إذا علم بأن الله سبحانه راض عنه كان فى سرور وراحة نفسية، لا يصل إليها الا لتذاد المادى الجسمانى.

وهذا مما يجده الإنسان من نفسه بوضوح، فمن يعيش فى قصر بديع فيه مختلف أسباب الهناء المادى، لا يمكنه أن يلتذ بكل تلك النعم لو كان يعانى من مشكلة نفسية ويؤس روحى، كما لو مات له عزيز، أو تعرض لتهم تحط من سمعته وكرامته، أو علم ان سيده ساخط عليه، بل قد تتحول حياته هذه إلى جحيم مهلك، فإن السعادة سعادة الروح أولاً ثم سعادة الجسم، وكذلك الشقاء.

مجاورة الملك الجبار

مسألة: قولها (عليها السلام): (ومجاورة الملك الجبار) أى: مجاورة كراماته، فالمراد الجوار المعنوى، كما قال تعالى: ((فى مقعد صدق عند مليك مقتدر)) (3) وإلا فليس الله سبحانه جسماً ولا له قرب أو بعد مكانى أو زمانى، كما قرر فى علم الكلام.

ولعل الإتيان بلفظ (الجبار) لأنه سبحانه يجبر ما ورد عليه من الكفار والمنافقين، وقد

ص: 157

1- فإن الله سبحانه وتعالى يعوض عن كل مصيبة وابتلاء يتلى به المؤمن بنعمة كبرى تكون متناسبة مع نوع البلاء والمصائب، فعلى المؤمن أن لا يتهرب من معاشره الناس بغرض إرشاد من استطاع منهم، تخلصاً من مشاكلهم وأذاهم فإن الله سيعوضه أضعاف ذلك بما لا يخطر على فكر بشر.

2- التوبة: 72.

3- القمر: 55.

قال العباس (عليه السلام) في يوم عاشوراء: (وأبشرى برحمة الجبار).⁽¹⁾

واختيار صفة (الملك) متجانسة تماماً مع صفة (الجبار) فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حظى بأعلى درجة من القرب، من المالك الحقيقي المطلق الذي بمقدوره أن يجبر ما أصابه بشكل مطلق.

وأى شئ أعظم وأعلى وأسمى من الوصول إلى مقام ((فكان قاب قوسين))⁽²⁾ منه تعالى ((أو أدنى))⁽³⁾ من ذلك، فهذه الغاية من أرفع الغايات، بل هي الآية القصوى والمقصد الأسمى، وإذا كان الجار تناله خيرات جاره عادة فكيف بجوار الله سبحانه؟.

ومنه يعلم: رجحان أن يكون الإنسان بحيث لو مات يحف بالملائكة الأبرار ورضوان الرب الغفار ومجاورة الملك الجبار، كما يعلم رجحان مجاورة العظماء، وقد سبق الكلام في ذلك كله.⁽⁴⁾

التذكير بمنزلة الأنبياء (ع) والمؤمنين في الآخرة

مسألة: كما سبق من استحباب ذكر كيفية قبضه تعالى لروحه (صلى الله عليه وآله وسلم) يستحب ذكر منزلته (صلى الله عليه وآله وسلم) في الآخرة، وانه قد: (حف بالملائكة الأبرار...) وغير ذلك، وكذلك ذكر منزلة الأنبياء والأوصياء في الجنة، ويستحب أيضاً ذكر مكانة المؤمن فيها وما أعد الله له من النعيم المقيم.

فان التذكير بذلك يوجب مزيداً من رغبة الناس من الإيمان بالله سبحانه واليوم الآخر والالتزام بأوامره جل وعلا، فيكون من المستحب، بل قد يجب إذا توقف ايمان الناس على مثل ذلك، والآيات والروايات التي تتعرض لوصف نعيم أهل الجنة كثيرة.⁽⁵⁾

ص: 158

1- المناقب ج4 ص108 فصل في مقتله (عليه السلام).

2- النجم: 9.

3- النجم: 9.

4- راجع المجلد الأول من كتاب (من فقه الزهراء عليها السلام).

5- راجع كتاب (الجنة والنار في القرآن) للإمام المؤلف) و(بحار الأنوار) مبحث الجنة والنار و(كفاية الموحدين) وغيرها قال الإمام الصادق (عليه السلام): (إن الجنة توجد ريحها من مسيرة ألف عام وإن أدنى أهل الجنة منزلاً لو نزل به الثقلان: الجن الإنس لوسعهم طعاماً وشراباً ولا ينقص مما عنده شيء). «سفينة البحار ج1 مادة جنن».

مسألة: يستحب غفران خطايا الآخرين، لأنه من التخلق بأخلاق الله سبحانه وتعالى، كما ورد في الحديث(1) من استحبابه كأصل، إلا ما خرج بالدليل.

وفي القرآن الحكيم: ((ولمن صبر وغفر إن ذلك من عزم الأمور)) (2).

وقال سبحانه: ((قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوماً بما كانوا يكسبون)) (3).

وفي الحديث انه: (قام رجل الى أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يخطب، فقال: يا امير المؤمنين صف لنا صفة المؤمن كأننا ننظر اليه، فقال عليه السلام: .. يستر العيب ويحفظ الغيب ويقل العثرة ويغفر الزلة) (4).

إضافة إلى ما للغفران من الأثر الوضعي على حياة الإنسان ومستقبله، ثم إنه يسبب محبوبة الإنسان مما يعينه على الوصول إلى أهدافه بشكل أيسر، إضافة إلى انه يحافظ على سلامة جسمه وأعصابه كما هو ثابت في الطب وعلم النفس.

هذا ومن اللازم عدم الاغترار بغفاريته تعالى وعدم الاستناد إليها والاعتماد عليها في التجري(5) على المعاصي أو في تبرير ارتكابها، إذ هو تعالى: ((شديد العقاب)) (6) أيضاً.

بل الواجب أن يكون الإنسان بين الخوف والرجاء دائماً(7)، كما قال تعالى:

ص: 159

1- أى: قوله (تخلقوا بأخلاق الله) بحار الأنوار ج58 ص129 ب42.

2- الشورى: 43.

3- الجاثية: 14.

4- اعلام الدين ص116 باب صفة المؤمن.

5- بالمعنى اللغوي.

6- الأنفال: 13.

7- راجع ارشاد القلوب ص10 .

((واعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم)) (1) ولذا كانوا (عليهم السلام) يبكون من خشيته تعالى وترتعد فرائضهم خوفاً منه سبحانه. (2)

الدعاء للأب

مسألة: يستحب الدعاء للأب، بل ولسائر الأقارب والأصدقاء والجيران والمؤمنين والمؤمنات، في حال الحياة وبعد الممات.

وقد روى عن مولانا فاطمة (صلوات الله عليها) انها كانت تدعو للمؤمنين والمؤمنات ولا تدعو لنفسها، فقيل لها في ذلك، فقالت: (الجار ثم الدار) (3).

وفي الحديث: (ان دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب مستجاب ويدر الرزق ويدفع المكروه). (4)

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (من دعا لأخيه المؤمن بظهر الغيب ناداه ملك من سماء الدنيا: يا عبد الله لك مائة ألف مثل ما سألت...) (5) الحديث.

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (إن العبد ليكون باراً بوالديه في حياتهما ثم يموتان فلا يقضى عنهما دينهما ولا يستغفر لهما فيكتبه الله عزوجل عاقاً، وانه ليكون عاقاً في حياتهما غير بار بهما فإذا ماتا قضى دينهما واستغفر لهما فيكتبه الله عزوجل باراً) (6).

وهذا مما يكشف عن الترابط الوثيق بين العالمين، وليس هناك إلا حجاب يحول دون أن

ص: 160

1- المائدة: 98.

2- راجع الأمالى للشيخ الصدوق ص 178 المجلس 33 ح 8. والمناقب ج 4 ص 182 وص 314. وراجع ايضاً بحار الأنوار، في عبادتهم عليهم السلام.

3- سفينة البحار «الطبعة الجديدة» ج 3 ص 61 مادة (دعا). وعلل الشرائع ص 181 باب العلة التي من أجلها سميت فاطمة البتول ح 1، وص 182 ح 2. وروضة الواعظين ص 329.

4- سفينة البحار «الطبعة الجديدة» ج 3 ص 59 مادة (دعا). وراجع ثواب الاعمال ص 153 باب ثواب دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب.

5- سفينة البحار «الطبعة الجديدة» ج 3 ص 60 مادة (دعا).

6- سفينة البحار «الطبعة الجديدة» ج 8 ص 587 مادة (ولد). وشبهه في دعوات الراوندى ص 126 ح 311.

نرى ونسمع ما يجري هناك، ولو وصل الإنسان إلى بعض مراتب الكمال الروحي لرفع عنه الحجاب، ولهذا البحث تفصيل نتركه لمظانه.

قولها (عليها السلام): (صلى الله على أبي نبيه) إنشاء بلفظ الإخبار، وهو دعاء، وكونه بلفظ الماضي للدلالة على قطعية الوقوع (1) إذ الماضي وضع حتى يدل على الزمان المنصرم.

الصلوات على النبي (ص)

مسألة: يستحب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسلم بعد ذكر اسمه الشريف.

والظاهر إن استحباب الصلوات عند ذكر اسمه ليس خاصاً بكلمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما هو المشهور بين الناس، بل كل اسم من أسمائه، أو لقبه أو كنيته، كأحمد والمصطفى وأبي القاسم وغير ذلك، لإطلاق أدلته وشمول حكمته، بل إذا ذكر الضمير الراجع إليه أيضاً كان الحكم كذلك.

فعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (البخيل حقاً من ذكرت عنده فلم يصل على) (2).

وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (من صلى على في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمي في ذلك الكتاب). (3)

وقال الإمام الرضا (عليه السلام): (من لم يقدر على ما يكفر به ذنوبه فليكثر من الصلاة على محمد وآله فإنها تهدم الذنوب هدماً). (4)

وعن أحدهما (عليهما السلام) قال: (أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة الصلاة على

ص: 161

1- راجع كتاب (البلاغة) للإمام المؤلف دام ظله.

2- سفينة البحار «الطبعة الجديدة» ج 5 ص 171 مادة (صلى) عن معاني الأخبار. وفي كشف الغمة ج 2 ص 128 عنه صلى الله عليه وآله: (البخيل كل البخيل الذي إذا ذكرت عنده لم يصل على).

3- سفينة البحار «الطبعة الجديدة» ج 5 ص 172 مادة (صلى).

4- روضة الواعظين ص 322 مجلس في ذكر الصلاة على النبي (ص). وسفينة البحار «الطبعة الجديدة» ج 5 ص 170 مادة (صلى) عن عيون أخبار الرضا (عليه السلام).

محمد وعلي أهل بيته.(1).

وعن الصادق (عليه السلام): (ما من عمل أفضل يوم الجمعة من الصلاة على محمد وآله).(2).

وعن أبي الحسن العسكري (عليه السلام) قال: (إنما اتخذ الله إبراهيم (عليه السلام) خليلاً لكثرة صلواته على محمد وأهل بيته).(3).

نبيه وأمينه على الوحي وخيرته من الخلق وصفيه

الأمين المصطفى

مسألة: ينبغي إرشاد العباد إلى أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان أميناً وصفيماً وخيرة الله من الخلق بقول مطلق، أى من جميع الأبعاد والحيثيات وفي كل الجهات، وإنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان المثل الأعلى فى الأمانة، وأكمل من اصطفاهم الله، وخير خيرته على الإطلاق.

ورغم ان ذكر بعض هذه الصفات(4) يغنى عن ذكر الأخريات، إلا ان ذكر الجميع سبب لمزيد من التوضيح والتركيز، وذلك يوجب التفاف الناس حول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أكثر فأكثر.

ومنه يعرف استحباب مثل ذلك بالنسبة إلى سائر أولياء الله بالملاك، وقد ورد فى الزيارات: (سلام عليك يا أمين الله) (5) و(السلام عليك يا امين الله) (6).

ص:162

- 1- قرب الاسناد ص9. وسفينة البحار «الطبعة الجديدة» ج5 ص170 مادة (صلى).
- 2- الخصال ص394 ح101. وثواب الاعمال ص158 باب ثواب من صلى على النبي وآله.. وسفينة البحار «الطبعة الجديدة» ج5 ص171 مادة (صلى) عن علل الشرائع.
- 3- علل الشرائع ص34. وقصص الانبياء للجزائرى ص96. وسفينة البحار «الطبعة الجديدة» ج5 ص171 مادة (صلى).
- 4- النبي أمين ومختار بالضرورة، لذا يغنى ذكره عن ذكرهما، أما ذكر الأمين والمختار فلا يغنى عن ذكر النبي، إذ ليس كل أمين ومختار نبياً، لذا قال الإمام المؤلف دام ظله: إن ذكر بعضها يغنى عن ذكر الأخريات.
- 5- فلاح السائل ص241 الفصل24.
- 6- البلد الامين ص294.

عصمة الرسول الأعظم (ص)

مسألة: ربما يمكن الاستدلال ب- (أمينه) و(خيرته من الخلق) الوارد في كلامها عليها السلام وفي أحاديث شريفة كثيرة، على عصمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

لأن الأمين بقول مطلق هو المعصوم، وكذلك الخيرة من الخلق، نظراً للإطلاق الأحوالي، والأزمانى (1) وللانصراف في مثل المورد للفرد الأكمل، ولا- يحسن من القادر الحكيم نصب غير الأمين من كل الجهات، وغير المعصوم من مختلف الحثيات، نيباً وحجة على العباد. (2)

إضافة إلى الأدلة العقلية الدالة على ذلك: كقدرته على نصب الأمين المطلق، وفياضيته، والحاجة إلى ذلك وعدم وجود المحذور، وما أشبه. (3)

النبي الأمين (ص)

مسألة: يجب الاعتقاد بأنه صلى الله عليه وآله وسلم النبي الأمين على الوحي، قال تعالى: «وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى» (4) وإن ما جاء به صلى الله عليه وآله وسلم هو ما أمره تعالى بذلك، لا يزيد ولا ينقص (5).

ص: 164

1- فالأمين له إطلاق من حيث الزمان، فهو أمين في كل الأزمنة، وإطلاق من حيث الأحوال، فهو أمين في كل الأحوال، في العسر واليسر، وهكذا، واستفادة الإطالقين أمر عقلائي عرفي في كل لفظة لم تكن هناك قرينة على تقيدها بزمن خاص أو جهة معينة.
2- خاصة مع ملاحظة ان قول وفعل وتقرير الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والإمام (عليه السلام) يؤثر في حياة الناس وسلوكهم كما هو واضح، على أنه المرجع النهائي والمقياس الإلهي الأول والأخير، لا لفئة خاصة فحسب، بل لكل البشرية على مر الأعصار.
3- راجع حول العصمة كتاب (الأئمين) للعلامة الحلي (قدس سره). وكتاب (القول السديد في شرح التجريد) ص 333 للإمام المؤلف (دام ظله).

4- النجم: 34.

5- هذا وقد ورد في تفسير الآية المباركة عن ابن عباس: .. فانزل الله تبارك وتعالى « والنجم اذا هوى » .. « ما ضل صاحبكم » يعنى في محبة على بن ابي طالب عليه السلام « وما غوى وما ينطق عن الهوى » يعنى فى شأنه « ان هو الا وحي يوحى ». الامالى للشيخ الصدوق ص 565 ح 4 المجلس 83.

فهو صلى الله عليه وآله وسلم الرابط وحلقة الوصل، وهو الوسيط الأمين بين الخالق والخلق، قال تعالى: «مطاع ثم امين»(1).

وقال عليه السلام: (أرسله بالحق وائتمنه على الوحي)(2).

وهذا (3) أكبر أقسام الأمانة، لأن السعادة البشرية في الدنيا والآخرة متوقفة عليه.

بل إن عظمة الأمانة قد تكون لعظمة غايتها وفوائدها، وقد تكون لقيمتها الذاتية، وقد تكون لإضافتها وانتسابها للعظيم، فاعلاً أو قابلاً، وهذه كلها مجتمعة في (الوحي) وهو الكتاب التشريعي الذي ائتمن الله رسوله عليه، كما لا يخفى.

قولها عليها السلام: (وصفيه): اصطفاه واختاره، فهو المصطفى فاعلاً أو قابلاً، كما ورد:

(وان محمدا عبده ورسوله وأمينه وصفيه وصفوته من خلقه وسيد المرسلين وخاتم النبيين وفضل العالمين)(4).

وانتخاب الله تعالى له دون سائر الخلق صفيًا، مع لحاظ علمه تعالى المطلق بكافة أبعاد النفس الإنسانية، وإحاطته بسلوكه العملي وشبه ذلك، في كافة لحظات حياته صلى الله عليه وآله وسلم، دليل على خلوصه صلى الله عليه وآله وسلم من كل نقص ونزاهته من كل عيب.

قولها عليها السلام: (وخيرته من الخلق) اختاره ورضيه: ارتضاه.

ولا يخفى ان مادتي (الاصطفاء والارتضاء) تدلان على أمرين، تقول: (صفي يصفو فهو صاف) و(رضى يرضى فهو راض وذاك مرضى) كما تقول: ذاك (مصطفى) وهذا (مرتضى).

ص: 165

1- التكوير: 21.

2- الارشاد ج 2 ص 11 باب ذكر الإمام بعد أمير المؤمنين عليه السلام. وكشف الغمة ج 1 ص 539 في ذكر الإمام الثاني عليه السلام.

3- أى الائتمان على الوحي.

4- عيون اخبار الرضا عليه السلام ج 2 ص 122 ب 35 ح 1 باب ما كتبه الرضا عليه السلام للمأمون في محض الاسلام وشرايع الدين.

الدعاء للأولياء والصالحين

مسألة: يستحب طلب الرحمة والبركة من الله تعالى للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، سراً وجهاً، في مختلف الحالات والأوقات، وكذلك السلام عليه صلى الله عليه وآله وسلم(1).

فإن الله سبحانه وتعالى وعد بالإجابة حيث قال سبحانه: «ادعوني أستجب لكم»(2)ومن المعلوم ان الدعاء للرسول صلى الله عليه وآله وسلم مستجاب خصوصاً من مثل الزهراء عليها السلام، بل روى عن علي عليه السلام: (كل دعاء محجوب عن السماء حتى يصل على محمد وآل محمد)(3).

وذلك(4) يوجب الخير بالنسبة إلى الداعي في الدنيا والآخرة بنحو الأثر الوضعي، وهو أيضاً نوع من الإيحاء والتلقين فيزيد الإنسان تعلقاً بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم وآله الأطهار عليهم السلام وبسائر الصلحاء ويشده إليهم.

إضافة إلى ما لهذه الدعوات من تركيز المفاهيم والمعاني الروحية في الإنسان بشكل أعمق، بالإضافة إلى ما أشير إليه من أنه تعالى سيتفضل به على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

ص: 166

1- راجع كتاب (ثواب الأعمال) ص 155 ثواب الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وفيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (انا عند الميزان يوم القيامة فمن ثقلت سيئاته على حسناته جئت بالصلاة على حتى اثقل بها حسناته) وفي رواية: (قال: قلت لابي عبد الله عليه السلام: انى دخلت البيت فلم يحضرنى شيء من الدعاء الا الصلاة على النبي وآله، فقال عليه السلام: ولم يخرج احد بأفضل مما خرجت) «المصدر».

2- غافر: 60.

3- سفينة البحار «الطبعة الجديدة»: ج 3 ص 50 مادة (دعا). وفي (ثواب الأعمال) ص 155 ثواب الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله: (حتى تصل على محمد وآله) ومثله في جامع الاخبار ص 61 الفصل 28.

4- أى الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وآله وأتباعه من الكرامة المتزايدة.

إذ من الثابت ان الله سبحانه وتعالى جعل لكل شىء سبباً، فكما قرر تعالى من أسباب رفعة درجات المؤمنين وفي طليعتهم الرسل والأوصياء عليهم السلام تحمل الأذى فى سبيله والصبر والاستقامة وما أشبهه، كذلك لا يبعد ان يقرر سبحانه من أسباب رفعة الدرجات وزيادة المثوبة والبركة: دعوات الناس لهم عليهم الصلاة والسلام.

و(البركة) معناها: الثبات والاستمرار(1).

قال تعالى: «تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً»(2).

أى: ثابت ودائم، ولا ثابت بالقول المطلق إلا الله سبحانه وتعالى، فإن كل شىء سواه ممكن وفى حال التغير والتبدل ولو ذاتاً - بناء على الحركة الجوهرية - أو فى كافة أعراضه، بخلافه سبحانه حيث ان البركة الحقيقية فيه.

وما يقال: من أن فى النعمة الفلانية بركة أو ما أشبه ذلك، يراد به: الدوام النسبى والثبات بالقياس الى الغير، على ان بركته عرضية مكتسبة، أى انها

بالغير لا بالذات(3).

وفى الدعاء: (وارزقنى السلامة والعافية والبركة فى جميع ما رزقتنى)(4).

و:(اللهم اجعلنى من اهل الجنة التى حشوها البركة)(5).

و(السلام عليه): دعاء له صلى الله عليه وآله وسلم بالسلامة فى الآخرة، فإن السلامة حقيقة مشككة ذات مراتب ودرجات(6)، هذا بالإضافة إلى ان هذه اللفظة تستخدم

ص:167

1- برك الإبل: أى جلس واستقر على الأرض. وفى (لسان العرب) مادة (برك): (وفى حديث الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله) «وسلم: وبارك على محمد وعلى آل محمد، أى اثبت له وأدم ما أعطيته من التشرف والكرامة، وهو من برك البعير: اذا اناخ فى موضعه فلزمه).

2- الفرقان: 1.

3- ومن معانى البركة: النماء والزيادة. راجع (لسان العرب) مادة (برك).

4- الإقبال ص51.

5- مصباح الكفعمى ص408 الفصل 37. ومصباح المتهدج ص377 وقت صلاة الجمعة. وأعلام الدين ص366 باب عدد أسماء الله تعالى.

6- هذا الكلام من الإمام المصنف إشارة لدفع إشكال سيأتى بيانه.

ولعل الفرق بالافراد فى (الرحمة) والجمع فى (البركات) فى كلامها عليها السلام كما فى القرآن الكريم: «رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت» (1) بلحاظ إعتباره، حيث لوحظ فى (الرحمة) الغامرية، قال تعالى: «رحمتى وسعت كل شىء» (2) فهى تغمر الإنسان فلا تعدد فيها، بخلاف (البركات) التى لوحظ فيها الانتساب للقبائل، فبركة فى العمر وبركة فى المال وبركة فى الرزق وما أشبهه، وفى الآخرة أيضاً بركات واستمرارات لمختلف الشؤون والأبعاد بنحو اللامتناهى اللابقى نظراً للخلود.

وبعبارة أخرى: هناك نسبة للخالق ونسبة للمخلوق، فعندما تلاحظ النسبة للخالق فلا تعدد، وعندما تلاحظ النسبة للمخلوق يتعدد. (3)

لا يقال: هو صلى الله عليه وآله وسلم فى السلامة، سواء طلب أو لم يطلب، فهذا طلب للحاصل؟

لأنه يقال: للسلامة درجات ومراتب، وكونه صلى الله عليه وآله وسلم فى مرتبة منها لا ينافى طلب أن يكون فى مرتبة أرفع.

هذا بالإضافة إلى إمكان أن يكون المراد: الاستمرار بامتداد الزمن، فإن السلامة تتجدد وتوجد أناً فأناً، كما قال عليه الصلاة والسلام فى «اهدنا الصراط المستقيم» (4): آدم لنا توفيقك الذى به أطعناك فى ماضى أيامنا حتى نطيعك كذلك فى مستقبل أعمارنا (5).

لأن الهداية فى كل لحظة، فالهداية فى اللحظة السابقة لا تنافى عدم الهداية فى اللحظة

ص: 168

1- هود: 73.

2- الأعراف: 156.

3- وذلك كأشعة الشمس التى قد تنسب للشمس فهى واحدة، وقد تنسب للقبائل كالشجر والحجر والمدن والإنسان والكرات الأخرى... فتكون متعددة.

4- الفاتحة: 6.

5- تفسير الصافى ج 1 ص 72 عن أمير المؤمنين عليه السلام. وتفسير الامام الحسن العسكرى عليه السلام ج 1 ص 44 سورة الحمد. وشبهه فى تفسير شبر ص 1. وفى تفسير (تقريب القرآن الى الأذهان) ج 1: (الهداية هو ارشاد الطريق، فان الانسان فى كل آن يحتاج الى من يرشده ويهويه، وان كان مهتدياً).

الثانية وهكذا، فتأمل.

وفى الحديث عن على عليه السلام: (الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله امحق للخطايا من الماء للنار، والسلام على النبي صلى الله عليه وآله افضل من عتق الرقاب) (1).

السلام على الأموات

مسألة: يستحب السلام على الأموات، سواء عند زيارة الإنسان للمقابر، أم فى سائر الأوقات، وذلك يستلزم تذكير الإنسان بالعالم الآخر، وإزالة الحجب الفكرية والنفسية والشهوانية التى تحول دون أن يستعد الإنسان لهذا السفر الأبدى.

قال على عليه السلام عندما اشرف على المقابر: (يا اهل التربة ويا اهل الغربة، اما الدور فقد سكنت واما الازواج فقد نكحت واما الاموال فقد قسمت، فهذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم، ثم التفت الى اصحابه فقال: لو اذن لهم فى الكلام لأخبروكم ان خير الزاد التقوى) (2).

وفى وصية لقمان لابنه: (يا بنى.. احضر الجنائز وزر المقابر و تذكر الموت وما بعده من الاهوال فتأخذ حذرك) (3).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (زوروا موتاكم وصلوا عليهم وسلموا عليهم فان لكم فيها عبرة) (4).

فالسلم على الاموات يعد من أسباب هداية الإنسان، إضافة إلى ما ينتجه من اللطف الإلهى بالمرسل لهم السلم، وهو كاشف أيضاً عن شدة الترابط بين العالمين كما سبق.

ولذا نجد فى أنواع السلم المقررة فى الشريعة للأموات تذكيراً بالمبدأ والمعاد وما أشبه، كما ورد: (بسم الله الرحمن الرحيم، السلم على أهل لا إله إلا الله، من أهل لا إله إلا الله، يا

ص: 169

1- ثواب الاعمال ص 154 باب ثواب الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وآله. وشبهه فى جامع الاخبار ص 61 الفصل 28.

2- الأمالى للشيوخ الصدوق ص 107-108 المجلس 23 ح 1. وروضة الواعظين ص 493 مجلس فى ذكر القبر.

3- ارشاد القلوب ص 72 الباب الثامن عشر، وصايا وحكم بليغة.

4- مجموعة ورام ج 1 ص 288 بيان زيارة القبور والدعاء للميت.

أهل لا اله الا الله، بحق لا إله إلا الله، كيف وجدتم قول لا إله إلا الله، من لا إله إلا الله، يا لا إله إلا الله، بحق لا إله إلا الله، إغفر لمن قال:
لا إله إلا الله، واحشرنا في زمرة من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله على ولي الله).⁽¹⁾

وعن ابي عبد الله عليه السلام: (اذا بعدت عليك الشقة ونأت بك الدار فلتعل على اعلى منزلك ولتصل ركعتين فلتؤم بالسلام الى قبورنا فان ذلك يصل الينا).⁽²⁾

وعنه عليه السلام: (اذا نظرت الى المقابر فقل: السلام عليكم يا اهل المقابر من المؤمنين والمؤمنات، انتم السلف، نحن لكم تبع، ونحن على آثاركم واردون، نسأل الله الصلاة على محمد وآله محمد، والمغفرة لنا ولكم).⁽³⁾

ذكر محاسن الأموات

مسألة: يستحب ذكر محاسن الميت، قال على عليه السلام: (اذكروا محاسن موتاكم)⁽⁴⁾ وفي حديث آخر: (لا تقولوا في موتاكم إلا خيراً).⁽⁵⁾

الترحم على الأموات

مسألة: يستحب الترحم على الأموات والدعاء لهم، ففي الحديث: (الموتى يأتون في كل جمعة من شهر رمضان، فيقفون وينادى كل واحد منهم بصوت حزين باكياً: يا أهلاه ويا ولدها ويا قرابته، اعطفوا علينا بشيء يرحمكم الله، واذكرونا ولا تنسوننا بالدعاء، وارحموا علينا وعلى غربتنا، فإننا قد بقينا في سجن ضيق وغم طويل وشدة، فارحمونا ولا تبخلوا بالدعاء والصدقة لنا، لعل الله يرحمنا، قبل أن تكونوا مثلنا، فوا حسرتاه قد كنا قادرين مثل ما أنتم قادرون، فيا عباد الله اسمعوا كلامنا ولا تنسوننا، فإنكم ستعلمون غداً، فإن الفضول التي بأيديكم كانت بأيدينا، فكنا لانفق في طاعة الله، ومنعنا عن الحق، فصار وبالاً علينا ومنفعة

ص: 170

1- مستدرک الوسائل: ج2 ص369 ب 46 ح 2215.

2- كامل الزيارات ص288 الباب 96 ح6.

3- جامع الاخبار ص168 الفصل 134 في زيارة قبور المؤمنين.

4- سفينة البحار: ج8 ص126 مادة موت «الطبعة الجديدة». وفي غوالي اللئالی ج1 ص159 الفصل الثامن: (اذكروا محاسن أمواتكم وكفوا عن مساويهم).

5- غوالي اللئالی ج1 ص439 المسلك الثالث ح158.

لغيرنا، اعطفوا علينا بدرهم أو رغيف أو بكسرة، ثم ينادون: ما أسرع ما تبكون على أنفسكم ولا ينفعكم كما نحن نبكى ولا ينفعنا، فاجتهدوا قبل أن تكونوا مثلنا).⁽¹⁾

وفى بعض الأحاديث: (إن أرواح المؤمنين تأتي كل جمعة وينادى كل واحد منهم مثل هذا النداء).⁽²⁾

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الرجل ليموت والده وهو عاق لهما، فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين)⁽³⁾.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (اهدوا لموتاكم، فقيل: وما هدية الأموات، قال: الصدقة والدعاء)⁽⁴⁾.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (الامن أعطف لميت بصدقة فله عند الله من الأجر مثل أحد، ويكون يوم القيامة في ظل عرش الله يوم لا ظل الا ظل العرش)⁽⁵⁾.

ثم التفتت إلى أهل المجلس وقالت

المراد بالالتفات

مسألة: الظاهر ان المراد بالالتفات هنا: التوجه، لا النظر، خاصة بلحاظ ما سبق: (فنيطت دونها ملاءة) وإن كان النظر جائزاً بشروط مذكورة في كتاب النكاح.

فإن الإنسان قد يخطب بلا توجه إلى جهة خاصة، وقد يخطب مع التوجه إليها، مع نظر ورؤية أم بدونها.

وكأنها عليها السلام، كانت تتكلم بكلماتها السابقة وهي غير ملتفتة إلى جهة خاصة،

ص: 171

1- سفينة البحار: ج8 ص1 32 مادة موت «الطبعة الجديدة». وشبهه في جامع الاخبار ص169 الفصل 134 في زيارة قبور المؤمنين.

2- سفينة البحار: ج8 ص1 32 مادة موت «الطبعة الجديدة» .

3- مجموعة ورام ج1 ص288 بيان زيارة القبور والدعاء للميت.

4- راجع جامع الاخبار ص169 الفصل 134 في زيارة قبور المؤمنين.

5- راجع جامع الاخبار ص169 الفصل 134 في زيارة قبور المؤمنين.

نظراً لعدم المقتضى لذلك، باعتبار كون البداية حمداً لله تعالى وشكراً له وشهادة لله بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة... فلما أرادت أن توجه الخطاب إليهم التفتت إلى جانبهم، فإن الالتفات يوجب توجه الصوت أكثر فأكثر، وإن كان بينها وبينهم ستر، إضافة إلى أن الالتفات بعد عدمه مزيداً من الالتفات كما لا يخفى. (1)

أنتم عباد الله

عباد الله

مسألة: يستحب تنبيه الناس - دائماً - على أنهم عباد الله تعالى، وذلك بأساليب شتى، منها الخطاب، بتضمينه في مطلعته ونهايته، بل تحويل ذلك أو ما بمعناه، إلى مرتكز كلامي يكرر في رأس كل مقطع منه، حسب مقتضى الحال. (2)

وقولها عليها السلام: (عباد الله) تذكير لهم بأنهم عبيد، ولا بد أن يطيعوا أمر المولى، وإلا كانوا معرضين للعقاب، فإن التنبيه على ذلك يوجب الإيحاء النفسى للطرف على وجوب طاعته تعالى، وقد ورد في القرآن:

قوله تعالى: «عيناً يشرب بها عباد الله» (3).

وقوله سبحانه: «الاعباد لله المخلصين» (4).

وقوله عز وجل: «قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة» (5).

ص: 172

1- راجع كتاب (البلاغة) للإمام المؤلف دام ظله.

2- كما نجد ذلك في الصلاة، حيث تتضمنه بدأً ووسطاً وختماً: (... رب العالمين... إياك نعبد... سبحانه ربى العظيم... سبحانه ربى الأعلى... أشهد أن لا إله إلا الله... أشهد أن محمداً عبده... السلام علينا وعلى عباد الله...) وكذلك في القرآن الحكيم حيث لا يخلو - عادة - من الإشارة إلى ذلك، مرة واحدة أو مراراً عديدة، في كل صفحة.

3- الانسان: 6.

4- الصفات: 40 و74 و128 و160.

5- ابراهيم: 31.

وقوله تعالى: «وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن». (1)

وقوله سبحانه: «ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون». (2)

وقوله تعالى: «إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم». (3)

وقوله سبحانه: «لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا- الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً». (4)

ونقرأ فى كل يوم فى الصلوات المفروضة والمستحبة: (أشهد أن محمدا عبده ورسوله)، و(السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين)، كما نقرأ فى الركعتين الأولىين: «إياك نعبد وإياك نستعين» (5) إلى غير ذلك.

وقد ورد كثيرا فى الروايات: (اعلموا عباد الله) (6) و(ابشروا عباد الله) (7) و(أوصيكم عباد الله) (8) و(يا عباد الله) (9) وما اشبهه.

قال صلى الله عليه وآله وسلم فى خطبته فى حجة الوداع: (أوصيكم عباد الله بتقوى الله) (10).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (أحب عباد الله الى الله انفعهم لعباده) (11).

ص: 173

1- الإسراء: 53.

2- الزمر: 16.

3- الأعراف: 194.

4- النساء: 172.

5- الفاتحة: 5.

6- الأمالى للشيخ الصدوق ص 100 المجلس 21 ح 10.

7- الأمالى للشيخ الصدوق ص 54 المجلس 13 ح 1. وفضائل الاشهر الثلاثة ص 72 فى فضائل شهر رمضان ح 52.

8- صفات الشيعة ص 27 ح 38.

9- الارشاد ج 2 ص 97. والامالى للشيخ المفيد ص 260 المجلس 31 ح 3. ومكارم الاخلاق ص 219 فى فضل الاولاد.

10- تحف العقول ص 30 خطبته صلى الله عليه وآله فى حجة الوداع.

11- تحف العقول ص 49 وروى عنه صلى الله عليه وآله فى قصار هذه المعانى.

وإذا كان على العبد - عرفاً - أن يطيع المولى المجازى، فبالضرورة يجب على العبد - عقلاً - أن يطيع المولى الحقيقي، إذ الإنسان عبد خاضع (1) ومملوك من جميع الجهات، فى ذاته وأعراضه وحدوثة وبقائه... لله تعالى.

مما ينبغى التذكير به

مسألة: ينبغى تذكير الناس بوظائفهم ومسؤولياتهم والأدوار الملقاة على عواتقهم وما يتوقع منهم فى حياتهم الفردية والعائلية والاجتماعية، وإنهم من هم؟

ولم هم؟ (2)

وكيف كانوا؟

وإلى م صاروا؟

وما الذى سيكونون عليه؟ (3)

والعلل الباعثة على ذاك التحول وهذا التغير؟

ومواصفات القيادة وما صنعته لهم وما أرادته منهم؟

والفلسفة فى قرارات وآراء وأحكام القائد (4) والصفات الإيجابية والسلبية، وآثارها الدنيوية والأخروية وهكذا.

وكل ذلك نجده بأروع تعبير وأدق مضمون، متجلياً فى خطبتها (صلوات الله عليها) من أولها إلى آخرها.

قال تعالى: «رفلينظر الانسان مم خلق» (5).

ص: 174

1- إشارة إلى ما ذكر فى كتب اللغة من أن (اصل العبودية الخضوع والتذلل)، راجع (لسان العرب) مادة (عبد) وفيه: (ومعنى العبادة فى

اللغة: الطاعة مع الخضوع، ومنه طريق معبد، اذا كان مذلاً بكثرة الوطء.. والمعبد: المذلل، والتعبد: التذلل، والتعبيد: التذليل).

2- إشارة للعلة الغائية لخلقهم.

3- أى الماضى والحاضر والمستقبل.

4- إذ يوجب ذلك مزيداً من اندفاع الناس لتنفيذ القرارات واتباع الاحكام، كما ينمى حالة التدبر والتأمل فيهم، وقد سبق من الأمام المؤلف تفصيل ذلك.

5- الطارق: 5.

مسؤوليات العباد

1: امتثال الأوامر والنواهي

مسألة: انتقلت (سلام الله عليها) من الحديث عن المرسل وغايته من الخلقة ومن البعثة، وعن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وما حققه من الأهداف، إلى الحديث عن المرسل إليهم.

ويستفاد من كلمة (نصب أمره ونهيه): ان الهدف الأساسى المتوخى من العباد هو قيامهم بامتثال الأوامر والنواهي الإلهية، قال سبحانه: «وعليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا» (1) فالمخاطبون من قبل الله تعالى بواسطة الأنبياء عليهم السلام يتحملون هذا الأمر العظيم، وقال سبحانه: « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها». (2)

هذا وتفصيل بحث الخطاب ومن إليه الخطاب فى علم الاصول، قال تعالى: «وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه» (3).

قولها عليها السلام: (نصب أمره ونهيه) أى المنصوبون والمقامون (4) لتنفيذ أوامره ونواهي، إمعاناً إلى لزوم أن يطيعوه تعالى فى أمر الخلافة وغيرها، وإلا كانوا معرضين لانتقامه وسخطه، كما أشارت إلى ذلك بعد كلام لها عليها السلام.

وحملة دينه ووحيه

2: حمل راية الدين والوحى

ص: 175

1- النور: 54.

2- الجمعة: 5.

3- إبراهيم: 4.

4- تقول: نصبه أى أقامه، وينصبون أى يقيمون.

مسألة: يجب حمل وإعلاء راية الدين والوحى، فإن دينه تعالى أنزل عليهم، قال سبحانه: «إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً» (1).

ومصدق الأمانة الأتم زمن ختم النبوة هو: رسالته والتكليف بالأوامر والنواهي وولاية على عليه السلام كما فى التفاسير. (2)

وقال تعالى: «عليه ما حمل وعليكم ما حملتم». (3)

و(الدين) قد يكون أعم من الوحى، كما يكون الوحى كذلك، وقد تتغير النسبة بتغير الإعتبارات المختلفة، فالدين يشمل سيرته الطاهرة (صلى الله عليه وآله) والأحكام التكليفية (4) والأحكام الوضعية وغيرها. (5)

ص: 176

1- الأحزاب: 72.

2- راجع سفينة البحار «الطبعة الجديدة» ج 7 ص 207 مادة (عرض) وفيه: عن معانى الأخبار، عن المفضل، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (إن الله تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفى عام، فجعل أعلاها وأشرفها أرواح محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين والأئمة بعدهم صلوات الله عليهم، فعرضها على السماوات والأرض والجبال فغشيها نورهم، فقال الله تبارك وتعالى للسماوات والأرض والجبال: هؤلاء أحبائى وأوليائى وحججى على خلقى وأئمة بريتى، ما خلقت خلقاً هو أحب إلى منهم، لهم ولمن تولاهم خلقت جنتى، ولمن خالفهم وعاداهم خلقت نارى، فمن ادعى منزلتهم منى ومحلهم من عظمتى، عذبتهم عذاباً لا اعذبه أحداً من العالمين وجعلته من المشركين فى أسفل درك من نارى، ومن أقر بولايتهم ولم يدع منزلتهم منى ومكانهم من عظمتى، جعلته معهم فى روضات جناتى، وكان لهم فيها ما يشاءون عندى، وأبختهم كرامتى، وأحللتهم جوارى، وشفعتهم فى المذنبين من عبادى وإمائى، فولايتهم أمانة عند خلقى، فأبختهم بحملها بأثقالها ويدعيها لنفسه دون خيرتى، فأبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن من ادعاء منزلتها وتمنى محلها من عظمتها ربها...) الحديث. وراجع أيضاً: معانى الأخبار ص 108 باب معنى الأمانة التى عرضت على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها حملها الإنسان.

3- النور: 54.

4- الواجبات والمحرمات والمندوبات والمكروهات والمباحات.

5- ربما يكون المراد من (وغيرها) ما ذكره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من قصص الأنبياء الماضين عليهم السلام ومواعظهم وحكمهم، وكذا أحداث الأمم الغابرة والإخبارات المستقبلية (ما كان وما يكون وما هو كائن) فمن مسؤوليات المسلم: إيصال المعلومات الصحيحة عن كل ذلك كما بينه صلى الله عليه وآله وسلم للناس.

قال تعالى: «فأقم وجهك للدين حنيفاً»(1).

وفى الحديث عن أبى جعفر فى تفسير قوله تعالى: «فأقم وجهك للدين حنيفاً» قال: الولاية(2).

وفى الرضوى عليه السلام عن آبائه عليهم السلام فى تفسير الآية: (هو لا إله إلا الله محمد رسول الله على أمير المؤمنين). (3)

و(الوحى): أعم من القرآن، فىشمل الأحاديث القدسية وغيرها أيضاً، قال الشيخ المفيد (قدس سره):

(أصل الوحى هو الكلام الخفى، ثم قد يطلق على كل شىء قصد به إلى إفهام المخاطب على الستر له عن غيره، والتخصيص له بدون من سواه، وإذا أضيف إلى الله تعالى كان فيما يخص به الرسل - صلى الله عليهم أجمعين -

خاصة دون من سواهم). (4)

هذا والكلام فى الوحى وكيفيته وأقسامه وإنه هل يختص بالنبى أولاً، مفصل مذكور فى علم الكلام.

ثم إنه ينبغى بيان ذلك للناس، أى إنهم حملة الدين والوحى، قال صلى الله عليه وآله

ص: 177

1- الروم: 30.

2- سفينة البحار «الطبعة الجديدة»: ج 3 ص 163 مادة (دين) عن تفسير القمى. وفى تأويل الآيات ص 427 سورة الروم: (وهى الاسلام والتوحيد والولاية).

3- سفينة البحار «الطبعة الجديدة»: ج 3 ص 163 مادة (دين).

4- راجع سفينة البحار «الطبعة الجديدة»: ج 8 ص 421 مادة (وحى). وراجع أيضاً: تصحيح الاعتقاد ص 120 فصل فى كيفية نزول الوحى.

وسلم: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته).⁽¹⁾

وفى الحديث عن ابي عبد الله عليه السلام فى خلق العالم، قال:

(فقال « الله » لهم: من ربكم، فكان اول من نطق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وامير المؤمنين عليه السلام والائمة عليهم السلام، فقالوا: انت ربنا، فحملهم العلم والدين، ثم قال للملائكة: هؤلاء حملة علمى ودينى وأمنائى فى خلقى وهم المسؤولون)⁽²⁾.

كما إنه يلزم الإهتمام بالقرآن، فإن حملة⁽³⁾ واجب كفائى كما ألمعنا إليه فى كتاب (الفقه: حول القرآن الحكيم)⁽⁴⁾ وسيأتى البحث عن ذلك إن شاء الله تعالى.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: (أشرف امتى حملة القرآن)⁽⁵⁾.

وقال صلى الله عليه وآله: (حملة القرآن عرفاء اهل الجنة)⁽⁶⁾.

ص: 178

1- غوالى اللئالى ج 1 ص 129 الفصل الثامن. وإرشاد القلوب ص 184 الباب 51 فى أخبار عن النبى والائمة الاطهار عليهم السلام. وبحار الأنوار ج 72 ص 38 ب 35 ح 36 ط بيروت. ومجموعة ورام ج 1 ص 6 وفيه: (ألا كلكم راع..).

2- التوحيد 319 ح 1 باب معنى قوله تعالى: وكان عرشه على الماء. «هود: 7».

3- أى حفظه ونشره وما أشبهه.

4- راجع موسوعة الفقه: ج 98 كتاب (حول القرآن الكريم).

5- الخصال ص 7، شرف المؤمن فى خصلة وعزه فى خصلة ح 21.

6- معانى الأخبار ص 323 باب معنى عرفاء أهل الجنة.

3: وقاية النفس والائتمان عليها

مسألة: تجب وقاية النفس والحفاظ عليها من الأخطار والأقذار، الدنيوية والأخرية، كما قالت عليها السلام: (وامناء الله على أنفسكم) أى أن الله جعل أنفسكم أمانة عندكم، فيشملة قوله تعالى: «والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون» (1) فهم أمناء وهم الأمانة باعتبارين، كالطبيب يطب نفسه.

قال تعالى: «قوا أنفسكم وأهليكم ناراً». (2)

وقال سبحانه: «يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم» (3).

وفى الحديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم: (أوصيك بنفسك ومالك خيراً) (4).

والمراد: إن الواجب عليكم أن لا تخونوا فى الأمانة بمخالفة أوامر الله سبحانه، فإن الخيانة مع النفس أيضاً خيانة، وهى داخله فى عمومات الأدلة، بل الخيانة مع النفس من أشد الخيانات، وهى تؤدى إلى الخسارة الكبرى الأبدية له، ولأهله فى كثير من الأحيان (5) قال تعالى: «قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة». (6)

أما حفظ أمانة الغير وأداؤها إليه فهى واجبة شرعاً كما قرر فى محله (7) قال سبحانه: «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها» (8).

ص: 179

1- المؤمنون: 8.

2- التحريم: 6.

3- المائدة: 105.

4- مولد النبى (ص) ص 290.

5- إذ خسارة النفس، عبر الانسياق وراء الشهوات والأهواء، كثيراً ما تؤدى إلى خسران الأهل أيضاً، فإن لسيرة الإنسان وتفكيره الأثر الكبير على أسرته كما لا يخفى.

6- الزمر: 15.

7- راجع موسوعة الفقه: ج 56 كتاب الوديعه.

8- النساء: 58.

وقال عليه السلام: (عليكم بصدق الحديث وأداء الأمانة إلى البر والفاجر).[\(1\)](#)

وقال عليه السلام: (اصل الدين أداء الأمانة والوفاء بالعهود).[\(2\)](#)

مسائل أخرى

مسألة: ويمكن - فى الجملة - استنباط مسائل عديدة أخرى من قولها عليها السلام:

1: كوجوب حفظ النفس.

2: وحرمة الإنتحار.

3: وحرمة الإضرار البالغ بالجسم أو الروح، كإذهاب قوة أو قطع عضو أو ما أشبهه، مما فصلناه فى مبحث (لا ضرر).

قال تعالى: «ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة»[\(3\)](#).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام)[\(4\)](#).

وبلغاؤه الى الأمم

فإذا كانت النفس أمانة إلهية بيد الإنسان، فلا يجوز له أى إفراط وتفريط فيها، كما لا يجوز أى تصرف فيها إلا بإذنه تعالى ولو بشكل عام، فصدق.

وبلغاؤه إلى الأمم

4: تبليغ وهداية الأمم

مسألة: يجب تبليغ رسالات الله إلى الناس، وهو أكبر مسؤولية تحمل أعباءها الأنبياء والرسل عليهم السلام.

قال تعالى: «أبلغكم رسالات ربي»[\(5\)](#).

ص: 180

1- سفينة البحار «الطبعة الجديدة»: ج 1 ص 161 مادة (أمن) عن مجالس المفيد.

2- غرر الحكم ودرر الكلم ص 86 ح 1407، الفصل الخامس فى الدين.

3- البقرة: 195.

4- وسائل الشيعة ج 17 ص 376 ب 1 ح 10 عنه عليه السلام، وفى الوسائل ج 12 ص 364 ب 17 ح 4 عنه صلى الله عليه وآله وسلم: (لا ضرر ولا ضرار).

5- الأعراف: 62.

وقال سبحانه: «وما على الرسول إلا البلاغ المبين»(1).

وقال تعالى: «الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله»(2).

وهو واجب كفاية على كل مكلف قادر على إرشاد الجاهل وتنبه الغافل وبيان مسؤوليات الناس لهم، في الجملة.(3)

قال سبحانه بالنسبة إلى نبيه: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك»(4) وهو صلى الله عليه وآله وسلم أسوة فيجب إتباعه.

وفي الصحيفة السجادية، قال عليه السلام في وصفه صلى الله عليه وآله وسلم: (واداب نفسه في تبليغ رسالتك، وأتعبها بالدعاء الى ملتك، وشغلها بالنصح لأهل دعوتك)(5).

هذا بالإضافة إلى ما دل على وجوب تبليغ الدين، أصوله وفروعه، فقد سبق ان: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)(6) كما قاله الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

نعم تختلف الرعية، فالحاكم مثلاً رعيته كل الشعب، بينما الرجل رعيته عائلته.

وإذا اجتمعت شرائط التبليغ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أكثر ممن هو في

ص: 181

1- النور: 54، العنكبوت: 18.

2- الأحزاب: 39.

3- قد يكون المراد ب- (في الجملة): ان الإرشاد إلى المستحبات والأخلاقيات وشبهها مستحب إلا ما خرج من باب المقدمية أو شبهها، أما الإرشاد في شؤون أصول الدين وفروعه الواجبة وما أشبهه، فواجب.

4- المائدة: 67.

5- الصحيفة السجادية ص 31، وكان من دعائه عليه السلام بعد هذا التحميد في الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

6- غوالي اللئالي ج 1 ص 129 الفصل الثامن. وإرشاد القلوب ص 184 الباب 51 في أخبار عن النبي والائمة الاطهار عليهم السلام. وبحار الأنوار ج 72 ص 38 ب 35 ح 36 ط بيروت. ومجموعة ورام ج 1 ص 6 وفيه: (ألا كلكم راع..).

دائرته فهو مكلف بذلك أيضاً، وفي القرآن الحكيم: «وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر» (1).

وقال تعالى: «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله». (2).

وقال جل وعلا: «ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون». (3).

ويحتمل كون «من» في الآية نشوية (4) لا- بمعنى البعض وان قال به جمع (5)، بقرينة قوله سبحانه في آخرها: «وأولئك هم المفلحون» الظاهر في أن غيرهم لا يكون مفلحاً، فتأمل.

ولقد كان من أسرار الانتشار السريع الهائل للإسلام، هو إن عامة المسلمين (6) اضطلعوا بمهمة تبليغ الإسلام في أقصى البلاد، وتحملوا في ذلك شتى الصعاب، حتى اجتتوا أفضل الثمار.

عكس ما عليه الآن الكثير من المسلمين حيث يتوهمون ان مهمة التبليغ هي مسؤولية فئة خاصة فحسب.

قولها عليها السلام: (ويلغاؤه): أى أنتم مبلغون أحكام الله إلى سائر الامم، لأنهم تحملوا الدين وعاصروا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعرفوا سنته، وقد أمرهم الله بذلك، قال تعالى: «فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم

ص: 182

1- العصر: 3.

2- التوبة: 71.

3- آل عمران: 104.

4- أى ولتكن امة ناشئة منكم، أى مصدرها أنتم، كما فى قوله تعالى: (والله خلقكم من تراب ثم من نطفة) «فاطر 11».

5- راجع (التبيان) فى تفسير الآية الكريمة، وفيه: (من ههنا للتبعيض على قول اكثر المفسرين). وفى تفسير (جوامع الجامع): (قيل ان من هنا للتبعيض.. وقيل ان من للتبيين). وفى تفسير (تقريب القرآن الى الأذهان) ج4 ص19: (أى يجب ان تكون منكم جماعة).

6- لافرق فى ذلك بين التاجر والعامل ورجل الدين والمزارع والجندي وغيره، راجع كتاب (كيف انتشر الإسلام) للإمام المؤلف.

لعلهم يحذرون». (1).

وفى كلامها عليها السلام هذا، إشارة إلى: انكم إذا انحرفتم وأقررتم غضب الخلافة ستحملون وزر الانحراف الذاتى ووزر إضاعة أمانة الله التى كلفكم بإبلاغها إلى سائر الأمم، قال سبحانه: « ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون». (2).

قولها عليها السلام: (الأمم).. فإن كل جماعة لها لون خاص من قومية أو لغة أولون أو ما أشبه ذلك تعد أمة من الأمم، وإن كان البشر مجموعاً أمة واحدة فى قبائل الملك والجن وأقسام الحيوانات، قال سبحانه: «وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمة أمثالكم» (3).

وقال تعالى: «وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطاً أمماً». (4).

وهل يشمل وجوب البلاغ الأمم المتمثلة غير البشر - لدى الإمكان - سواء من الجن، لأنهم مكلفون أيضاً، أو من الأمم الأخرى الساكنة فى سائر الكرات والعوالم؟
احتمالان.

فقى الحديث عن الرضا عليه السلام قال: (ولله عز وجل وراء ذلك سبعون ألف عالم أكثر من عدد الجن والإنس) (5) الحديث.

وعن أبى جعفر عليه السلام قال: (..لعلك ترى أن الله عز وجل إنما خلق هذا العالم الواحد، أو ترى أن الله عز وجل لم يخلق بشراً غيركم؟ بلى والله، لقد خلق الله تبارك وتعالى

ص: 183

1- التوبة: 122.

2- النحل: 25.

3- الأنعام: 38

4- الأعراف: 160.

5- التوحيد ص 277 ح 2 باب ذكر عظمة الله جل جلاله. وسفينة البحار «الطبعة الجديدة»: ج 6 ص 375 مادة (علم). وراجع ايضاً: كتاب الخصال ص 652 ح 54 الصفحة الاخيرة فى خلق الله عز وجل الف الف عالم والى الف آدم.

ألف ألف عالم وألف ألف آدم... (1) الحديث.

وعنه عليه السلام: (هل أدلك على رجل قد مر منذ دخلت علينا في أربعة آلاف عالم؟) (2). وفي بعض الروايات: (أربعة عشر ألف عالم) (3).

الأجيال القادمة

مسألة: يجب بلاغ الأجيال القادمة أيضاً، للإطلاق الأزمانى فى قولها عليها السلام: (الأمم)، وشمول سائر الأدلة له، عموماً أو إطلاقاً أو ملاكاً.

فمن كان بمقدوره هداية الأجيال القادمة (4) وجب عليه ذلك وجوباً كفائياً.

فعن أبى جعفر عليه السلام قال: (أيا عبد من عباد الله سن سنة هدى كان له أجر مثل أجر من عمل بذلك من غير أن ينقص من أجرهم شىء). (5).

كما يجب بلاغ الامم المعاصرة من غير المسلمين ومن المخالفين، ولذا أرسل النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى ملوك العجم والروم كما أرسل إلى مختلف العشائر والقبائل (6)

فإنه صلى الله عليه وآله وسلم أرسل فى السنة السادسة: حاطب بن بلتعة إلى المقوقس (7)، ودحية بن خليفة الكلبى إلى قيصر، وعبدالله بن حذافة إلى كسرى، وعمرو بن امية الضميرى إلى النجاشى، وشجاع بن وهب إلى الحارث الغسانى، وسليط بن عمرو

ص: 184

1- فرج المهموم ص 111 عن على بن الحسين عليه السلام. وسفينة البحار «الطبعة الجديدة»: ج 6 ص 375 مادة (علم).

2- سفينة البحار «الطبعة الجديدة»: ج 6 ص 375 مادة (علم).

3- دلائل الامامة ص 91 فى ذكر شىء من معجزاته. أى الإمام على بن الحسين عليه السلام.

4- عبر حفظ كتب الأحاديث والتفاسير وغيرها، أو عبر تربية ثلة تقوم بتربية ثلة من جيل لاحق، أو عبر إستخدام الأجهزة الحديثة حالياً أو ما أشبه.

5- سفينة البحار «الطبعة الجديدة»: ج 4 ص 306 مادة (سنن)، عن ثواب الأعمال.

6- راجع كتاب (ولأول مرة فى تاريخ العالم) ج 2 ص 20 تحت عنوان (النبى يتفرغ لإبلاغ الرسالة) و ج 2 ص 195 تحت عنوان (عام الرسل والوفود) للإمام المؤلف.

7- راجع (المناقب) ج 4 ص 164 وفيه: (رسله: بعث خاطب بن ابى بلتعة الى المقوقس، وشجاع بن وهب الأسدى الى الحارث بن شمر، ودحية الكلبى الى قيصر، وسليد بن عمرو العامرى الى هوذة بن على الحنفى، وعبد الله بن حذافة السهمى الى كسرى، وعمرو بن امية الضميرى الى النجاشى).

العامري إلى هودة بن النخعي... (1).

كما تجب معرفة طرق وأساليب أعداء الإسلام في صدهم عن انتشار الدعوة، فإن معرفة الداء نصف الدواء، وعليه يتوقف التبليغ والبلاغ في الجملة، قال تعالى: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» (2).

وكذلك تجب - في الجملة - معرفة لغات وعادات وتقاليد وخصوصيات الأمم الأخرى، بالقدر الذي يتوقف عليه التبليغ، فإن الحديث (بلسان كل قوم) يتوقف على ذلك إجمالاً، قال تعالى: «وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه» (3).

ولذا ترى أنهم عليهم السلام يعلمون جميع الألسن واللغات ويتكلمون بها، كما ورد عن علي أمير المؤمنين عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام والإمام الكاظم عليه السلام والإمام الرضا عليه السلام وغيرهم (4).

زعيم حق له فيكم (5)

القرآن هو الزعيم

القرآن هو الزعيم (6)

مسألة: يجب جعل القرآن زعيماً في كافة شؤون الحياة، وزعيم القوم: رئيسهم و سيدهم

ص: 185

1- سفينة البحار «الطبعة الجديدة»: ج3 ص 355 مادة (رسل).

2- الأنفال: 60.

3- إبراهيم: 4.

4- راجع سفينة البحار «الطبعة الجديدة» 7/605 مادة (لغا).

5- وفي بعض النسخ: (وزعتم حق لكم لله فيكم). راجع متن الخطبة في الصفحة من هذا الكتاب.

6- راجع حول هذا المبحث والمباحث اللاحقة: (الفقه: حول القرآن الحكيم) و (التفسير الموضوعي للقرآن الكريم) و(الفقه: الآداب والسنن) و(الفقه: الواجبات والمحرمات) للإمام المؤلف دام ظله. وبعض البحوث الآتية تجدها في أماكنها المناسبة في موسوعة الفقه مثلاً: الاستماع للقرآن الكريم وشبهه تجده في (الفقه: حول القرآن الحكيم) وهكذا غالب العناوين اللاحقة تراها في تفسير الآيات الكريمة المناسبة في (تقريب القرآن إلى الأذهان).

فإن النجاة بالعمل بالقرآن الحكيم، والاهتداء بهديه والامثال لتعاليمه، وإلا فمن يقرأ القرآن ويعلم تفسيره وتجويده وما أشبه ذلك، ثم لا يعمل به، لا ينفعه القرآن، بل يكون القرآن عليه حجة ووبالاً، قال سبحانه:

«ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى، قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى.»(2)

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (رب تالى القرآن والقرآن يلعنه) (3).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (القرآن غنى لا غنى دونه ولا فقر بعده) (4).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (ان هذا القرآن حبل الله وهو النور البين والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه) (5).

وقال على عليه السلام: (سلوا الله الايمان واعملوا بموجب القرآن) (6).

وقال عليه السلام: (ليس لأحد بعد القرآن من فاقة ولا لأحد قبل القرآن غنى) (7).

وقال عليه السلام: (يأتى على الناس زمان لا يبقى من القرآن الا رسمه ولا من الاسلام الا اسمه) (8).

بل إن من يعرف تفسير القرآن ولا يعمل به أكثر أو أشد عذاباً من الجاهل به، إذا كان جاهلاً مقصراً، أما الجاهل القاصر فلا عذاب عليه، وإنما يجرى امتحانه فى يوم القيامة كما يستفاد من الروايات.

ص:186

1- راجع (القاموس المحيط) و(مجمع البحرين) مادة: (زعم)، وقال فى لسان العرب: (زعيم القوم: رئيسهم وسيدهم، وقيل: رئيسهم المتكلم عنهم).

2- طه: 124-126.

3- جامع الاخبار ص 48 الفصل 23.

4- جامع الاخبار ص 40 الفصل 21 فى القرآن.

5- وسائل الشيعة ج 4 ص 826 ب 1 ح 13. والوسائل ج 18 ص 19 ب 5 ح 8.

6- غرر الحكم ودرر الكلم ص 111 الفصل الرابع فى القرآن ح 1979.

7- غرر الحكم ودرر الكلم ص 111 الفصل الرابع فى القرآن ح 1989.

8- غرر الحكم ودرر الكلم ص 111 الفصل الرابع فى القرآن ح 1981.

القرآن عهد إلهي

مسألة: يجب الاعتقاد بأن القرآن الحكيم من الله تعالى، وانه عهده، قال تعالى: «تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم» (1).

وقال سبحانه: «تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم» (2).

كما يلزم التأكيد على ذلك، فإن جماعة من الكفار - منذ ذلك اليوم وإلى اليوم - يقولون إن القرآن من صنع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بل «قالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً» (3).

وفى آية أخرى: «إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين» (4).

و(العهد) هو الأمر المؤكد الذى يلقى فى عهدة الإنسان، فإن هناك فرقاً بين العهد والوعد، فالعهد هو ما يكون القلب مؤكداً عليه كل تأكيد أما الوعد فليس كذلك (5).

وكذلك هناك فرق بين العقد والعهد (6)، ولذا يقال: (المعاهدات الدولية) دون

ص: 188

1- غافر: 2.

2- الجاثية: 2. والاحقاف: 2.

3- الفرقان: 5.

4- النحل: 103.

5- وفى (لسان العرب) مادة (عهد): (العهد: الموثق).

6- وفى مجمع البيان ج 2 ص 150: (والفرق بين العقد والعهد: ان العقد فيه معنى الاستيثاق والشد، ولا يكون الا بين متعاقدين، والعهد قد ينفرد به الواحد، فكل عهد عقد، ولا يكون كل عقد عهداً. وفى (تقريب القرآن الى الأذهان) فى تفسير الآية المباركة: (أوفوا بالعقود، الجمع المحلى يفيد العموم، أى كل الكعقود، وعقود جمع عقد، وهو كل التزام وميثاق بين جانبيين، فتشمل عقود الناس بعضهم مع بعض، والمعاهدات الدولية، والمواثيق التى بين الله وبين خلقه).

وفى غيره من سائر الأيام، وبيان ما لختمه من الفضيلة والثواب، حتى أن عبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب وغيرهما قد ختموا القرآن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عدة مرات، ولولا إن القرآن مجموع ومرتب، لم يكن لختم القرآن معنى، لأن الختم يقال لما يبدأ من أوله وينتهى بآخره. ومنها: روايات تأمر بعرض الأحاديث المروية عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعن أهل بيته عليهم السلام لمعرفة غثها من سمينها على القرآن الكريم وتقول: ما وافق كتاب الله فقد قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقاله أهل البيت عليهم السلام، وما خالف الكتاب فهو زخرف وباطل، وانهم لم يقولوه، فقد أحالتنا هذه الروايات إلى هذا القرآن الذى هو بأيدينا لمعرفة الحق من الباطل مما يدل على سلامته من كل زيادة ونقص، وتبديل وتحريف، وإلا لم يصلح أن يكون مرجعاً لمعرفة الحق من الباطل. ومنها: ما ورد من أن القرآن كله كان مكتوباً موضوعاً بين المحراب والمنبر، وكان المسلمون يكتبون منه. ومنها: ما ورد من أن جبرئيل عليه السلام كان يعرض القرآن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل عام مرة، وعرضه عليه صلى الله عليه وآله وسلم فى عامه الأخير مرتين. ومنها: ما روى من أن جماعة من الصحابة كانوا قد حفظوا القرآن كله فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ولا يخفى ذلك على من راجع تفسير القرآن للعلامة البلاغى (قدس سره)، ولوالدى رحمه الله «آية الله العظمى السيد ميرزا مهدي الشيرازى قدس سره» كلمة حول ذلك طبعته فى إحدى أعداد (أجوبة المسائل الدينية) فى كربلاء المقدسة. هذا بالإضافة إلى أن هناك آيات وروايات تشير إلى أن القرآن نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرتين: مرة نزل بمجموعه على قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما قال تعالى: «إنا أنزلنا فى ليلة القدر» «القدر: 1» ومرة نزل عليه نجومياً ومتفرقاً عبر ثلاث وعشرين سنة فى المناسبات والقضايا المتفرقة، والنبى صلى الله عليه وآله وسلم قد وعى قلبه القرآن الذى نزل عليه أولاً مجموعاً ومرتباً، فجمع القرآن الذى نزل عليه ثانياً نجومياً ومتفرقاً حسب جمع القرآن الأول، ورتبه وفق ترتيبه، وهو بعينه القرآن الذى هو اليوم بأيدينا. إلى غير ذلك مما يشير بمجموعه إلى أن هذا القرآن الذى هو اليوم بأيدينا هو القرآن الذى جمع بأمر من الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يزد حرفاً ولم ينقص حرفاً، ولم يتغير شيء منه ولم يتبدل أبداً، كيف وقد قال تعالى: «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه» «فصلت: 42». انتهى.

القرآن خليفة الله في الأرض

مسألة: يجب أن يكون منهج التعامل مع القرآن الحكيم بحيث يعكس على جوانح الإنسان وجوارحه، خلافته لله تعالى في الأرض.

كما يجب حفظ القرآن وتعظيمه واحترامه والاهتمام به (1).

إذ قولها: (استخلفها عليكم) أى: اتخذها خليفة لنفسه.

وكما يجب تعظيم الله سبحانه وتوقيره، كذلك يجب تعظيم خليفته - وهو القرآن - وتوقيره

ص: 193

1- راجع وسائل الشيعة ج 4 ص 822 ب 74 باب وجوب تعلم القرآن وتعليمه كفاية واستحبابه عينا، وج 4 ص 827 ب 1 باب وجوب اكرام القرآن وتحريم اهانتها، وب 2 باب استحباب التفكير في معانى القرآن.. وج 4 ص 830 ب 3 باب تحريم استضعاف اهل القرآن واهانتهم ووجوب اكرامهم، وج 4 ص 832 ب 4 باب استحباب حفظ القرآن وتحمل المشقة فى تحممه وحفظه، وص 833 ب 5 باب استحباب تعلم القرآن، وص 834 باب 6 باب استحباب تعليم الاولاد القرآن، و...

والالتزام بأوامره ومناهجه.

ولا- يخفى أن اتخاذ الخليفة لا ينحصر بحالة غياب المستخلف، بل يكون مع وجوده أيضاً، كما في قوله تعالى: «إني جاعل في الأرض خليفة»(1) فتأمل.

وقالت صلوات الله عليها: (وبقية).. وفي القرآن الحكيم: «بقية الله خير لكم»(2) لأن القرآن الباقي من آثار الله، فقد وقع التحريف في سائر كتب الله(3). قال تعالى: «يحرفون الكلم عن مواضعه»(4).

وقد جعل الله سبحانه القرآن خليفته على الناس(5) قال تعالى: «مستخلفين فيه»(6) كما جعل أهل البيت عليهم السلام، خليفة عليهم.

وفي بعض النسخ: (وبقية استخلفنا عليكم)، فيكون المراد بالبقية: أهل البيت عليهم افضل الصلاة والسلام.

ولعل باب الاستفعال من جهة دلالة على الطلب، فالأمر مطلوب، فكأنه قال: (خلافة نشأت عن الطلب الإرادي) أو (بقية مطلوب إقرار خلافتها) وقد يأتي باب الاستفعال بمعنى الفعل المجرد(7).

كتاب الله الناطق

ص:194

1- البقرة:30.

2- هود: 86.

3- راجع كتاب (ماذا في كتب النصارى) للإمام المؤلف (دام ظله).

4- النساء: 46. والمائدة: 13.

5- قال في مجمع البحرين: (الخليفة يقال ل-: .. المدبر للأمر من قبل غيره، والخليفة: السلطان الأعظم وكذلك من يقوم مقام الذهاب ويسد مسده، واللهم أنت الخليفة في السفر، أى أنت الذى أرجوه وأعتمد عليه فى غيبتى عن أهلى أن تلم شعثهم وتقوم اردهم..) مادة (خلف)، ويأتى بمعنى الوكيل والنائب كما ذكره بعض المفسرين فى آية: (مستخلفين فيه) «الحديد: 7».

6- الحديد: 7.

7- راجع كتاب (البلاغة) للإمام المؤلف (دام ظله).

وصف القرآن بجميل الصفات

مسألة: يستحب أن يشفع التلفظ ب- (القرآن) وكذا كتابته بوصف من أوصافه، كما قالت عليها السلام: (كتاب الله الناطق والقرآن الصادق...).

قال تعالى: «ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم» (1).

وقال سبحانه: «طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين» (2).

وقال تعالى: «ق، والقرآن المجيد» (3).

وقال سبحانه: «تلك آيات الكتاب الحكيم» (4).

وقال تعالى: «تلك آيات الكتاب المبين» (5).

فإن ذكر الأوصاف الحسنة يوجب التحبيب والتوجيه نحو الشيء، كما أن ذكر الأوصاف السيئة بعكس ذلك، يوجب التنفير عن الشيء.

ومن الواضح أن ذكر الأوصاف الإيجابية للشخص أو الشيء يوجب الالتفاف حوله أكثر فأكثر، وذكر السلبيات يستلزم انفضاض الناس وابتعادهم عنه.

واعتبار كون القرآن ناطقاً، بلحاظ كونه في مقابل الكتاب التكويني لله سبحانه وتعالى، وهو ليس بهذه المنزلة، فإن القرآن كتاب الله التشريعي والكون كتاب الله التكويني، ولذا قال سبحانه وتعالى: «ما فرطنا في الكتاب من شيء» (6) على تقدير إرادة الكتاب التكويني - كما ذهب إليه البعض - فإنه احتوى على كل شيء له قابلية الوجود، فإن الله سبحانه وتعالى يمنح الوجود لمن تقضى الحكمة بوجوده أو يكون الأفضل وجوده (7) وإن كان يحتمل إرادة

ص: 195

1- الحجر: 87.

2- النمل: 1.

3- ق: 12.

4- يونس: 1.

5- يوسف: 1. الشعراء: 2. القصص: 2.

6- الأنعام: 38.

7- ربما يكون مقصود الإمام المؤلف ب-: (لمن تقضى الحكمة بوجوده): ما هو خير محض، وب- (أو يكون الأفضل وجوده): ما خيره أكثر، من الأقسام الخمسة المذكورة في علم الكلام.

القرآن الكريم (1) فلذا لا منافاة بين أن يكون الكتاب ناطقاً وأن يكون صامتاً من جهتين، فقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: (أنا كتاب الله الناطق) في واقعة صفين حينما أمر معاوية برفع المصاحف على الرماح (2) إنما هو في مقابل القرآن الصامت الذي لا ينطق ولا يتكلم حسب المعنى المعهود المتعارف. هذا ومن المعلوم ان نطق كل شيء بحسبه، لأن النطق يفيد معنى البيان (3).

والقرآن الصادق

صدق القرآن

مسألة: يجب الاعتقاد بأن القرآن صدق صادق مصدق، حدوداً وبقاءً (4).

فإن القرآن صادق في أحكامه وقصصه وفي كل ما ذكره تفصيلاً أو إجمالاً، وليس بالكذب ولا بالهزل حتى في كلمة من كلماته. قال تعالى: «والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقاً لما بين يديه» (5).

وقال سبحانه: «وهذا كتاب مصدق» (6).

ويمكن الاستشهاد بهذه الجملة من خطبتها عليها السلام أيضاً على عدم تحريف القرآن،

ص: 196

1- وقد احتتمل إرادة اللوح المحفوظ «راجع تفسير الجوهر الثمين ج 2 ص 255، وتفسير شبر ص 132، وكنز الدقائق ج 4 ص 321»، واحتمل في بعض التفاسير إرادة الأعم من التكويني والتشريعي. وفي (تقريب القرآن إلى الأذهان) في تفسير الآية المباركة: (أى كتاب الكون، فان الكون كتاب الله والمودودات كلماته).

2- وسائل الشيعة: ج 18 ص 20 ب 5 ح 12. وفي إرشاد القلوب ص 249 عن أمير المؤمنين عليه السلام: (يا بن أبى سفيان انت تدعونى الى العمل بكتاب الله، وانا كتابه الناطق).

3- قد يستفاد هذا من بعض كتب اللغة، فمثلاً قال في (لسان العرب) مادة نطق: (وكتاب ناطق: بين).

4- يظهر مما سيأتى ان المراد من (بقاء) الإشارة إلى عدم تحريفه وإنه لا ينحرف أبداً، قال تعالى: « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » (الحجر: 9).

5- فاطر: 31.

6- الاحقاف: 12.

خاصة مع لحاظ ما سبق من كونه زعيم الحق فيكم، وكونه عهداً إليكم ومستخلفاً عليكم، ومع لحاظ (أل) العهديه في (القرآن)، كما نعتده.

فإن القرآن الذي بين أيدينا هو القرآن الذي انزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلا زيادة حرف أو كلمة ولا تقيصة، بل ولا زيادة فتحة أو كسرة أو نقطة أو غيرها، كما أشرنا إلى ذلك في كتاب (الفقه: حول القرآن الحكيم).⁽¹⁾

(و) هو (القرآن الصادق) وهاتان الجملتان (2) تبيان للجمل الثلاثة السابقة⁽³⁾.

تحري الصدق

مسألة: يجب تحري الصدق واتخاذ شعاراً وديناً في الحياة. وفي مثل هذه الجملة تحريض على الصدق، قال سبحانه: «والذي جاء بالصدق وصدق به».⁽⁴⁾

ومن الواضح أن الصدق في مورد الوجوب واجب، كما أنه في مورد الاستحباب مستحب، وأما الكذب فقد قال على عليه السلام: (لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يترك الكذب هزله وجده).⁽⁵⁾

وفي رواية: (لا يجد عبد حقيقة الإيمان حتى يدع الكذب هزله وجده).⁽⁶⁾

حيث إن ذكر خلاف الواقع في الهزل ليس محرماً، كما قال به جمع من الفقهاء.⁽⁷⁾

ص: 197

1- راجع موسوعة الفقه: ج 98 كتاب (حول القرآن الحكيم). وكتاب (ولاول مرة في تاريخ العالم) ج 2 ص 243-249 كما مر.

2- أى (كتاب الله الناطق) و(القرآن الساطع).

3- أى: (زعيم حق..) و(عهد قدمه..) و(بقية استخلفها..).

4- الزمر: 33.

5- تحف العقول ص 216 وروى عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني، أى عن على عليه السلام. وبحار الأنوار: ج 72 ص 249 ح 14.

6- المحاسن ص 118 في عقاب الكذب. وبحار الأنوار: ج 72 ص 262 ح 41.

7- راجع (موسوعة الفقه) كتاب (المكاسب المحرمة) ج 2 ص 33 وفيه: (مستثنيات الكذب مسألة: ثم انه يستثنى من الكذب، موضوعاً أو حكماً، أمور: الأول: الهزل، والهزل ليس بكذب، حتى في غير الإنشاء - إذا كانت قرينته - أما في الإنشاء فلخروجه موضوعاً مع القرينة، وأما في الأخبار فلخروجه حكماً. نعم قد يكون حراماً من جهة الإيذاء أو الإغراء أو ما أشبهه، فالتفصيل بين الإنشاء فلا حرمة، والأخبار ففيه الحرمة، غير ظاهر، إذ في الإنشاء إذا لم تكن قرينة مما ظاهرة الإخبار، كقوله: هذا بطل، أيضاً يكون كذلك، ولذا لا يرمى المخبر هزلاً بأنه كاذب. نعم لا إشكال في ان الأفضل تركه، كما في وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر، وخبر النخصل عنه عليه السلام: (أنا زعيم بيت في أعلى الجنة وبيت في وسط الجنة وبيت في رياض الجنة لمن ترك المراء ولو كان محققاً، ولمن ترك الكذب وإن كان هازلاً، ولمن حسن خلقه) «بحار الأنوار: ج 69 ص 261 ب 114 ح 32 ط بيروت، باختلاف يسير». وخبر الأصبغ عن على عليه السلام: (لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يترك الكذب هزله وجده) «وسائل الشيعة: ج 8 ص 577 ح 16230». إلى غيرها كأخبار حارث وسيف «وسائل الشيعة: ج 8 ص 576 ح 16229» وغيرهما. نعم لا إشكال في حرمة الكذب هزلاً بالنسبة إلى من هو خلاف شأنه مثل المعصومين

عليهم السلام حتى إذا كان من قسم الإنشاء فتأمل. ولا فرق فيما ذكرناه من القول أو الفعل أو الإشارة، كما انه كذلك بالنسبة إلى الكذب الحرام. نعم قد لا يسمى اصطلاحاً هزلاً، بل لطيفة أو مزاحاً كما فعله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع علي عليه السلام في قصة جعل النواة أمامه وقوله عليه السلام: الذي أكل مع النواة، وشبيهه قوله صلى الله عليه وآله وسلم: جرى ذيلاً كذيل العروس «بحار الأنوار: ج 16 ص 395 ب 10 ح 1»، واركبك علي ولد ناقة «بحار الأنوار: ج 16 ص 295 ب 10 ح 1 وفيه: أنا حاملوك علي ولد ناقة» وما أشبهه. لكن الظاهر: ان ما رووه - بطريق غير صحيح - من أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: العجوز والشيخ والأسود لا يدخل الجنة «بحار الأنوار: ج 16 ص 295 ب 10 ح 1»، محل نظر، فإنه علي ما رووا إيذاءً، وإن لم يكن كذباً، والرسول صلى الله عليه وآله وسلم معصوم عن مثله قطعاً.

النور الإلهي

مسألة: القرآن الكريم نور ساطع وضياء لامع بنفسه، إلا أن الأعمال والأقوال والمناهج غير السليمة لأتباعه تكون كالحجاب الساتر والغمام المتكاثر الذي يحجب أشعة الشمس، كما أن أقوالهم وأعمالهم لو كانت قويمة مستقيمة فإنها ستسمح لنوره بالسطوع.

فكان من الواجب الحفاظ - قولياً وعملياً - على هذا النور الساطع والضياء اللامع، كي يتجلى على البشرية بأبهى الصور وأكمل الأنحاء، وأى ظلم - بل جريمة - أكبر وأقسى عن

إسدال الستائر على هذا النور الساطع الإلهي والضياء اللامع الرباني؟ وقد ورد: (ان القرآن حق ونور) **(1)**.

كما ورد عنه عليه السلام: (انا اهل بيت عندنا معاقل العلم وضياء الأمر) **(2)**.

القرآن نور وضياء

القرآن نور وضياء **(3)**

مسألة: يجب الاستئارة والاستضاء بالقرآن الحكيم فى ظلمات الحياة ومشاكلها، قال تعالى: «ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً» **(4)**.

وقال على عليه السلام: (الله فى القرآن، فلا يسبقنكم بالعمل به غيركم) **(5)**.

ولعل الجمع بين النور والضياء - مع لحاظ أن الضياء عادة يكون نابعاً من الذات، والنور عادة **(6)** يكون مكتسباً من الغير **(7)** - هو أن القرآن يضئ القلوب والأرواح والحياة، وأنه قد اكتسب نوره من الله سبحانه، وفى الأوصاف يكفى وجود نسبة ما، فلا يقال: إن الضياء فى النفس والنور فى الغير (لاغير)، كما قال سبحانه: «هو الذى جعل الشمس ضياءً والقمر نورا» **(8)** وألمعنا إلى ذلك فيما سبق.

وقد يقال: إن (الضياء) بلحاظ ان النورية ذاتية له كما هى الشمس **(9)** فهو نور

ص: 199

1- كتاب سليم بن قيس ص 195 فى كتابه عليه السلام الى معاوية.

2- الاختصاص ص 308.

3- وفى كتاب التوحيد للشيخ الصدوق ص 214: (وعلى سبيل التوسع قيل ان القرآن نور، لان الناس يهتدون به فى دينهم كما يهتدون بالضياء فى مسالكهم، ولهذا المعنى كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم منيراً). فتأمل.

4- طه: 124.

5- بحار الأنوار: ج 75 ص 99 ب 18 ح 2 فى وصيته عليه السلام عند وفاته. وفى نهج البلاغة الكتاب 47/5 ومن وصية له عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم لعنة الله عليه، وفيه: (والله فى القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم).

6- قيد (عادة) لقوله تعالى: «الله نور السماوات والارض» «النور: 35» فدقق.

7- راجع مجمع البحرين مادة (ضوء).

8- يونس: 5.

9- وكما أن الزوجية ذاتية للأربعة، والدسومة ذاتية للدهن.

و(النور) بلحاظ اكتسابها، ولو يجعل منشأ الانتزاع(1) من الغير، وهو البارئ جل وعلا.

وكلاهما لوحظ فيه كونه منيراً ومضيئاً للقلوب والأرواح والحياة، لمكان الوصف بـ (الساطع) و(اللامع) (2) فالقرآن نور لأنه ينير سبيل العقيدة والشريعة والدنيا والآخرة، وليس متحدداً في بقعة صغيرة بل هو ساطع يشرق على العالم.

وأما (اللامع) فإنه يفهم من معنى التحرك أيضاً، فإن النور يأتي لمعه لمعة وموجاً موجاً. (3)

وههنا نقطة يجدر الإشارة إليها وهي:

إن لكل شيء خلقه الله تعالى نوراً، بمعنى أن له - من داخله - دليلاً يرشد إليه، وقد جعله الله بحيث يكون بنفسه كاشفاً عن نفسه (4) وبتجلياته مرشداً إلى حقيقة ذاته..

والقرآن الكريم (نور ساطع وضياء لامع) فكاشفيتها لذاته في أجلى درجات الوضوح، ودلالته على حقانيته وعلى استخلاف الله تعالى له ... بأشد وأكمل أنحاء الدلالة..

فهو الفرد الأكمل لما ورد في الحديث الشريف: (إن على كل حق حقيقة وعلى كل صواب نوراً). (5)

هداية الناس وإرشادهم

مسألة: ينبغي أن يكون الإنسان هادياً ومرشداً وسراجاً مضيئاً للمجتمع، فإن وصف

ص: 200

1- كما في ذاتي باب البرهان وذاتي باب إيساغوجي (الكليات الخمس).

2- (الساطع): اللامع المرتفع، و(اللامع): المضيء، (لمع) أى: أضاء، مجمع البحرين مادة (سطع) و(لمع).

3- قد تكون استفادة هذا المعنى بالنظر لموارد الاستعمال المختلفة التي يفيد بعضها ذلك، راجع (لسان العرب) مادة (لمع) وقد تكون للقريظة المقامية أو المتفاهم العرفي.

4- فمثلاً- الأمواج الصوتية والتموجات الفكرية والإشعاعات والأشعة والإفرازات الكيماوية وغيرها كلها تكشف عن الشيء وتوضح خصوصياته ومواصفاته بل وأحياناً حتى كنهه، فتأمل.

5- وسائل الشيعة: ج 18 ص 86 ب 9 ح 35، والوسائل: ج 18 ص 78 ب 9 ح 10. والامالي للشيخ الصدوق ص 367 ح 16 المجلس 58. وتفسير العياشي ج 1 ص 8 ح 2 باب ترك الرواية التي بخلاف القرآن. وغيبة النعماني ص 141 ح 2 باب ما روى في غيبة الإمام المنتظر (عج).

القرآن الكريم بالنور والضياء إلماع إلى فضيلة هذين الأمرين وقيمتهم الكبيرة، وإلى فضيلة من وما يتحلى بهما (1) خاصة مع ملاحظة وصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ب- : (كان خلقه القرآن). (2)

وقال سبحانه: «وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس». (3)

وقال تعالى: «وسراجاً منيراً». (4)

وبالنسبة إلى الكفار ونحوهم يقول الله سبحانه وتعالى حكاية عنهم فى المحشر: «يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً». (5)

فإن محل اكتساب النور الربانى هو الدنيا. أما الآخرة فإن الإنسان يحصد فيها ما كان قد زرع فى دنياه من نور وظلمة، كما ورد فى الروايات:

(اتقوا الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة) (6).

وقال عليه السلام: (الدنيا مزرعة الآخرة) (7).

فالنور والظلمة المعنويان (8) يصبحان فى يوم القيامة نوراً وظلمة ماديين أيضاً، بمعنى أنهما يتجليان - فيما يتجليان - بهذا النحو من التجلى أيضاً.

ص: 201

1- التعدية بلحاظ إلغاء الخصوصية وفهم المناط عقلاً وعرفاً، وربما يقال: بأن كل إخبار من هذا القبيل يتضمن، أو يستلزم إنشاء من ذلك القبيل.

2- مجموعة ورام ج 1 ص 89 باب العتاب، وفيه: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله خلقه القرآن) وراجع أيضاً شرح النهج: ج 6 ص 340 ب 83.

3- الأنعام: 122.

4- الأحزاب: 46.

5- الحديد: 13.

6- وسائل الشيعة: ج 11 ص 338 ب 77 ح 2، عن رسول الله (ص). ومجموعة ورام ج 1 ص 56 باب الظلم.

7- ارشاد القلوب ص 89 الباب الثانى والعشرون. ومجموعة ورام ج 1 ص 92 فى بيان السبب الذى ينال به حسن الخلق على الجملة.

8- أى الفضائل والردائل.

البصائر البينة

مسألة: ينبغي ان تكون البصائر والحجج بينة وواضحة، وقد جعل الله سبحانه القرآن كذلك، وذلك اتماما للحجة ومقدمة للهداية.

ونرى ذلك بوضوح فى الكتاب الحكيم، وفى كلمات الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم والائمة المعصومين عليهم السلام وفى خطبة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام.

قال تعالى: «افى الله شك فاطر السماوات والارض» [\(1\)](#).

وقال سبحانه: «وهديناه النجدين» [\(2\)](#).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (قولوا لا اله الا الله تفلحوا) [\(3\)](#).

قولها عليها السلام: (بينه) أى: واضحة ظاهرة، من البيان والظهور.

و(البصائر): جمع (بصيرة) فعيل بمعنى الفاعل أى المبصرات، أى حججه وبراهينه ودلائله.

حجية ظواهر الكتاب

مسألة: ظواهر الكتاب حجة، ويدل على ذلك أدلة كثيرة مذكورة فى مظانها، [\(4\)](#) وهذه الجمل وما سبقها وما سيلحقها من كلمات السيدة الزهراء عليها السلام من الأدلة على ذلك.

فكيف لا يكون حجة مع أن بصائر بينة وظواهره منجلية؟

وكيف لا يكون حجة وهو الضياء الساطع والنور اللامع؟

ص: 202

1- ابراهيم: 10.

2- البلد: 10.

3- المناقب ج 1 ص 56، فصل فيما لاقى من الكفار فى رسالته، وفيه: (طارق المحاربى: رأيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى سوقة ذى الحجاز عليه حلة حمراء وهو يقول: قولوا لا اله الا الله تفلحوا. وأبولهه يتبعه ويرميه بالحجارة، وقد اومى كعبه وعرقويه وهو يقول: يا ايها الناس لا تطيعوه فانه كذاب).

4- راجع الوسائل إلى الرسائل بحث حجية ظواهر الكتاب و(الاصول) للإمام المؤلف.

وكيف لا يكون حجة مع أن به تنال حجج الله المنورة؟

وكيف لا يكون حجة مع أن به تنال شرائعه المكتوبة؟

فظواهر القرآن حجة مطلقاً، وما ليس له ظاهر فليس حجة، مثل: المتشابه وفواتح السور ونحو ذلك، فان علمه عند اهله عليهم افضل الصلاة والسلام.

وهناك التلازم بين الظهور وبين الحجية، لأن الظهور هو طريق فهم العقلاء مقاصد المتكلمين كما بين في (الاصول) مفصلاً⁽¹⁾.

و(السرائر): جمع (سريرة) من السر، فإن الأسرار الخفية من القرآن منكشفة لمن تدبر فيها واستعان بمن نزل القرآن في بيوتهم، عليهم افضل الصلاة والسلام، ولذلك كانت دعوته سبحانه للتدبر فيه:

قال الله تعالى: «أفلا يتدبرون القرآن»⁽²⁾.

وقال سبحانه: «لعلهم الذين يستنبطون منهم»⁽³⁾.

فعمقه يظهر لمن تدبر فيه، وليس من قبيل الطلاسم والغوامض والأحاجي والألغاز، كما يستعملها الكهان.

(منجلية): ظاهرة (ظواهره) فليس مثل الأشياء المستورة، فلا غطاء عليه، وليس مثل كتب الفلسفة المعقدة، بل هو كالشمس المشرقة في رابعة النهار.

مغتبطة به أشياعه

من هم أشياع القرآن؟

مسألة: يصدق (أشياع القرآن) حقيقة على من شايعه مطلقاً، إذ المراد بالأشياع: الأتباع، والأتباع الحقيقيون وبقول مطلق هم الذين يتبعون منهج قائدهم في كل صغيرة وكبيرة.

ص: 203

1- راجع (الوصائل الى الرسائل) للامام المؤلف (دام ظله).

2- محمد: 24، والنساء: 82.

3- النساء: 83.

فيجب على الناس أن يجعلوا القرآن أمامهم وإمامهم، في الأصول والفروع، في السياسة والاقتصاد، وكافة مناحي الحياة، فإن المصداق الكامل لمشايخ القرآن هو من كان كذلك، وإن اطلق أيضاً - من باب التسامح أو من باب الكلى المشكك - على من امتثل أو امره غالباً، أما في المستحبات فالإتباع مستحب..

وكذلك بالنسبة إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والأئمة الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) وفي التاريخ: ان المرأة التي طلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منها الرجوع إلى زوجها، قالت: يا رسول الله أتأمرني؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: لا إنما أنا شافع. قولها عليها السلام: (مغتبطة به أشياعه) فإن الناس يغبطون(1) أتباع القرآن وما هم عليه من العلم والفضيلة والعزة وسائر الفضائل ومقومات الحياة السعيدة، بسبب عملهم بالقرآن.

وفي الدعاء: (واجعلني من أشياعه وأتباعه) (2).

وفي الحديث عنه صلى الله عليه وآله: (..اللهم اغفر لعلى وذريته ومحبيه وأشياعه وأتباعه) (3).

هذا على قراءته بنحو اسم المفعول وهو الأظهر، ويمكن أن يقرأ على اسم الفاعل والمعنى حينئذ: فرحة ومسرورة به أشياعه. (4)

قائد إلى الرضوان إتباعه

ص:204

1- غبطته: اذا تمنيت مثل ما له من غير ان تريد زواله منه.

2- مهج الدعوات ص16 حرز لمقتدى الساجدين الإمام زين العابدين عليه السلام.

3- المناقب ج2 ص234 فصل في محبة الملائكة اياه.

4- من معاني الغبطة: الفرح والسرور وحسن الحال، راجع (لسان العرب) مادة (غبط).

إتباع تعاليم القرآن

مسألة: يجب إتباع تعاليم القرآن فى جميع جوانب الحياة، لأنه يقود إلى الجنة والرضوان، إضافة إلى أنه نوع شكر للمنعم، فيلزم - بحكم العقل - إتباعه.

نعم الوجوب إنما هو فى الواجبات، الأعم من أن يكون الفعل واجباً أو تركه، أما إتباع القرآن فى مستحباته فهو من المستحب كما هو واضح.

هذا وفى زيارة الجامعة: ((بكم يسلك الى الرضوان)) (1) فانهم (عليهم السلام) عدل القرآن (2).

و(الرضوان) هو أعلى مراتب الرضى، والمراد به: رضى الله سبحانه، أو رضاهم (أى: الرضى النفسى) قال تعالى: ((يا أيها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية)). (3)

حرمة إتباع غير القرآن

مسألة: يحرم إتباع غير القرآن، أو تقديمه على القرآن، لأنه القائد الإلهى الوحيد الذى يضمن السعادة فى الدارين.

وإثبات الشىء وإن كان لا ينفى ما عداه بما هو هو، إلا أن القرائن المقامية وكذا السياق قد تفيد الحصر والنفى، كما فى هذه الجملة من كلامها، فالقرآن هو النور و ما عداه الظلمة، أما الرسول والعترة (صلوات الله عليهم أجمعين) فهم حملة القرآن ومفسروه كما ورد فى الأحاديث بمضامين شتى (4).

مسؤوليات القائد

مسألة: يجب أن يكون القائد بحيث يقود أتباعه إلى الرضوان وإلى السعادة، وفى الحديث

ص: 205

1- البلد الأمين: ص 302. وعيون أخبار الرضا (عليه السلام): ص 276 زيارة أخرى جامعة.

2- المناقب: ج 2 ص 234 فصل فى محبة الملائكة إياه.

3- الفجر: 27- 28.

4- راجع (بصائر الدرجات) الجزء الأول الباب 19 فى أن أئمة أهل البيت عليهم السلام هم أهل الذكر الذين أمر الله بسؤالهم، و(البصائر) الجزء الثانى الباب 8 فى أن الأئمة عليهم السلام اعطوا تفسير القرآن الكريم والتأويل.

عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (يا على سألت ربي فيك... أن يجعلك قائد أمتي الى الجنة فأعطاني) (1).

وعن علي (عليه السلام) قال: (وانا قائد المؤمنين الى الجنة) (2).

مؤد إلى النجاة استماعه

الاستماع للقرآن الكريم

مسألة: يستحب الاستماع إلى تلاوة القرآن الكريم، قال سبحانه: ((وإذا قرء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا)) (3)، وفي دعاء ختم القرآن عن الامام زين العابدين (عليه السلام): (جعلته نوراً نهتدى به من ظلم الضلالة والجهالة باتباعه، وشفاءً لمن أنصت بفهم التصديق الى استماعه) (4).

وفي الحديث عن الامام الصادق (عليه السلام): (يجب الانصات للقرآن في الصلاة وغيرها، واذا قرء عندك القرآن وجب عليك الانصات والاستماع) (5).

وإنما جاء تعالى بلفظين (6)، لإمكان أن يستمع الإنسان وهو يتكلم بلا إنصات (7).

ص: 206

1- الخصال: ص 314 ، سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ربه عز وجل في علي (عليه السلام) خمس خصال، ح 95.

2- الاختصاص: ص 248.

3- الأعراف: 204.

4- الإقبال: ص 268 الباب 35 فيما نذكره من عمل آخر يوم من شهر رمضان.

5- تفسير العياشي: ج 2 ص 44 ح 132 من سورة الأعراف.

6- في قوله سبحانه: (وإذا قرء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) الأعراف: 204. وفي تفسير (تقريب القرآن الى الأذهان): الانصات هو السكوت، ومن المعلوم ان الإنصات أخص من الاستماع، فان الإنسان ربما يستمع الى الكلام وهو يتكلم، ولذا نص عليه، فان الأدب ان يستمع الإنسان ولا يتكلم، وهذا الأمر للاستحباب ككثير من أوامر القرآن الكريم، كقوله: (وكتابوهم ان علمتم فيهم خيراً) كما دلت على ذلك الأحاديث. انتهى.

7- الإنصات هو: الاستماع مع سكوت أو توطين النفس على السماع مع السكوت، راجع التفاسير في تفسير الآية الشريفة، مثلاً: في تفسير مجمع البيان: (الإنصات: السكوت مع استماع، قال ابن الأعرابي: نصت وأنصت وانتصت: استمع الحديث وسكت)، وراجع أيضا مجمع البحرين مادة (نصت) وغير ذلك. وفي (لسان العرب) مادة (نصت): (الإنصات: هو السكوت والاستماع للحديث.. أنصت ينصت إنصاتا: اذا سكت سكوت المستمع).

ولذا ورد عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (العلم الإنصات، ثم الاستماع له، ثم الحفظ له، ثم العمل به، ثم نشره) (1).

أما وجوب الاستماع: فهو عند قراءة الإمام في الصلاة الجهرية حسب المسألة الفقهية المشهورة والتي ورد عليها الدليل، فتأمل.

و(استماعه): مصدر (استمع)، فإن أريد به المعنى المعهود من الاستماع، فقولها (عليها السلام): (مؤد إلى النجاة استماعه) بنحو المقتضى، إذ استماع الحق يسوق الإنسان نحو الالتزام به كثيراً ما.

ولكن قد يراد به المعنى الكنائى، وهو العمل، بأن يكون الاستماع كناية عن العمل، فمن عمل بالقرآن ينجو في الدنيا من المشاكل، وفي الآخرة من العذاب والعقاب، ويؤيد هذا المعنى موارد الاستعمال المتكثرة والآيات الشريفة. (2)

ص: 207

1- راجع الخصال: ص 278 ح 43 درجات العلم خمسة، وفيه: (عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهم السلام، قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: يا رسول الله ما العلم؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: الإنصات، قال: ثم مه؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: الاستماع له، قال: ثم مه؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: الحفظ له، قال: ثم مه؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: العمل به، قال: ثم مه؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: ثم نشره). ومنية المرید ص 147. وشبهه في مجموعة ورام ج 2 ص 17.

2- فمثلاً: فسرت (سماعون لهم) «التوبة: 47» أى: مطيعون، و(غير مسمع) «النساء: 46» أى: غير مجاب إلى ما تدعو إليه، و(فإنك لا تسمع الموتى) «الروم: 52» أى: لا تقدر أن توفق الكفار لقبول الحق، و(أعوذ بك من دعاء لا يسمع) أى: لا يستجاب ولا يعتد.. وهكذا، راجع (مجمع البيان) و(تقريب القرآن إلى الأذهان) وغيرهما من التفاسير. وفي الكلام العربى: (استمع إلى فلان) أى: أطعه. وفي (لسان العرب) مادة (سمع): (قوله تعالى: (ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا) أى ما تسمع الا من يؤمن بها، واراد بالاسماع ههنا: القبول والعمل بما يسمع، لأنه اذا لم يقبل ولم يعمل فهو بمنزلة من لم يسمع.. ومنه قولهم (سمع الله لمن حمده) أى أجاب حمده وتقبله، يقال: اسمع دعائى: أى أجب، لان غرض السائل الاجابة والقبول).

التزام بين الاستماع والقراءة

مسألة: إذا تراحم الاستماع للقرآن مع تلاوة الإنسان نفسه، فقد يكون المقدم هو الأول في الجملة، بأن يترك القراءة ويستمع، لما فيه من الاحترام الأكثر والتأثر الأكثر أيضاً، فتأمل.

وقد سبق ان ذلك المنافق (ابن الكوا) لما قرأ القرآن وأمير المؤمنين على (عليه السلام) في الصلاة، توقف الإمام (عليه السلام) عن القراءة حتى إذا انتهى عاد (عليه السلام) إلى القراءة، فلما قرأ ذلك المنافق القرآن مرة أخرى سكت الإمام (عليه السلام) ثم عاد إلى القراءة(1).

توجيه الآخرين نحو الاستماع

مسألة: يستحب تنبيه الآخرين على مطلوبة الاستماع إلى القرآن، خاصة إذا تلى في المجالس العامة كالفواتح وغيرها، هذا من الأمر المستحب، وقد قرر في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أن المعروف إذا كان مستحباً والمنكر إذا كان مكروهاً استحب الأمر بالأول والنهي عن الثاني(2)، وقد قالت (عليها السلام): (مؤد إلى النجاة استماعه).

هذا والاستماع بما هو هو ينقسم الى الأحكام الخمسة:

فالواجب: كالاستماع الى الحق في موارد وجوبه.

والمستحب: كالاستماع الى القرآن الكريم، وكقوله (عليه السلام): (من ترك الاستماع من ذوى العقول مات عقله) (3) فتأمل. وقال (عليه السلام): (عود أذنك حسن الاستماع) (4).

ص: 208

1- راجع تفسير القمى: ج2 ص160 سورة الروم. وبحار الأنوار: ج33 ص343 ب23 ح587 عن الصادق (عليه السلام): (كان على بن أبي طالب (عليه السلام) يصلى وابن الكوا خلفه وأمير المؤمنين (عليه السلام) يقرأ، فقال ابن الكوا: (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لأن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) فسكت أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى سكت ابن الكوا، ثم عاد فى قراءته، حتى فعل ابن الكوا ثلاث مرات، فلما كان فى الثالثة قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفك الذى لا يوقنون).

2- راجع موسوعة الفقه ج48 كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص173 المسألة2.

3- كنز الفوائد: ج1 ص199 فصل من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) فى العقل.

4- غرر الحكم ودرر الكلم: ص215 الفصل الأول، القول واللسان، ح4211.

والمكروه: كالاستماع الى اللغو غير المحرم منه، قال تعالى: ((والذين هم عن اللغو معرضون)) (1).

وقال سبحانه: ((واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه)) (2).

وقال علي (عليه السلام): (ولا تصغ الى ما لا يزيد في صلاحك استماعه فان ذلك يصدى القلوب ويوجب المذام) (3).

والحرام: كالاستماع للغناء والغيبة، فقد (نهى) صلى الله عليه وآله وسلم) عن الغيبة والاستماع اليها.. ونهى عن النسيئة والاستماع اليها(4).

والمباح: غير ذلك.

وهل هناك فرق بين السماع والاستماع حكماً؟ ذكرنا تفصيله في الفقه(5).

كراهة الانشغال عن الاستماع

مسألة: يكره التكلم وكذا الانشغال بسائر الأعمال عن الاستماع للقرآن عند قراءته، اللهم إلا لضرورة أو أمر أهم(6).

والكراهة إنما تستفاد بمعونة الخارج، وإلا فلا تلازم بين كراهة الفعل واستحباب الترك، أو العكس، كما ذكرنا في مبحث المستحبات والمكروهات، وإن قيل بين الواجب والحرام نحو هذا التلازم(7)، فإذا وجب شيء حرم تركه، وإذا حرم شيء وجب تركه، وهذا ليس بمعنى حكيم في موضوع واحد، وإنما

ص: 209

1- المؤمنون: 3.

2- القصص: 55.

3- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 215 الفصل الأول، القول واللسان، ضمن الحديث 4211.

4- مكارم الأخلاق: ص 424 الفصل الثاني في ذكر جمل من مناهي النبي صلى الله عليه وآله وسلم. والأما لي للشيخ الصدوق ص 424 المجلس 66 عنه صلى الله عليه وآله وسلم.

5- راجع موسوعة الفقه كتاب المكاسب المحرمة ج 1 ص 254.

6- ان صح التعبير.

7- العقلي، فدق.

الحكم واحد فعلاً، وجوباً أو تحريماً، والآخر منتزع منه أو ظل له.

التدبر في القرآن الحكيم

التدبر في القرآن الحكيم (1)

مسألة: يستحب التدبر في الآيات القرآنية، حين وإثر استماعها، بل مطلقاً، قال تعالى: ((افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب أقفالها)) (2).

وقال على (عليه السلام): (تدبروا آيات القرآن واعتبروا به فإنه ابلغ العبر) (3).

ولعل هذا من علل الحث على الاستماع - في الروايات - إذ بالتدبر في الكتاب ينال الإنسان العديد من حجج الله تعالى مما لا يكتشف في بادي النظر، وبالتدبر تنال مجموعة كبيرة من (عزائمه) وما لحقها مما ذكر في كلامها (عليها السلام) إلى قولها: (شرائعه المكتوبة).

ويتضح ذلك أكثر بملاحظة قضاء أمير المؤمنين (عليه السلام)، بل بملاحظة الموارد الكثيرة التي استند فيها المعصومون (عليهم السلام) إلى القرآن الكريم (4).

ص: 210

1- حول هذا المبحث وكثير من المباحث السابقة واللاحقة يراجع (الفقه: حول القرآن الحكيم) وكتب التفاسير للإمام المؤلف، وكتاب (خواطرى عن القرآن) لآية الله المعظم الشهيد السيد حسن الشيرازى (قده) وكتاب (كيف نفهم القرآن؟) و(التدبر فى القرآن) لآية الله السيد محمد رضا الشيرازى، وغير ذلك.

2- محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): 24.

3- غرر الحكم ودرر الحكم ص 111 ح 1985 الفصل الرابع فى القرآن.

4- مثلاً فى قصة قطع يد السارق حيث استند الإمام الجواد (عليه السلام) إلى قوله تعالى فى سورة الجن: 18 (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) «راجع مستدرک الوسائل: ج 4 ص 454 ب 4 ح 5143. وتفسير العياشى ج 1 ص 319 ح 109». وكذلك تحديد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أدنى مدة الحمل عبر الرجوع إلى آيتين من آيات القرآن، الآية الاولى هى: (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين) «البقرة: 233» والآية الثانية: (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) «الأحقاف: 15» حيث ان عمر امرءة ولدت لستة أشهر، فنبهه على (عليه السلام)، راجع الطرائف ص 516 فى وصف 6 على بن أبى طالب (عليه السلام) وعجيب آيات الله فيه. وكذلك إجابة الإمام الصادق (عليه السلام) لمن سأله وقال: عثرت فانقطع ظفري فجعلت على اصبعى مرارة فكيف أصنع بالوضوء؟ قال (عليه السلام): ؟ (يعرف هذا وأشباهه من كتاب الله قال عزوجل: (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) «المائدة: 6» امسح عليه) «راجع الكافي: ج 3 ص 33 ح 4، والتهذيب: ج 1 ص 363 ب 16 ح 27. والاستبصار: ج 1 ص 77 ب 46 ح 3. وبحار الأنوار ج 2 ص 277 ب 33 ح 32».

وهناك الكثير ممن الأحكام الفقهية التي استند الفقهاء في استكشافها إلى التدبر في القرآن الكريم، كما يظهر ذلك من مراجعة كتب الفقه وآيات الأحكام⁽¹⁾ كما أن هناك الكثير من البحوث الكلامية والأصولية بل والاجتماعية والاقتصادية⁽²⁾ وغيرها التي استنبطت من كتاب الله عبر التدبر والتأمل والتفكير.

هذا وقد ورد في روايات كثيرة الحوض على ذلك، فمنها:

قوله (عليه السلام) (آيات القرآن خزائن فكلما فتحت خزانة ينبغي لك أن تنظر ما فيها).⁽³⁾

بل ربما أمكن القول باستفادة رجحان التدبر واستحبابه من هذه الجملة من خطبتها: (مؤد إلى النجاة استماعه) فإن الأمر بالاستماع يفيد ذلك عرفاً، مع لحاظ الفرق بين السماع والاستماع ولحاظ المقدمة.

بل قد يقال: بكون التدبر أكمل أفراد الاستماع، فتأمل.

هذا بالإضافة إلى ما ورد من قوله سبحانه: ((أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها))⁽⁴⁾ فتكون هذه الآية وشبهها مؤيدة لهذه الاستفادة العرفية.

القراءة بصوت حسن مؤثر

مسألة: يستحب قراءة القرآن بأحسن الأصوات، وأشدّها تأثيراً، فإنها أدعى للاتعاظ

ص: 211

1- مثلاً- قوله تعالى: (أحل الله البيع) «البقرة: 275» وقوله سبحانه: (إلا- أن تكون تجارة عن تراض منكم) «النساء: 29» وغيرهما حيث تدبروا في (البيع) وغيره، راجع للتفاصيل (المكاسب) للشيخ الأنصاري (قدس سره) و(الفقه: البيع) للإمام المؤلف (دام ظله).

2- مثلاً: قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) «الأنبياء: 22» و(إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) «المائدة: 55» و(ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) «الأحزاب: 33» و(فلكم رؤوس أموالكم) «البقرة: 279» و(تلك الأيام نداؤها بين الناس) «آل عمران: 140» و(وحسبوا ألا تكون فتنة) «المائدة: 714» و(لا إكراه في الدين) «البقرة: 256».

3- الكافي: ج 2 ص 609 ح 2.

4- محمد: 24.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (حسنوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً) (1).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ان لكل شىء حلية وحلية القرآن الصوت

الحسن) (2).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ان حسن الصوت زينة القرآن) (3).

وهذا كالبحت الأنف أيضاً مما يستفاد من كلماتها (عليها السلام) عرفاً أو مقدمة، مؤيداً بما ورد من (قراءة القرآن بألحان العرب) (4) وما أشبه ذلك (5) من قراءتهم (عليهم الصلاة والسلام) القرآن بأصوات حسنة، فقد ورد:

(ان على بن الحسين (عليه السلام) كان أحسن الناس صوتاً وكان يرفع صوته حتى يسمعه اهل الدار) (6).

و: (ان على بن الحسين (عليه السلام) كان يقرأ قريباً من به المار فصعق من حسن صوته) (7).

و: (ان ابا جعفر (عليه السلام) كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وكان اذا قام فى الليل وقرأ رفع

ص: 212

1- عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ج2 ص69 باب فيما جاء عن الرضا (عليه السلام) من الأخبار المجموعة ح322.

2- جامع الأخبار ص49 الفصل الثالث والعشرون.

3- جامع الأخبار ص49 الفصل الثالث والعشرون.

4- راجع مستدرک الوسائل: ج4 ص272 ب20 ح4675، وفيه: عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (اقرأوا القرآن بألحان العرب).

وفي جامع الأخبار ص48 الفصل 23 عنه (ص): (اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون اهل الفسق والكبائر..).

5- ك- (اقرأ كما يقرأ الناس) « مستدرک الوسائل: ج4 ص226 ب56 ح4559 عن الصادق (عليه السلام) ». «.

6- وسائل الشيعة ج4 ص858 ب23 ح2.

7- وسائل الشيعة ج4 ص858 ب23 ح2.

صوته فيمر به مار الطريق من الساقين وغيرهم فيقومون فيستمعون الى قراءته (1).

و: (كان (عليه السلام) أحسن الناس صوتاً بالقرآن فكان اذا قرأ يحزن وبكى السامعون لتلاوته) (2).

ومنه يعرف أرجحية كل شيء، من زمان أو مكان أو خصوصيات، أوجب الاستماع الأكثر أو مهد الأرضية لذلك.

ص: 213

1- وسائل الشيعة ج4 ص859 ب24 ح2. ومستدرک الوسائل ج4 ص274 ب20 ح4685، عن الشيخ الطبرسى فى الاحتجاج.

2- المناقب ج4 ص218 فصل فى معالى أمورہ، (أى موسى بن جعفر (عليه السلام)).

استخراج الحجج من القرآن

مسألة: ينبغي استخراج الحجج من القرآن الحكيم وجعله محوراً للرد والاستدلال والحديث والحوار. قال علي (عليه السلام): (ان هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادى الذى لا يضل، والمحدث الذى لا يكذب) (1).

وقد ذكر العلماء: إنه يمكن استكشاف العديد من العلوم عبر القرآن الكريم، منها:

علم المحاجة، لأن القرآن بين حججاً قوية وكثيرة، يمكن أن نتعلم منها مناهج الاحتجاج، وهى ترشد إلى مصاديق فريدة له أيضاً، سواء حججه فى العقيدة أو فى الشريعة، فإن كل أصل أو فرع ذكر فى القرآن الكريم علل بحجة وعقب بدليل - عادة - مثل قوله تعالى: (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا). (2).

وقوله سبحانه: ((فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب)). (3).

وقال تعالى فى الصلاة: ((أقم الصلاة لذكرك)). (4).

وفى الحج: ((لكم فيها منافع)). (5).

وفى الصوم: ((لعلكم تتقون)). (6).

وفى الزكاة: ((تطهرهم وتركيبهم)) (7) إلى غيرها.

فغالب ما فى القرآن معلل ومستدل عليه بدليل عقلى فطرى، تصريحاً أو تلميحاً أو

ص: 214

1- غرر الحكم ودرر الكلم ص 111 ح 1973 الفصل الرابع فى القرآن.

2- الأنبياء: 22.

3- البقرة: 258.

4- طه: 14.

5- الحج: 33.

6- البقرة: 183.

7- التوبة: 103.

تلويحاً(1) ولوفى موضع آخر.

وعزائمه المفسرة

عزائم القرآن و فرائضه

مسألة: يجب اتخاذ القرآن المصدر الأول لنيل عزائم الله وفرائضه، كما يجب اتخاذ السنة النبوية (صلى الله عليه وآله وسلم) وكلمات المعصومين (عليهم السلام) مصدراً للتفسير والإيضاح. قال على (عليه السلام): (تمسك بحبل القرآن وانتصحه وحل حلاله وحرم حرامه واعمل بعزائمه وأحكامه) (2).

و(العزيمة) تتضمن معنى اللزوم، وتطلق على ما يلزم فعله أو يلزم تركه(3) ولذا يقال: هو عزيمة أو رخصة؟، وتفسرها بالأخص تفسير بالمصداق(4) نعم إذا ذكرت في مقابل المحارم أريد بها الواجبات فقط.

قولها (عليها السلام): (عزائم) جمع عزيمة، أى فرائضه، و(المفسرة) أى التى فسرّها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأوضح أنها عزائم وليست رخصة، لأن القرآن يحتوى على الواجب والمستحب والحرام والمكروه والمباح، فالعزائم تحتاج إلى التفسير وقد فسرّها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وآله الأطهار (عليهم السلام) بكلماتهم الوضاعة.

وقد يكون المراد من (عزائم المفسرة) المفسرة كنهياً، أى التى فسرّها الرسول وأوضح ماهيتها وحقيقتها، لأن القرآن الكريم يشير عادة إلى عناوين الواجبات لا إلى تفصيلها،

ص: 215

1- فمثلاً: (الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم) «(الفاتحة: 2 و3) فإن (رب العالمين... إلى آخره، يتضمن التعليق ل- (الحمد لله) فلماذا نحمد الله؟ لأنه (رب العالمين) ولأنه (الرحمن الرحيم) ولأنه (مالك يوم الدين)، أى: لأنه المبدأ لنا والمتفضل علينا، ويده مصيرنا ومآلنا.. وهكذا، راجع (الفقه: حول القرآن الحكيم) للإمام المؤلف و(كيف نفهم القرآن؟) لنجله الفاضل.

2- غرر الحكم ودرر الكلم ص 111 الفصل 4 ح 1978.

3- (العزيمة): الأمر المقطوع عليه بلا شبهة أو نسخ، والمراد بالأمر: الأعم من الفعل والترک وغيرهما كما لا يخفى «مجمع البحرين».

4- مثلاً تفسيرها ب-: (إرادة الفعل والقطع عليه).

فمثلاً قوله تعالى: ((أقم الصلاة))⁽¹⁾ فالصلاة عزيمة قرآنية أوضح الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن المراد منها: تكبير وركوع وسجود وتشهد... بالنحو الخاص، حيث قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (صلوا كما رأيتموني أصلي)⁽²⁾.

وفى هذه الجملة إشارة لطيفة إلى ضرورة شفع الكتاب الكريم بالسنة، إذ (به تنال... عزائمه)، ولكن أية عزيمة؟ وما هي؟

هي: (المفسرة) بأقوال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة الهداة (عليهم السلام).

ومحارمه المحذرة

ترك المحرمات

مسألة: يجب التقيد بترك ما ذكر في القرآن الكريم من المحرمات، كما يجب تحذير المجتمع من ارتكابها بمختلف أنواعها: القمار، شرب الخمر، الزنا، النزاع بالباطل، الغيبة وغير ذلك.

قال تعالى: ((إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان)).⁽³⁾

وقال سبحانه: ((ولا يغتب بعضكم بعضاً)).⁽⁴⁾

وقال تعالى: ((لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا)).⁽⁵⁾

وقال سبحانه: ((لا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)).⁽⁶⁾

وقال (عليه السلام): (الايمان لا يكمل الا بالكف عن المحارم)⁽⁷⁾.

ص: 216

1- العنكبوت: 45.

2- غوالى اللثالى ج 1 ص 197 الفصل التاسع ح 8. والغوالى ج 3 ص 85 باب الصلاة.

3- المائدة: 90.

4- الحجرات: 12.

5- طه: 131.

6- الأنفال: 46.

7- علل الشرايع ص 249 ح 5 باب علل الشرايع وأصول الإسلام.

وقال (عليه السلام): (يا عباد الله اتقوا المحرمات كلها) (1).

وقال (عليه السلام): (من اشفق من النار اجتنب المحرمات) (2).

ولا يخفى أن هناك فرقاً بين جملة (أشياءه) وبين جملتي (به تنال عزائمه... ومحارمه) لأن الأشياء هم الأتباع في الأعم من العزائم والمحارم وغيرهما، إذ القرآن مشتمل على القصص والتاريخ والعقائد وقضايا أخرى، فليس خاصاً بالعزائم والمحارم، وكون الأشياء مفيداً للعموم لا ينافي ذكر الخصوص، لأهمية الخصوص، وعلى الاصطلاح: هذا من ذكر الخاص بعد العام.

التخصص في آيات الأحكام

مسألة: يستحب أن تتخصص ثلة في تفسير عزائمه وأحكامه وفي استكشاف المصاديق، كما يجب على الجميع بنحو الوجوب الكفائي: تفسير عزائمه وأحكامه، والاستحباب والوجوب يختلفان حسب اختلاف ما يفسر ويذكر، واستحباب التخصص ووجوبه تابع لكونه مقدمة لنيل العزائم والأحكام الأخرى، قال تعالى: ((فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون)) (3).

الرجوع إلى المفسرين

مسألة: حيث أن غالب الناس ليس بمقدورهم عادة الوصول إلى عزائم الكتاب وفرائضه وما أشبهه، لذلك كان من الواجب أن يبحثوا عن من يفسر لهم عزائم الكتاب وأن يرجعوا إليه، ف- (نيلها) أعم من كونه بالمباشرة أو بالواسطة، والمفسرون الحقيقيون هم أهل البيت (عليهم أفضل الصلاة والسلام)، فقد ورد بأنهم (عليهم السلام) أعطوا تفسير القرآن الكريم وتأويله (4).

قال تعالى: ((وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم)) (5).

ص: 217

1- تفسير الامام الحسن العسكري (عليه السلام) ص 585 ح 350.

2- غرر الحكم ودرر الكلم ص 146 ح 2643 الفصل الثاني في الآخرة.

3- التوبة: 122.

4- راجع (بصائر الدرجات) ص 194 ب 7 باب في أن الائمة عليهم السلام أعطوا تفسير القرآن الكريم والتأويل.

5- آل عمران: 7.

وقال (عليه السلام) : (نحن نعلمه) (1)، والا فالتفسير بالرأى من أشد المحرمات، قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من فسر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب) (2).

وقال (عليه السلام) : (ليس شيء أبعد من قلوب الرجال من تفسير القرآن) (3).

وعنه (عليه السلام) : (من فسر برأيه آية من كتاب الله فقد كفر) (4).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار) (5).

التحذير من المحرمات

مسألة: يستفاد كثيراً ما - حسب القرائن المقامية ومناسبة الحكم والموضوع - من الوصف بشيء مطلوبيته، والمقام من صغريات ذلك، فيستحب التحذير بعد بيان المحرمات، لا مجرد ذكرها فقط، بل يجب ذلك في مورد يوجب التحذير الاجتناب، ولذا قال سبحانه: ((لعلهم يحذرون)) (6).

وقال تعالى: ((فليحذر الذين يخالفون عن أمره)) (7).

والمراد: الأعم من المحرم فعله أو المحرم تركه، فإن الله سبحانه أمر عباده تخييراً ونهاهم تحذيراً وكلف يسيراً ولم يكلف عسيراً، كما ورد في الحديث (8).

قولها (عليها السلام): (المحذرة) أى: التى تحذر الإنسان عن ارتكابها مما يوجب شر الدنيا والآخرة.

ص: 218

1- بصائر الدرجات ص 196 ب 7 ح 7 باب أنهم عليهم السلام يعلمون تفسير القرآن والتأويل.

2- كمال الدين ص 256 - 257 ح 1 باب ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى النص على القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

3- المحاسن ص 268 ح 356 باب انزال الله فى القرآن تبياناً لكل شيء.

4- تفسير العياشى ج 1 ص 18 ح 6 فيمن فسر القرآن برأيه.

5- غوالى اللئالى ج 4 ص 104 ح 154.

6- التوبة: 122.

7- النور: 63.

8- غرر الحكم ودرر الكلم ص 176 ح 3369 الفصل الثالث أهمية الفرائض وبعض فلسفتها. وراجع (الغوالى) ج 4 ص 108 ح 163 الجملة الثانية فى الأحاديث المتعلقة بالعلم وأهله وحامله.

وبيئاته الجلية(1) وبراهينه الكافية(2)

الاعتماد على الأدلة الجلية

مسألة: فى التحاور ينبغى الاستعانة ب- (البيئات الجلية) و (البراهين الكافية) - كما فى القرآن الحكيم - فإن غير الجلى وغير الوافى من الأدلة قد يشعر الطرف بالعجز أو النقص، وقد يزيده تشكيكاً، ولا يكفى كونه برهاناً فى مرحلة الثبوت، بل يجب أن يكون كافياً فى مرحلة الإثبات أيضاً.

وكل ذلك فى المورد المستحب مستحب، وقد يكون واجباً كما ذكرنا مثل ذلك فى كثير من الجمل السابقة.

قال تعالى: ((واذا تتلى عليهم آياتنا بينات)) (3).

وقال سبحانه: ((فيه آيات بينات)) (4).

وقال عز وجل: ((ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات)) (5).

كما ورد بالنسبة اليه (صلى الله عليه وآله وسلم): (والذى بعثه بالآيات المحكمة والبراهين الواضحة) (6).

و(البيئات) أى الأدلة، ولعل الفرق بين (البرهان) و(البينة): إن البرهان هو الدليل، والدليل قد يكون بيناً وقد لا يكون بيناً، فهو فى نفسه برهان وفى صفته بين، وإن عرفه

ص: 219

1- وفى بعض النسخ: (وبيئاته الجالية) راجع الاحتجاج ص 97، احتجاج فاطمة الزهراء عليها السلام. وفى بعضها: (وتبيانه الجالية) راجع بلاغات النساء ص 28 كلام فاطمة الزهراء عليها السلام.

2- وفى بعض النسخ: (وجمله الكافية) راجع بلاغات النساء ص 28 كلام فاطمة الزهراء عليها السلام.

3- الأحقاف: 7. والجائية: 25. وسبأ: 43.

4- آل عمران: 97.

5- الإسراء: 101.

6- الأمالى للشيخ الصدوق ص 619 ح 4 المجلس 90. وعلل الشرايع ص 404 باب علة وجوب الحج والطواف بالبيت.. ح 4.

البعض بأنه: الحجة الفاصلة بينة. (1)

و(الجلية) أى: التي تجلو الحق، وهي الواضحة، وهي قيد توضيحي لا احترازي، وكذلك (الكافية).

و(براهينه): أدلته (الكافية) فليس فيها نقص أو عجز عن إثبات المراد، والبرهان هو الحجة على الشئ، فقد يكون واضحاً، فيسمى (بينة)، وقد يكون غامضاً، فتأمل.

وفضائله المندوبة

الدعوة إلى الفضائل

مسألة: يستحب - وربما وجب - النذب إلى فضائل الكتاب. (2)

والمراد بها: الأعم من الواجبات والمستحبات (المندوبة) إليها والمدعوة إليها، فإن القرآن يدعو الناس إلى الإتيان بالفضائل.

ولعل المراد ب- (الفضائل): المستحبات فقط، بقريئة ذكر الواجبات قبل ذلك في قولها: (عزائمه) وبقريئة ما يأتي من الرخص.

ولعل عدم ذكر المكروه، لأن تركه فضيلة أيضاً (3)، وإن قال الفقهاء: لا تلازم بين كون الفعل مكروهاً والترک مستحباً، وكذا بين استحباب الفعل وكراهة الترك، فقد ذكرت (عليها السلام) الواجبات: (عزائمه)، والمحرمات: (محرّمه)، والمستحبات وترك المكروهات: (فضائله)، والمباحات: (رخصه)، وربما أدرجت المكروهات في حيث رخص الله في فعلها على ما فيها من الكراهة.

ورخصه الموهوبة

التعرف على المباحات

ص: 220

1- لسان العرب مادة (برهن)، وأما القاموس المحيط فقد ذكر: (البرهان) - بالضم - : الحجة.

2- فإن الاطلاقات الدالة على ذلك كثيرة، وفي قولها عليها السلام (المندوبة) دلالة على ذلك بلحاظ أدلة التأسى وغيرها.

3- وربما يكون الوجه: التفريق بين الفضيلة والاستحباب، فتأمل.

مسألة: ينبغي أن يتعلم الإنسان ما رخص فيه الله، ويدل على ذلك - مطلقاً أو في الجملة - أو يؤيده:

ذكرها في الكتاب و السنة، لوضوح إن الذكر لأجل المعرفة والعمل، قال تعالى: ((إلا تذكرة لمن يخشى)).(1)

وقولها (عليها السلام): (به تنال... رخصه الموهوبة) مما يفيد رجحان نيلها، ولربما توقف تجنب الحرام على ذلك، وربما منع ذلك من إدخال ما ليس من الدين فيه، ولما في ذلك من التسبب لشكر المنعم جل وعلا، وقد أشارت (عليها السلام) إليه بـ(الموهوبة).

و(رخصه الموهوبة) أى: التى وهبها الله سبحانه، فلم يلزم بها لا وجوباً ولا تحريماً، ومن الممكن أن يراد بالرخص: الأعم من المباحات والمكروهات، لأن المكروه أيضاً رخصة، كما أشرنا إلى ذلك، قال على (عليه السلام): (يا كميل لا رخصة فى فرض ولا شدة فى نافلة)(2).

ص: 221

1- طه: 3.

2- تحف العقول 4ص 174، وصيته (عليه السلام) لكميل بن زياد.

شمولية القانون

مسألة: يلزم أن يكون القانون شاملاً، متضمناً للمندوبات والمكروهات والمباحات أيضاً، لا أن يقتصر على الواجبات والمحرمات فحسب، وقد أشارت (عليها السلام) في الجمل السابقة إلى شمولية القرآن الكريم من هذا الحيث أيضاً.

فإن القانون الكامل هو الذى يشتمل على هذه الأحكام الخمسة، لوضوح أن الفعل، يأمر به مع المنع من النقيض أو بدون منع منه مع الرجحان، وكذلك الترك فى القسمين، وهناك مباح لا يرجح فعله ولا تركه.

وبعبارة أخرى: المصلحة أو المفسدة قد تكون فى الفعل، وقد تكون فى الترك، وكل منهما قد تكون المصلحة فيه بحد الإلزام أو الرجحان فقط، فهذه أربعة أقسام، والخامس ما لا مصلحة أو مفسدة فيه، وهنا بحوث أصولية وحكمية تراجع فى مظانها، وبذلك يظهر النقص فى الدساتير التى لا تتطرق إلا للواجبات والمحرمات فقط. (1)

وشرايعه المكتوبة

القرآن والأحكام الشرعية

مسألة: يجب استنباط الأحكام الشرعية من القرآن.

ولا يخفى أن الاستنباط قد يكون بالدلالة المطابقية، أو التضمنية، أو الالتزامية، أو دلالة الإقتضاء، مثل الجمع بين آيتى: ((والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين)) (2)، وقوله تعالى: ((وحمله وفصاله ثلاثون شهراً)) (3) حيث يعرف بجمعها أن أقل الحمل ستة أشهر (4).

ص: 222

1- راجع (الفقه: القانون) للإمام المؤلف، دام ظله.

2- البقرة: 233.

3- الأحقاف: 15.

4- راجع تفسير القمى ج 2 ص 160 سورة الروم.

وقد يكون دلالة عرفية، خارجة من الدلالات المذكورة، كما ألمعنا إلى بعض ذلك فى المباحث السابقة.

وجوب التقيد بشرائع الله

مسألة: يجب الالتزام بشرائع الله تعالى، أما العدول عنها إلى الشرائع الوضعية فمن المحرمات المؤكدة.

قال تعالى: ((ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)) (1).

قال سبحانه: ((ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون)) (2).

قال عز وجل: ((ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون)) (3).

فما يرى فى هذا اليوم من كثرة القوانين الوضعية المخالفة للشرع المبين فهو من اشد المحرمات كقوانين الجمارك ..

و(الشرائع) جمع شريعة، وهى: السنة والطريقة، و(شرائعه المكتوبة) أى التى كتبها الله على عباده وألزمهم بالسير على حذوها.

وقد يكون المراد بها هنا(4) الإرث والقضاء والحدود وما أشبهه، أو يكون المراد منها: الأعم الشامل لكل الأحكام الوضعية، كالبيع والرهن والإجارة والنكاح والطلاق وغيرها، من حيث الشرائط والموانع والصحة و...

ولقد تحدثت (صلوات الله وسلامه عليها) - حتى الآن - عن البارى جل وعلا وصفاته ونعمائه والخلقة والهدف منها، ثم تحدثت عن النبى الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وحكمة بعثته وعظيم فضله وهدايته، وألفتهم إلى ثقل مسؤوليتهم، وتحدثت عن القرآن الحكيم ومكانته ومحوريته ومواصفاته.

ص: 223

1- المائدة: 44.

2- المائدة: 45.

3- المائدة: 47.

4- يبدو أن التقييد ب- (هنا) لإفادة أن الشريعة لغة وعرفاً تطلق على الأعم، أى: على ما سنه الله وشرعه، ف- (الشريعة) هى الدين، المنهاج، السنة... والتخصيص بما ذكر فى المتن بملاحظة سياق كلامها عليها السلام وما سبقه من الجمل.

ثم انتقلت إلى هذا المقطع الذى بين بإيجاز مذهل واف: فلسفة جملة من أحكام العقيدة والشريعة، ومنها الإمامة كما سيجىء، فقالت (عليها السلام): (فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك).

فجعل(1) الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك

تطهير الباطن

تطهير الباطن(2)

مسألة: يستحب تطهير الباطن عن النوايا الخبيثة، كما يستحب تطهيره عن الملكات الرذيلة، وربما وجب ذلك - عقلاً، أو شرعاً أيضاً - من باب المقدمة.

كما يجب تطهيره عن العقائد المنحرفة، فإن القلب يتنجس كما يتنجس البدن، ونجاسة الباطن على أنواع، فهناك نجاسة العقائد الفاسدة، و نجاسة الملكات الرذيلة، ونجاسة النوايا الخبيثة..

والبدن إذا تنجس بالقذارات الظاهرية كان تطهيره بالماء وشبهه(3) كما ان بعض القذارات يكون تطهيرها وتنظيفها من الميكروبات بالمعقمات المادية.

أما القلب والباطن فتطهيره يتم بشكل آخر، فلو غسل من يحمل فى قلبه الحقد أو الحسد بكل مياه الدنيا لم يطهر، بل اللازم استعمال مطهر خاص، من نمط معين، لكل واحد من نجاسات الباطن، - ولذا كان: (مرض القلب أعضل وعلاجه أعسر ودواؤه اعز وأطبأؤه أقل) (4).

ص:224

1- وفى بعض النسخ: (فترض) راجع كشف الغمة ج1 ص480. ودلائل الامامة ص31 حديث فدك. وبلاغات النساء ص28 كلام فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

2- حول هذا المبحث راجع (الفضيلة الإسلامية) و(الفقه: الآداب والسنن) للإمام المؤلف.

3- كطهارة باطن القدم بالأرض وكالتطهير بالشمس والأحجار وما أشبهه، راجع موسوعة الفقه ج5 ص419-443 وج6 ص7-407 كتاب الطهارة مبحث المطهرات.

4- مجموعة ورام ج1 ص24.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (يكون الايمان تطهيراً عن الشرك)(1).

وقال على (عليه السلام) : (فرض الله سبحانه الإيـمان تطهيراً من الشرك)(2).

فالإيمان تطهير عن رجس الشرك والكفر بالله تعالى وإنكار المبدأ والمعاد والرسالة والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والخلافة والخليفة (عليه السلام) وما إلى ذلك من العقائد.

ولذا قال سبحانه: ((فاجتنبوا الرجس من الأوثان))(3).

وقال تعالى: ((إنهم رجس))(4).

وقال سبحانه: ((إنما المشركون نجس))(5) - بناءً على إرادة نجاسة المشرك المعنوية، لا النجاسة البدنية -.

كما أن تطهير القلب من الملكات الرذيلة إنما يتم بتنقيتها وتحليتها بالملكات الحسنة، وهذا مما يستدعي غالباً طول عناء.

أما تطهير القلب عن النوايا الخبيثة فبمجاهدة النفس لإخراج تلك النوايا عنه، ولذا قال (صلى الله عليه وآله وسلم): ((فاسألوا الله ربكم بنيات صادقة وقلوب طاهرة))(6) وفي القرآن الحكيم: ((إلا من أتى الله بقلب سليم))(7).

ثم إن القلب المتنجس يفرز آثاره السيئة، من الأضرار الإنسان نفسه، بالإضافة إلى الإضرار بغيره غالباً، وقد ورد عن على (عليه السلام) :

ص:225

1- جامع الأخبار ص123 الفصل الثمانون.

2- غرر الحكم ودرر الكلم ص89 ح1502 الفصل السادس فى الإيمان.

3- الصح: 30.

4- التوبة: 95.

5- التوبة: 28.

6- الأمالى للشيخ الصدوق ص93 المجلس 20 ح4. وعيون أخبار الرضا (عليه السلام) ص295 ح53. وفضائل الأشهر الثلاثة ص77

ح61 كتاب فضل شهر رمضان. وبحار الأنوار: ج93 ص356 ب46 ح25.

7- الشعراء: 89.

لله در الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله(1)

وقال:

اصبر على حسد الحسود فإن صبرك قاتله

فالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله(2)

فالحسود - مثلاً - يضر بنفسه، كما يلحق الأذى بالمحسود غالباً، نفسياً أو فكراً أو مادياً. والبخيل يضيق على نفسه ويفقد مكانته واحترامه، كما يمنع العطاء عن الغير.

والجبان يفقد كثيراً من فرص التقدم، كما يسبب الهزيمة للآخرين، الى غير ذلك.

وفي الآخرة قال سبحانه: ((نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة)) (3)

ولا يخفى إن الإنسان يحاسب حتى على نياته - في الدنيا - إذا اطلع عليها غيره، ولذا من يعرف أن فلاناً يريد سرقة لا يصاحبه، أو يريد الفجور بنسائه فإنه يتجنبه، بل للنوايا السيئة أثرها الوضعي وإن لم يطلع عليها أحد، كما أشرنا إليه سابقاً.

و(في الآخرة) أيضاً، قال سبحانه: ((إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير)). (4)

والتنزه عن النوايا الخبيثة والملكات الرذيلة قد يجب وقد يستحب، فمثلاً: يستحب التنزه عن الحسد الذي لا يظهر على الجوارح، ويجب التنزه عن الحسد المظهر أو ما كان منه مقدمة للحرام(5)، فتأمل.

ص: 226

1- ارشاد القلوب ص 129 الباب الأربعون في ذم الحسد، وفي شرح النهج ج 1 ص 316 فصل في ذم الحاسد والحسد. وشبهه في بحار الأنوار: ج 70 ص 241 ب 131 ح 1.

2- بحار الأنوار: ج 70 ص 261 ب 131 ح 32 (بيان).

3- الهمزة: 6 و7.

4- البقرة: 284.

5- راجع موسوعة الفقه ج 93 كتاب المحرمات ص 103، وفيه: (الظاهر ان الحسد اذا لم يظهره الانسان بيد ولا لسان لم يكن حراماً، وانما رذيلة نفسية، ينبغي التخلص منها، ولذا قال سبحانه: (ومن شر حاسد اذا حسد) «الفلق: 5» اما ما في صحيح مسلم قال ابو جعفر (عليه السلام): (ان الرجل ليأتي بأدنى بادرة فيكفر، وان الحسد ليأكل الايمان كما تأكل النار الحطب) «الوسائل ج 11 ص 292 ب 55 من أبواب جهاد النفس ح 1» وفي صحيح معاوية بن وهب قال: قال ابو عبد الله (عليه السلام): (آفة الدين الحسد والعجب والفخر) «الوسائل ج 11 ص 292 ب 55 من أبواب جهاد النفس ح 5» فالظاهر منهما ومن غيرهما الحسد الذي يظهر لا الحسد الذي لا يظهر، وانما هي صفة نفسية، ويؤيده ما في رواية الرفع من ان الحسد مرفوع ما لم يظهر بيد ولا لسان «الوسائل ج 11 ص 295 ب 56 من أبواب جهاد النفس ح 3»

وقد ذكر الفقهاء وعلماء الأخلاق الحسد في كتاب الشهادات وفي باب من كتب الاخلاق، والتفصيل مرجوع اليهما).

وكذلك البخل غير الظاهر فإن التنزه عنه فضيلة، أما البخل العملى الذى يؤدي إلى منع الحقوق المالية، كالخمس والزكاة وأداء الدين والقيام بشؤون النفقة الواجبة وشبه ذلك فإنه حرام(1)، وهكذا الأمر بالنسبة إلى كثير من الصفات المذكورة فى علم الأخلاق.

علل الأحكام

مسألة: يستحب تطرق حملة راية التبليغ والإرشاد والهداية - سواء كانوا كتاباً أو خطباءً أو مدرسين أو غير ذلك، بل كل من يأتي منه ذلك - لبيان فلسفة

الأحكام والقوانين الإلهية، الواردة فى الكتاب والسنة، تأسيساً بها (صلوات الله وسلامه عليها) حيث أشارت إلى العلة فى جملة مما أوجبه البارى جل وعلا، أو ندب إليه، من أصول الدين وفروعه وغيرهما، بل يجب ذلك أحياناً.

فإن القرآن والمعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين) ذكروا وجه الحكمة أو العلة والفلسفة للكثير من المباحث والأحكام الإلهية، فى الأصول والفروع والأخلاقيات والثواب والعقاب وغير ذلك، كما يظهر ذلك لمن تدبر القرآن الحكيم وكلمات الأئمة الطاهرين

ص: 227

1- راجع موسوعة الفقه ج 93 كتاب المحرمات ص 42، وفيه: (يحرم البخل فى الجملة، وهو ما كان عن حق واجب، اما البخل عن المستحب فهو رذيلة وليس بحرام، قال سبحانه: (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم، بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) «آل عمران: 180» وقد فسرت الآية فى جملة من الروايات بمنع الزكاة، وفى صحيحة محمد بن مسلم قال: سألت ابا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل: (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) فقال: (يا ابا محمد، ما من أحد يمنع زكاة ماله شيئاً الا جعل الله ذلك يوم القيامة ثعباناً من النار مطوقاً فى عنقه ينهش من لحمه حتى يفرغ من الحساب، قال: وهو قول الله عز وجل (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) يعنى ما بخلوا من الزكاة «تفسير العياشى ج 1 ص 207 ح 158».

وهذا يدل - بالإضافة إلى الكثير من الأدلة الأخرى المذكورة في مظانها(2) على أن الأحكام الشرعية والأصول والأخلاق إنما هي عقلية قبل أن تكون شرعية.

نعم لا شك في أن جملة من الجزئيات داخلة في الكلى العام، ولا يعلم اندراجها في الخصوصية، مثلاً: قراءة القرآن واجبة في الصلاة، لكن هذا الكلى ينطبق على الحمد والسورة، سواء في القيام أم الركوع أم السجود، والشارع رجح بعضها على بعض وقيد بعضها ببعض المصاديق، أما من جهة خصوصية في ذلك، بينها الشارع ولم تصل إلينا، أو لم يبينها وسيبينها الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) نظراً لاكتمال العقول عندئذ(3)، أو لا - مطلقاً، أو من جهة أن العام يكتفى بفرد، إذ وجود الطبيعي يتحقق بتحقيق أحد أفرادها، ولم يخير الشارع المكلف بأن يقرأ في القيام أو في الركوع أو في أى موضع شاء، رعاية للتنسيق العام، أو لجهة أخرى، فالجمع بين أمور عديدة أوجب هذا الجزئي الخاص، إلى غير ذلك.

الإيمان بالله

مسألة: يجب الإيمان بالله عز وجل وجوباً فطرياً وعقلياً، ويحرم الشرك به.(4)

ويستفاد الوجوب من قولها: ((فجعل...)) على التقدير الثانى بوضوح.

والمراد بجعل (الإيمان) حيث قالت (صلوات الله عليها): (فجعل الإيمان):

إما جعل التكويني، لأنه أمر مجعول لله سبحانه وتعالى، إذ هو من مخلوقاته حيث إنه ليس عدماً ولا قديماً(5) ومن الواضح عدم التنافى بين المجعولية وبين الاختيار.

ص: 228

- 1- راجع مثلاً كتاب (علل الشرائع) للصدوق قدس سره و (موسوعة الفقه) ج94-97 كتاب (الأدب والسنن) للإمام المؤلف، وقد تطرق العلامة المجلسي قدس سره (في البحار) للكثير من ذلك في كل موضوع مناسب.
- 2- يستند استدلال المؤلف إلى البرهان الإني، كما لا يخفى.
- 3- فعن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: (إذا قام قائمنا عليه السلام وضع يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم وكملت بها أحلامهم). «كمال الدين ص 675 ح 31 باب في نوادر الكتاب».
- 4- راجع (القول السديد في شرح التجريد) ص 274 المقصد الثالث الصانع تعالى، و(شرح المنظومة) للإمام المؤلف.
- 5- فيكون معنى (جعل الله الإيمان) أى أوجده، أما معنى (جعل التشريعى فهو: الأمر به).

وإما جعل التشريعي، ويؤيده السياق، أى أنه شرع على الناس أن يؤمنوا به عزوجل ولا يكفروا به، وإنه حرم الشرك، وهذا الأمر والنهي إرشاد الى حكم العقل، قال (عليه السلام): (ان الله هو العدل وانما بعث الرسل ليدعوا الناس الى الايمان بالله ولا يدعوا احدا الى الكفر) (1).

هداية المشركين

مسألة: إذا كانت الغاية تطهير البشرية من الشرك، لقولها (عليها السلام): (فجعل...تطهيراً لكم) وقوله تعالى: ((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)) (2) كان من الواجب السعى لتحقيق هذه الغاية، أى السعى لهداية المشركين كلاً أو بعضاً، هداية كاملة، كما وكيفاً، حسب المقدور والميسور، (فإن الميسور لا يسقط بالمعسور) (3) و (ما لا يدرك كله لا يترك كله) (4).

والمراد بالمشركين: الأعم من الكافر الذى لا يعتقد بالله إطلاقاً، ومن المشرك الذى يجعل له سبحانه شريكاً، بقرينة المقام.

الطهارة من نجاسة الشرك

مسألة: إذا آمن المشرك، طهر من نجاسة الشرك، كما قالت (عليها السلام): (تطهيراً).

فإن الكافر نجس نفساً، أو جسماً أيضاً - على القولين (5) - فإذا آمن طهر جسمه وطهرت نفسه، لأن من المطهرات الإسلام، كما ذكره الفقهاء فى كتاب الطهارة (6).

ص: 229

1- علل الشرايع ص 121 ح 5 باب علة اثبات الانبياء والرسل وعلة اختلاف دلائلهم.

2- الذاريات: 56.

3- قاعدة فقهية، راجع (موسوعة الفقه) كتاب القواعد الفقهية للإمام المؤلف. وفى البحار: ج 105 ص 168 (بيان). وفى غوالى اللئالى ج 4 ص 58 ح 205: وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: (لا يترك الميسور بالمعسور).

4- قاعدة فقهية، راجع (موسوعة الفقه) كتاب القواعد الفقهية للإمام المؤلف. وفى البحار: ج 105 ص 168 (بيان). وفى غوالى اللئالى ج 4 ص 58 ح 207 عنه (عليه السلام).

5- ذهب الإمام المصنف إلى طهارة الكتابى جسماً، راجع (موسوعة الفقه ج 4 ص 182-204 كتاب الطهارة) و(المسائل الإسلامية) الطبعة الجديدة، مبحث النجاسات.

6- راجع موسوعة الفقه ج 6 ص 283-335) كتاب الطهارة) مبحث المطهرات: الثامن.

مسألة: يلزم إبلاغ الناس أن الإيمان طهارة، والشرك رجس، على عكس ما منى به بعض المسلمين من ضعف في النفس يحول بينهم وبين بيان كثير من الأحكام الشرعية، فإن الأحكام الإسلامية يجب إبلاغها للناس، كما أبلغت (عليها الصلاة والسلام) وفي ذلك تنفير من الشرك وتحبيب للإيمان، ففي مورد الوجوب يجب، وفي مورد الاستحباب يستحب، كما سبقت الإشارة إلى ذلك. نعم يجب أن يكون بيان الأحكام مقروناً (بالحكمة والموعظة الحسنة)⁽¹⁾ مشفوعاً بالأدلة والشواهد والمقربات، ولربما اقتضت الحكمة التدريجية أيضاً، فيما إذا كانت التدريجية الطريق نحو الإقناع وشبهه، لا من باب الجبن والخوف، كما قال تعالى: ((الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله))⁽²⁾.

التقدم الرتبى للإيمان

مسألة: الإيمان بالله مقدم في الرتبة على الصلاة والأحكام الفرعية الأخرى، قال تعالى: ((إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك))⁽³⁾ ولهذا ينبغى العمل - أولاً - على زرع الإيمان بالله في قلوب الناس وبذل الجهد في هذا السبيل.

وترى هذا المعنى واضحاً في خطبة الزهراء (عليها السلام) حيث قدمت (صلوات الله عليها) هذا البند على البنود الآتية، وقد ذكرنا أن الواو قد تدل على الترتيب إذا لم تكن قرينة على الخلاف، فتأمل.

والظاهر أن المراد بالإيمان: هو الإيمان بأصول الدين كلها: التوحيد والنبوة والمعاد، إذ كل من لم يؤمن بأحد هذه الأصول يكون نجساً نفساً أو جسماً أيضاً، فمن لم يؤمن بالله يكون كافراً، وكذا من لم يعتقد بالنبوة أو بالمعاد، اما من لا يعتقد بالولاية فلا يقبل منه الإيمان، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (على أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين وإمام المسلمين، لا يقبل الله الإيمان الا بولايته وطاعته)⁽⁴⁾.

ص: 230

1- النحل: 125.

2- الأحزاب: 39.

3- النساء: 48.

4- الأمل للشيخ الصدوق ص 11 المجلس الثالث ح 6.

الكفر بالشرك

مسألة: الكفر بالشرك في الحكم، على ما يستفاد من كلامها (عليها السلام) أيضاً، بقرينة الموضوع والحكم، فإنه قد يتصرف في الموضوع بسبب الحكم، وقد يتصرف في الحكم بسبب الموضوع، كما حقق في علم الأصول. (1)

حكم المتردد والشاك

مسألة: المتردد والشاك (2) نجس أيضاً - على أحد المعنيين أو كليهما - لا المنكر فحسب، كما دل عليه العقل والنقل، فقد قالت (عليها السلام): (جعل الله الإيمان تطهيراً) والشاك كالمنكر ليس بمؤمن، كما يشهد به اللغة والعرف، وأن الإيمان صفة ثبوتية وجودية وكلا المذكورين فاقد لها، فتأمل.

وقد قال (عليه الصلاة والسلام): (لا ترتابوا فتشكوا ولا تشكوا فتكفروا). (3)

وفي القرآن الحكيم: ((فهم في ريبهم يترددون)) (4).

إلى غير ذلك مما دل على هذا المبحث، كما لا يخفى على من راجع الكتب الكلامية والأحاديث المتواترة الواردة في هذا الباب. (5)

قال على (عليه السلام): (شر القلوب الشاك في إيمانه). (6)

وقال (عليه السلام): (أهلك شيء الشك والارتياب). (7)

ص: 231

1- فهنا (الإيمان) وهو أعم من طارد (الكفر والشرك) يكون قرينة على أن متعلق (تطهيراً) أعم من الشرك أيضاً.

2- في الإيمان بالله تعالى.

3- الكافي: ج 1 ص 45 ح 6. والأمالى للشيخ الصدوق ص 206 المجلس 23 ح 38. وتحف العقول ص 149 خطبته (عليه السلام) المعروفة بالديباج. ومشكاة الانوار ص 139 الفصل الثامن في العلم. ومنية المريد ص 147 فصل في مكاييد الشيطان.

4- التوبة: 45.

5- راجع موسوعة الفقه كتاب الطهارة ج 3 ص 523 من الطبعة الأولى ط قم.

6- غرر الحكم ودرر الكلم ص 67 ح 912 الفصل الثالث عشر في القلب.

7- غرر الحكم ودرر الكلم ص 71 ح 1039 الفصل الخامس عشر في الشك.

وقال (عليه السلام) : (الشك يفسد اليقين ويبطل الدين) (1).

وقال (عليه السلام) : (الشك يحبط الإيمان) (2).

وقال (عليه السلام) : (الشك كفر) (3).

وقال (عليه السلام) : (ما آمن بالله من سكن قلبه الشك) (4).

والصلاة تنزيهاً لكم

رجحان الصلاة

مسألة: الصلاة بمعناها الاصطلاحى (5) واجبة، وبمعناها الأعم (6) راجحة مطلقاً.

فإن الصلاة عطف وميل وتوجه نحو الله سبحانه و تعالى، وهى بين واجبة وبين مستحبة، أما حرمة الصلاة فى بعض الأحيان مثل صلاة الجنب والحائض (7) وما أشبهه، فلمقارن لها أوجب مرجوحيتها إلى حد المنع من النقيض، وأما كراهة الصلاة، كالصلاة فى الحمام (8) وصلاة المسافر إذا اقتدى بإمام ليس بمسافر أو بالعكس (9)، فالمقصود أقل ثواباً كما هو المقرر فى محله.

تنزيه النفس

ص: 232

- 1- غرر الحكم ودرر الكلم ص 71 ح 1046 الفصل الخامس عشر فى الشك.
- 2- غرر الحكم ودرر الكلم ص 72 ح 1051 الفصل الخامس عشر فى الشك.
- 3- غرر الحكم ودرر الكلم ص 72 ح 1058 الفصل الخامس عشر فى الشك.
- 4- غرر الحكم ودرر الكلم ص 87 ح 1464 الفصل السادس فى الإيمان.
- 5- وهو: الصلاة المفروضة ذات الأركان الخاصة.
- 6- وهو الدعاء وطلب نزول الرحمة الإلهية. وفى (لسان العرب) مادة (صلا): (الصلاة: الدعاء والاستغفار.. والصلاة من الله الرحمة).
- 7- راجع موسوعة الفقه ج 10 و 11، كتاب الطهارة، فى أحكام الجنب والحائض.
- 8- راجع (المسائل الاسلامية) ص 271 المسألة: 905، الموضوع التى تكره الصلاة فيها.
- 9- راجع (المسائل الاسلامية) ص 366 المسألة: 1496، المكروهات فى صلاة الجماعة.

مسألة: ينبغي تنزيه النفس من الرذائل، وبعض مراتبها واجب كما لا يخفى، قال تعالى: ((ونفس وما سواها* فآلها فاجورها وتقواها* قد أفلح من زكاها* وقد خاب من دساها)) (1).

من التكبر (2)

التكبر

التكبر (3)

مسألة: تعليلها (عليها السلام) إقراره وجعله جل وعلا للصلاة بكونها منزهة عن الكبر يفيد مرجوحية الكبر أو حرمة، وللحرمة درجات كالتكبر على الله جل وعلا وعلى رسله وانبيائه وأوليائه وعلى سائر الناس (4). وقد فصلنا ذلك في الفقه (5).

ص: 233

1- الشمس: 7-10.

2- وفي بعض النسخ: (عن الكبر) راجع دلائل الامامة ص 31 حديث فذك.

3- راجع (الفضيلة الإسلامية) و(الفقه: الآداب والسنن) و(الأخلاق الإسلامية) للإمام المؤلف دام ظله.

4- وربما يكون بعض مراتبه مكروها، اما هل يكون بعض مصاديقه مستحبا، كما قيل: (التكبر على المتكبر عبادة)، وقال بعضهم: (من التواضع التكبر على الاغنياء)؟ «مجموعة ورام ج 2 ص 243».

5- راجع موسوعة الفقه ج 93 كتاب المحرمات ص 321، وفيه: (يحرم الكبر مطلقاً سواء كان على الله وآياته أو على رسله أو على الأئمة الطاهرين أو على العلماء الراشدين الذين هم أماناؤهم أو على المؤمن، قال سبحانه: (من أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) «الانعام: 93» إلى غيرها من الآيات. وفي موثقة العلاء عن الصادق (عليه السلام) قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): (العز رداء الله والكبر إزاره فمن تناول شيئاً منه أكبه الله في جهنم) «الوسائل ج 11 ص 298 ب 58 من أبواب جهاد النفس ح 2»، إلى غيرها من الروايات المتواترة في هذا الباب. بل حرمة التكبر من البديهيات، ومن أقسام الكبر الاستكبار عن الدعاء فقد قال الباقر (عليه السلام) في صحيح زرارة: (إن الله عز وجل يقول: (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) «غافر: 60» قال: هو الدعاء) «تفسير البرهان ج 4 ص 101 ح 1» إلى غيرها من الروايات.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (اياكم والكبر.. فان ابليس حملة الكبر على ترك السجود لآدم) (1).

وقال (عليه السلام): (ان المتكبر ملعون.. وإياكم والكبر فانه رداء الله عزوجل فمن نازعه رداءه قصمه الله) (2).

وقال (عليه السلام): (هلاک الناس فی ثلاث: الكبر والحرص والحسد) (3).

وقال (عليه السلام): (لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من الكبر) (4).

وإنما يكون الكبر في الله سبحانه وتعالى من صفات الجمال كما قال تعالى: ((هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمم العزيز الجبار المتكبر)) (5) لأن الله سبحانه وتعالى هو الكبير المتعال ويقول مطلق، أما غيره فهو صغير فقير للغاية، بل قد يكون إطلاق الصغير والفقير عليه مسامحياً، إذ هو عين الفقر وصراف الربط والتعلق، فليس له من ذاته أى شىء على الإطلاق، ولا حق له فى أن يتكبر، مهما كان له مال أو ولد أو حكومة أو عشيرة أو علم أو ما أشبه ذلك، هذا بالإضافة إلى أن التكبر فى الإنسان يجره إلى سيئات أخرى، والله سبحانه منزّه عن كل سيئة.

قولها (عليها السلام): (والصلاة تنزيهاً لكم من الكبر): حيث أن غفلة الإنسان عن الله سبحانه بنفسها تكبر، والغافل عنه - جهلاً أو تجاهلاً - متكبر، حقيقة أو لباً (6)، والتكبر أساس للكثير من الرذائل، ولذا يظلم ويطغى ويفسد، قال على (عليه السلام): (التكبر يظهر الرذيلة) (7).

ص: 234

1- ارشاد القلوب ص 129 الباب الأربعون فى ذم الحسد.

2- دعائم الاسلام ج 2 ص 352.

3- كشف الغمة ج 1 ص 571.

4- غوالى اللئالى ج 1 ص 359 ح 33 عن الباقر (عليه السلام).

5- الحشر: 23.

6- اللف والنشر مشوش، فالمتجاهل غافل حقيقة، والجاهل لباً أى أنه غافل عملياً.

7- غرر الحكم ودرر الكلم ص 310 ح 7151 الفصل السادس الخيلاء والغرور.

وقال (عليه السلام) : (التكبر رأس الجهل) (1).

وقال (عليه السلام) : (احذر الكبر فإنه رأس الطغيان ومعصية الرحمان) (2).

وقال (عليه السلام) : (الكبر داع الى التخمم فى الذنوب) (3).

وقد قال سبحانه: ((فى قلوبهم مرض)) (4).

وقال تعالى: ((فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية)) (5) حيث أن الكبر إذا صار ملكة فى الإنسان فإنه يؤدى إلى المفسد والموبقات.

كما إن الإنسان المتواضع حيث صار التواضع ملكة له يتقدم، فإن التواضع من أسس التقدم ومن أهم أسباب التحلى بالفضائل والمحاسن.

وفى الحديث الشريف عن موسى بن جعفر (عليه السلام) فى وصيته لهشام: (يا هشام إن الزرع ينبت فى السهل ولا ينبت فى الصفا، فكذلك الحكمة تعمر فى المتواضع ولا تعمر فى المتكبر الجبار). (6)

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (التواضع لا يزيد العبد الا رفعة) (7).

وقال (عليه السلام) : (التواضع رأس العقل) (8).

وقال (عليه السلام) : (التواضع يرفع) (9).

وقال الشاعر:

تواضع تكن كالنجم لاح لعارض على صفحات الماء وهو رفيع

ولا تك كالدخان يعلو بنفسه إلى طبقات الجو وهو وضع

ص: 235

1- غرر الحكم ودرر الكلم ص 248 ح 5137 الفصل الثانى موجبات عزة النفس.

2- غرر الحكم ودرر الكلم ص 309 ح 7122 الفصل السادس الخيلاء والغرور.

3- غرر الحكم ودرر الكلم ص 310 ح 7152 الفصل السادس الخيلاء والغرور.

4- البقرة: 10.

5- الفتح: 26.

6- بحار الأنوار: ج 75 ص 312 ب 25 ح 1.

7- مجموعة ورام ج 1 ص 126.

8- غرر الحكم ودرر الكلم ص 248 ح 5137 الفصل الثانى موجبات عزة النفس.

9- غرر الحكم ودرر الكلم ص 249 ح 5158 الفصل الثانى موجبات عزة النفس.

والصلاة تذكير دائم بالله ((رب العالمين)) (1) العالم بدخائل الإنسان، المطلع سمعاً وبصراً وعلماً عليه، ثم إنه سبحانه ((مالك يوم الدين)) (2) وفي الصلاة أرقى صور التلقين والإيحاء النفسى، ولذا يتحول الإنسان المصلى من التكبر إلى التواضع، وتكرر الصلاة كل يوم خمس مرات كى يستمر هذا الإيحاء.

بالإضافة إلى أن فيها الركوع وهو خضوع للرب العظيم، والسجود وهو غاية الخضوع للرب الأعلى، إلى غير ذلك من فلسفة الصلاة التى ذكرنا بعضها فى كتاب (عبادات الإسلام) (3).

هذا وفى الحديث: (انما الكبر من تكبر عن ولايتنا وأنكر معرفتنا) (4).

والزكاة تزكية للنفس

الزكاة راجحة مطلقاً

مسألة: الزكاة راجحة مطلقاً، وقد تكون واجبة كما فى الأمور التسعة المذكورة فى الفقه (5)، والزكاة المستحبة كما فى التجارات. (6)

وفى الحديث عن ابى الحسن (عليه السلام) قال: (انما وضعت الزكاة قوتاً للفقراء وتوفيراً لأموال الأغنياء) (7).

وعن الامام الرضا (عليه السلام) : (ان علة الزكاة من اجل قوت الفقراء وتحسين أموال الأغنياء)

ص: 236

1- الفاتحة: 2.

2- الفاتحة: 4

3- يتحدث الامام المؤلف (دام ظله) فى هذا الكتاب عن فروع الدين وفلسفتها وبعض أحكامها.

4- مستدرک الوسائل ج 12 ص 35 ب 60 ح 13444.

5- وهى: الحنطة والشعير والتمر والزبيب، والذهب والفضة، والإبل والبقر والغنم.

6- راجع موسوعة الفقه ج 29-32 كتاب الزكاة.

7- علل الشرايع ص 368 ح 1 ب 90 باب علة الزكاة.

وقال (عليه السلام) : (انما وضعت الزكاة اختباراً للأغنياء) (2).

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (اذا منعوا الزكاة منعت الارض بركاتها) (3).

وقال علي (عليه السلام) في وصيته: (الله الله في الزكاة ، فإنها تطفىء غضب ربكم) (4).

وهناك روايات كثيرة في ثواب إخراج الزكاة (5) وعقاب مانع الزكاة (6).

وقد يكون الزكاة المذكورة في القرآن الحكيم وكلمات المعصومين (عليهم السلام) - في ذى القرينة - يراد بها مطلق إعطاء المال الأعم من الخمس، فلا- يقال: لماذا لم تذكر الخمس؟ وقد ورد في الأحاديث: (إن الخمس عوض من الزكاة) (7) فالزكاة لغير السادة والخمس للسادة على تفصيل مذكور في الفقه، وقد ألمعنا إلى وجه هذا الفرق في كتاب (الفقه الاقتصاد) (8) و(الفقه الزكاة) (9).

تزكية النفس

مسألة: لتزكية النفس مراتب بعضها واجب وبعضها مستحب، والتزكية ههنا واجبة في الجملة، إذ لولا لزوم تزكية النفس لم تكن الزكاة واجبة، فتأمل.

وقد عللت (عليها السلام) جعله سبحانه للزكاة بكونها تزكية للنفس، حيث أن الإنسان

ص: 237

- 1- علل الشرايع ص 369 ح 3 ب 90 باب علة الزكاة.
- 2- غوالي اللئالي ج ص 370 ح 74.
- 3- علل الشرايع ص 584 ح 26 باب نواذر العلل.
- 4- ثواب الأعمال ص 46 باب ثواب اخراج الزكاة ووضعتها في موضعها.
- 5- راجع ثواب الأعمال ص 46 باب ثواب اخراج الزكاة ووضعتها في موضعها.
- 6- راجع ثواب الاعمال ص 234 باب ثواب عقاب مانع الزكاة.
- 7- راجع التهذيب: ج 4 ص 1296 ب 1 ح 5 وفيه : (الذين لا تحل لهم الصدقة والزكاة عوضهم الله مكان ذلك بالخمس).
- 8- راجع موسوعة الفقه ج 108 كتاب الاقتصاد ص 65.
- 9- راجع موسوعة الفقه ج 31 كتاب الزكاة ص 248.

المزكى تتطهر نفسه عن درن البخل والشح وعن حب الدنيا أو شدته، قال سبحانه: ((ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)) (1).

فإن الحسنات بعضها أخذ بعنق بعض، وقد جعل الله تعالى لكل عمل صالح أثراً وضعياً وتكوينياً وأخروياً مجانساً له، وإذا صارت الزكاة والعطاء ملكة للإنسان ترققت النفس، ولأن القلب، والقلب اللين مبعث الخيرات ومنبع البركات، ولذا ذم الله سبحانه وتعالى اليهود بقوله: ((ثم قست قلوبكم)) (2).

وفي الحديث: (وما قست القلوب الا لكثرة الذنوب) (3).

وقال (عليه السلام): (ان للمنافق اربع علامات: قساوة القلب، وجمود العين، والاصرار على الذنب، والحرص على الدنيا) (4).

وقال (عليه السلام): (ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلب) (5).

ص: 238

1- الحشر: 9.

2- البقرة: 74.

3- علل الشرايع ص 81 باب علة جفاف الدموع.

4- الاختصاص: ص 111.

5- الإرشاد ص 183 ب 51. وتحف العقول ص 296.

إنماء الرزق

مسألة: إنماء الرزق والتوسع فيه مستحب عمومًا، وقد يجب أحيانًا كما لا يخفى.

وقد ورد فى الدعاء: (وعظم ووسع رزقى ورزق عيالى) (1).

و: (ووسع رزقى وادره على) (2).

و: (ووسع رزقى ابدأ ما أبقيتني) (3).

و: (ووسع على فى رزقى) (4).

وقد علل كثير من المستحبات وبعض الواجبات بزيادة الرزق، كما ورد عن امير المؤمنين (عليه السلام): (الا انبئكم بعد ذلك بما يزيد فى الرزق.. فقال (عليه السلام): الجمع بين الصلاتين يزيد فى الرزق.. والتعقيب بعد الغداة والعصر يزيد فى الرزق.. وصلة الرحم تزيد فى الرزق.. وكسح الفنا يزيد فى الرزق.. ومواساة الاخ فى الله عزوجل يزيد فى الرزق.. والبكور فى طلب الرزق يزيد فى الرزق.. والاستغفار يزيد فى الرزق.. وقول الحق يزيد فى الرزق.. واجابة المؤذن يزيد فى الرزق.. وترك الكلام فى الخلاء يزيد فى الرزق.. وترك الحرص يزيد فى الرزق.. وشكر المنعم يزيد فى الرزق.. واجتناب اليمين الكاذبة يزيد فى الرزق.. والوضوء على الطعام يزيد فى الرزق.. وأكل ما يسقط من الخوان يزيد فى الرزق.. (5). وأما كونها (6) (نماء فى الرزق) فهو بجهة غيبية، حيث أن الله سبحانه ينمى رزق المزكى، كما سبق عنه (عليه السلام): (انما وضعت الزكاة.. توفيراً لأموال الأغنياء) (7). بالإضافة إلى السبب الظاهر، حيث أن العطاء يوجب تقارب الأغنياء والفقراء، وتآلفهم وتحاببهم وتعاونهم، والتعاون أساس كل فضيلة ومفتاح كل

ص: 239

1- الإقبال: ص 422.

2- مهج الدعوات: ص 133 دعاء اليماني برواية أخرى.

3- جمال الأسبوع: ص 312 الفصل الحادى والثلاثون.

4- مصباح الكفعمى: ص 286. ومن ذلك دعاء آخر لأويس القرنى.

5- الخصال ص 504 ح 2، ست عشرة خصلة تورث الفقر وسبع عشرة خصلة تزيد فى الرزق.

6- أى الزكاة.

7- علل الشرايع ص 368 ح 1 ب 90 باب علة الزكاة.

تقدم، هذا إضافة إلى أنها توجب تقوية القدرة الشرائية في الفقراء مما لا يخفى أثرها الإقتصادي، قال سبحانه: ((خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)).(1)

فالزكاة تطهير نفسى كما سبق، وتنمية فى المال والمجتمع(2) على عكس الربا حيث ((يمحق الله الربا ويربى الصدقات)) (3) ومن فلسفة ذلك أن الربا يوجب الحقد والتنازع والطغيان(4).

الاهتمام بالأموال الدنيوية

الاهتمام بالأموال الدنيوية(5)

مسألة: يستحب الاهتمام بالأموال الدنيوية عموماً، ومن مصاديقه إنماء الرزق، إلى جوار الاهتمام بالشؤون الأخروية.

والاستحباب إنما هو فى المقدار المستحب وإلا فالقدر الواجب واجب، وقد قال (عليه الصلاة والسلام): (ليس منا من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه). (6)

وقال (عليه السلام): (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً). (7)

وفى الحديث: (اجعلوا لأنفسكم حظاً من الدنيا) (8).

وقبل ذلك قال القرآن الحكيم: ((ربنا آتانا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)).(9)

ص: 240

1- التوبة: 103.

2- الزكاة إما مصدر (زكى إذا نمت، لأنها تستجلب البركة فى المال وتنميه، وإما مصدر (زكا) إذا طهر، لأنها تطهر المال من الخبث، والنفس البخيلة من البخل، راجع (مجمع البحرين) مادة (زكا).

3- البقرة: 276.

4- راجع كتاب (الاقتصاد بين المشاكل والحلول) و(الفقه: الاقتصاد) للإمام المؤلف (دام ظله).

5- راجع موسوعة الفقه كتاب (البيع) وكتاب (الاقتصاد).

6- من لا يحضره الفقيه: ج 3 ص 156 ب 2 ح 3568. وفى تحف العقول ص 410 عنه (عليه السلام): (ليس منا من ترك دنياه لدينه ودينه لدنياه). ومثله فى فقه الرضا (عليه السلام) ص 337 باب حق النفوس.

7- وسائل الشيعة: ج 12 ص 49 ب 28 ح 2 عن العالم (عليه السلام). ومجموعة ورام ج 2 ص 393. وفى كفاية الاثر ص 227 عن الامام الحسن المجتبى (عليه السلام)، باب ما جاء عن الحسن (عليه السلام) ..

8- تحف العقول ص 410.

9- البقرة: 201.

مسألة: يستحب الإنفاق مطلقاً، فإن جامع الملاك الموجود في الزكاة على قسميه جار في مطلق الإنفاق، هذا إن لم نقل بإرادة المعنى اللغوي منها، إضافة إلى الآيات والروايات الدالة على فضيلة الإنفاق مطلقاً.

قال تعالى: ((يا ايها الذين آمنوا انفقوا من ما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون)) (1).

وقال سبحانه: ((يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم)) (2).

وقال عز وجل: ((وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله)) (3).

وقال جل ثناؤه: ((وأنفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي أحدكم الموت، فيقول رب لولا- أخرتني الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين)) (4).

وقال (عليه السلام): (ان من أخلاق المؤمن الانفاق على قدر الاقتار) (5).

نعم إذا عارضته جهة منفرة إلى حد المنع من التقيض يكون محرماً، أو لا إلى ذلك فيكون مكروهاً.

والصيام تثبيتاً للإخلاص

الصيام وفلسفته

مسألة: يستفاد من قولها: (جعل...) ومن السياق وجوب الصوم، فتكون اللام للعهد، المقصود به المصدق الخاص، وأما على كونها للجنس، يكون قولها دالاً على رجحانه عموماً، فإن من الصيام ما هو واجب ومنه ما هو مستحب، أما الصوم المحرم كيوم العيدين، أو

ص: 241

1- البقرة: 254.

2- البقرة: 267.

3- الحديد: 10.

4- المنافقون: 10.

5- تحف العقول ص 282.

المكروه كصوم يوم عاشوراء، فلعارض، وقد ذكرنا وجه ذلك في الفقه.(1)

قولها: (والصيام تشبيهاً للإخلاص) فإن الإخلاص الذي في الصوم عميق جداً، إذ أن الإنسان يستطيع عادة أن يتظاهر بالصوم ويرتكب المفطرات سرّاً، فالإخلاص يثبت ويتقوى بالصيام حيث يروض الإنسان نفسه بالامتناع عن المفطرات مع شدة الشوق إليها .

ولعل هذا هو سر قوله سبحانه في الحديث القدسي: (الصوم لى وأنا اجزى عليه)(2).

أى جزاؤه على الله سبحانه(3) أو أن الله هو جزاؤه(4) كناية عن أنه سبحانه يحكم للصائم فى الآخرة فيما يشاء، إذ مع امتناع الحقيقة فإن أقرب المجازات يكون هو المتعين.

هذا بالإضافة إلى سائر فوائد الصيام مما ذكر فى القرآن الحكيم أو فى السنة المطهرة، أو ثبت طبيّاً واجتماعياً وغير ذلك.

قال تعالى: ((يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)) (5).

وقال (عليه السلام) : (فرض الله.. الصيام ابتلاء لاختلاص الخلق) (6).

الإخلاص فى العبادة وغيرها

مسألة: يجب الإخلاص فى العبادات، ويرجح فى غيرها، فإن الإخلاص فى الواجبات التعبدية واجب تكليفاً، وشرط للصحة وضعاً، وفى المستحبات التعبدية شرط للصحة، حيث إذا لم يكن إخلاص، لم تكن عبادة.

أما الإخلاص فى سائر الأمور فهو من المرجحات، ويمكن أن يقوم الإنسان بكل عمل - كالواجبات التوصيلية والمباحات - بقصد القربة الخالصة له سبحانه وتعالى.(7)

ص:242

1- راجع موسوعة الفقه ج37 كتاب الصوم ص63-116.

2- وسائل الشيعة: ج7 ص290 ب1 ح7.

3- إذا قرأت هكذا: (أجزى) أى: على المبنى للمعلوم.

4- إذا قرأت هكذا: (أجزى) أى: على المبنى للمعلوم.

5- البقرة: 183.

6- غرر الحكم ودرر الكلم ص176 ح3376 الفصل الثالث اهمية الفرائض وبعض فلسفتها.

7- راجع كتب الأخلاق، كجامع السعادات.

والإخلاص لله تعالى - إضافة لآثاره الأخروية - من أكبر عوامل التقدم والنهوض بالأمة واستنقاذها من واقعها المر، فإن المخلص يضحى بوقته وصحته وماله ونفسه لخدمة الإسلام والمسلمين، أما غير المخلص فتراه يضحى بمصالح الدين والأمة لأجل أن يعيش حياة مرفهة...

وورد في زيارتهم (عليهم السلام): (السلام على الامام التقي المخلص الصفي) (1).

وعنه (عليه السلام) : (واما علامة المخلص فأربعة: يسلم قلبه وتسلم جوارحه وبذل خيره وكف شره) (2).

وعنه (عليه السلام) : (سادة أهل الجنة المخلصون) (3).

والحج تشييداً للدين (4)

فريضة الحج والأهداف الربانية

مسألة: الحج منه واجب ومنه مستحب، وقد تطرأ الحرمة على الحج لسبب خارجي كحج الزوجة بدون إذن الزوج حجاً مستحباً، وكذلك حج العبد (5)، وما أشبه ذلك. (6)

وفي الحديث عن جعفر بن محمد (عليه السلام) قال: (بنى الاسلام على خمس دعائم: على الصلاة والزكاة والصوم والحج وولاية أمير المؤمنين والائمة من بعده (عليهم السلام) (7).

ص: 243

1- الاقبال: ص 610 في زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام).

2- تحف العقول ص 21 ومن حكمه وكلامه صلى الله عليه وآله وسلم.

3- غرر الحكم ودرر الكلم ص 197 ح 3904 الفصل السابع في الاخلاص.

4- وفي بعض النسخ: (والحج تسنية للدين) راجع علل الشرايع ص 248 ح 2 ب 182 باب علل الشرايع واصول الاسلام.

5- أى بدون إذن مولاه.

6- راجع (موسوعة الفقه ج 37-46 كتاب الحج (و) جامع مناسك الحج (و) مناسك الحج) للإمام المؤلف (دام ظله).

7- الأمالى للشيخ الصدوق ص 268 ح 14 المجلس 45.

وقد جعل الله الحج تشييداً للدين كما ذكرته (صلوات الله عليها) حيث أنه - بالإضافة إلى جوانبه العبادية والإقتصادية وغيرهما - يعد مؤتمراً عاماً لكل المسلمين، حيث يجتمعون ويتعارفون، ويعالج بعضهم مشاكل بعض، وتذوب بينهم الفوارق الإقليمية واللونية واللغوية وغيرها(1). فإن الحج يوجب إيجاد أرضية أو تقوية حالة: (الشورى)، قال تعالى: ((وأمرهم شورى بينهم)).(2)

و(الحرية)، قال سبحانه: ((يضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم)).(3)

و(الأمة الواحدة)، قال تعالى: ((إن هذه أمتكم أمة واحدة)).(4)

و(الأخوة)، قال سبحانه: ((إنما المؤمنون إخوة)).(5)

وشرائع الإسلام، قال تعالى: ((شرعة ومنهاجاً)).(6)

ولهذا فالجدير بالمسلمين أن يعيدوا إلى الحج فوائده المتوقعة، كما قال سبحانه: ((ليشهدوا منافع لهم)) (7) وذلك عبر رفع المنع عن كل من يريد الحج، بل إلغاء أى روتين يعرقل ذلك وأن تكون مكة المكرمة والمدينة المنورة - على الأقل - محل أمن ومعقل حرية لإقامة كل الشعائر الإسلامية، ومركزاً للتلاقى والاختلاط بين كافة المسلمين(8). ومع الأسف فإنه اليوم أضحى إلى حد كبير حيث جرد من كثير منافعها وغاياتها، خلافاً لما قاله القرآن الحكيم، فإذا رجع الحج إلى واقعه الإسلامى كان العامل الأساسى فى تقدم المسلمين إلى الأمام(9)

ص: 244

1- راجع مقدمة كتاب (الحاج فى مكة والمدينة) للإمام المؤلف.

2- الشورى: 38.

3- الأعراف: 157.

4- المؤمنون: 52، والأنبياء: 92.

5- الحجرات: 10.

6- المائدة: 48.

7- الحج: 28.

8- راجع كتاب (ليحج خمسون مليوناً كل عام).

9- حول هذه النقاط راجع للمؤلف) لكى يستوعب الحج عشرة ملايين (و)الحج بين الأمس واليوم والغد(و)مؤتمرات الإنقاذ(و)موسوعة الفقه ج38-46 كتاب الحج(و)ليحج خمسون مليوناً كل عام).

مسألة: يجب تشيد الدين(1) وتقويته، كما قال تعالى: ((أن أقيموا الدين)) (2) في الواجبات، ويستحب في المستحبات، إذ أن استحكامه في فرائضه بالواجبات وفي مندوباته بإتيان المستحبات، لأن مثل الدين كبناء يحتاج إلى المواد الأساسية للبناء، بالإضافة إلى التجميلية، فهو أيضاً بين واجب ومستحب.

هذا بالإضافة إلى ما للمستحبات من دور كبير في السوق نحو مزيد الالتزام بالواجبات، فهي مشيدة للدين ذاتاً وتسيباً.

والحج من المقومات الأساسية للدين، وبه يستحكم الدين ويتعالى ويتسامى كما لا يخفى، والمستحب منه أيضاً من بواعث تشيد الدين كما سبق.

قال علي (عليه السلام): (فرض الله.. الحج تقوية للدين) (3).

وقال (عليه السلام): (خير الأعمال ما أصلح الدين) (4).

ص: 245

1- تشيد البناء: إحكامه ورفعته (لسان العرب، مادة شيد).

2- الشورى: 13.

3- غرر الحكم ودرر الكلم ص 176 ح 3376 الفصل الثالث أهيمه الفرائض وبعض فلسفتها.

4- غرر الحكم ودرر الكلم ص 156 ح 2934 الفصل الرابع في العمل.

أنواع العدل والظلم

أنواع العدل والظلم(2)

مسألة: يجب العدل في موارد، كما هو مستحب في موارد مثل: تقسيم اللحظة والنظرة والبسمة والسلام والتكلم مع الجلساء، وتقسيم ما عدا الحقوق المقررة تقسيماً مستحباً بين الأولاد أو الزوجات أو ما أشبه، إلى غير ذلك من النظائر، كما يدل عليه جملة من الروايات، وكما حققه علماء الأخلاق والكلام والفقهاء.

وقد ورد في عهده (عليه السلام) الى محمد بن أبي بكر حين قلده مصر: (وأس بينهم في اللحظة والنظرة) (3).

وفي الحديث: (العدل أحلى من الشهد وألين من الزبد وأطيب ريحاً من المسك) (4).

ومن البين أن العدل غير المساواة، وأن النسبة بينهما العموم من وجه، وكما يجب العدل يحرم الظلم، وهو يشتمل: ظلم النفس - روحاً وجسماً - وظلم العائلة، وظلم المجتمع، وظلم الحكومة(5) وظلم الحيوان والنبات والطبيعة، وظلم الأجيال القادمة أيضاً، والظلم الاقتصادي والاجتماعي وغيرها.

قال تعالى: ((وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)).(6)

ص: 246

1- وفي بعض النسخ: (والعدل تسكيناً للقلوب) راجع علل الشرايع ص 248 ح 2 ب 182 باب علل الشرايع وأصول الأحكام. وفي بعضها: (والحق تسكيناً للقلوب وتمكيناً للدين) راجع دلائل الإمامة ص 33 حديث فذك. وفي بعضها (والعدل تنسكاً للقلوب) راجع بلاغات النساء ص 28 كلام فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

2- راجع كتاب (العدل أساس الملك) للإمام المؤلف (دام ظله).

3- راجع تحف العقول ص 176. وشرح النهج ج 15 ص 163، ومن عهد له عليه السلام الى محمد بن أبي بكر حين قلده مصر.

4- الاختصاص: ص 262.

5- قد يكون هذا من الإضافة للفاعل، وقد يكون من الإضافة للمفعول، أي: ظلم الحكومة للناس أو ظلم الناس للحكومة.

6- النحل: 118.

وقال سبحانه: ((ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق)) (1).

وقال تعالى: ((يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم)) (2).

وقال سبحانه: ((وأتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها)) (3).

وقال تعالى: ((والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا)) (4).

وقال سبحانه: ((فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون)) (5).

وقال تعالى: ((يأكلون أموال اليتامى ظلماً...)) (6).

وبكلمة جامعة: فإن (من يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) (7) ولكل من تلك الأنواع مباحث مفصلة في مظانها (8).

قولها (عليها السلام): (تنسيقاً للقلوب)، فإن من أهم ثمار العدل تنظيم قلوب الناس، حيث يرى الناس أن الحاكم يساوى بين الناس ولا يقدم بعضاً على بعض، عبثاً واعتباطاً، ولذلك فهم يتعاطفون مع الحاكم ويلتفون حوله، كما تتوثق به أواصر العلاقة بينهم أنفسهم، وبعضهم مع بعض، والمجتمع الذى تسود فيه روح التعاطف والتحاب، وتتصافى فيه القلوب يكون مجتمعاً مستقراً متكاتفاً متقدماً إلى الأمام.

من مصاديق العدل ومظاهره

مسألة: قد جعل الإسلام العدل من قواعده الأساسية، قال سبحانه: ((إن الله يأمر

ص: 247

1- العنكبوت: 68.

2- لقمان: 13.

3- الإسراء: 59.

4- النحل: 41.

5- البقرة: 279.

6- النساء: 10.

7- البقرة: 229.

8- راجع للإمام المؤلف (الفقه: الاجتماع) و(الفقه: الحقوق) و(الفقه: الدولة الإسلامية) و(الفقه: المحرمات) وغيرها.

بالعدل والإحسان)) (1).

وقال تعالى: ((وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)) (2).

وقال علي (عليه السلام): (العدل أقوى اساس) (3).

وقال (عليه السلام): (العدل زينة الامارة) (4).

ولذا لم يكن في الإسلام حدود جغرافية، ولا تمايز بالألوان واللغات والعشائر وما أشبهه، بل ((إن أكرمكم عند الله أتقاكم)) (5).

ولهذا السبب التف الناس حول الإسلام أيما التفاف، بعد أن رأوا العدالة في مختلف شؤون:

العبادية..

والاقتصادية: كالإرث والضرائب الأربعة فقط وحق حيازة المباحات والتجارة الحرة..

والسياسية: فلكل من جمع الشرائط أن يكون والياً مثلاً، من أية لغة أو قومية أو ما أشبهه، وكذلك (يسعى بدمتهم أذناهم) (6) وغير ذلك..

والجزائية... وغيرها.

فكل الناس في ذلك (شرع سواء) (7) إلا فيما خرج بالدليل كبعض الأمور النابعة من مقتضى واقع الحال والعدل، مثل (تعدد الزوجات) وأن ((للذكر مثل حظ الأنثيين)) (8) وما أشبهه، حيث أن هذا الاختلاف - على ما بين في الشرع - هو مقتضى العدالة، والمساواة في أمثال هذه الموارد هو على خلاف العدالة، وذلك كالمساواة بين البقال والمهندس، أو الجاهل والعالم، في الاحترام وفي العطاء، أو بين الطفل الصغير وأخيه الأكبر في كمية الأكل، أو ما

ص: 248

1- النحل: 90

2- النساء: 58.

3- غرر الحكم ودرر الكلم ص 446 ح 10203 الفصل الخامس في العدالة.

4- اعلام الدين ص 311.

5- الحجرات: 13.

6- وسائل الشيعة: ج 6 ص 366 ب 1 ح 4، عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

7- علل الشرايع ص 96 ح 6 باب علة النسيان والذكر.

8- النساء: 11.

أشبه ذلك، وقد ذكرت فلسفة كل تلك الموارد في الكتب المعنية بهذا الشأن.(1)

تأليف القلوب

مسألة: يستحب وقد يجب السعي لتنسيق القلوب وتأليفها وجمعها وتصافيتها، قال تعالى: ((لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف)) (2).

وقال عز وجل: ((ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)) (3).

وذلك عبر تكريس التقوى فى النفوس وعبر تربية النفس والناس على الإغضاء عن السيئة، والعفو والصفح، وعلى سعة الصدر، وفى الحديث: (المؤمن مألوف، ولا خير فىمن لا يألف ولا يؤلف) (4).

هذا وفى الأحاديث: انه بهم (عليهم افضل الصلاة والسلام) يؤلف الله بين القلوب، قال (عليه السلام): (بنا يؤلف الله بين قلوبهم بعد عدواة الفتنة) (5).

وعبر عدم فسح المجال لرواج الغيبة والتهمة والنميمة، وعبر سلسلة من البرامج العملية التى تقضى على التدابر والتحارب بين المؤمنين، كما فعل الإمام الصادق (عليه السلام) ذلك حيث دفع كمية من الأموال للبعض من أتباعه كى يصلح به أى نزاع مالى يحدث بين مؤمنين.

ومن الواضح أن أحكام الله تعالى تابعة لمصالح ومفاسد فى المتعلقات، إلا نادراً (6) وهى (صلوات الله وسلامه عليها) تشير ههنا إلى أن المصلحة فى إيجاب العدل - أو جزءها - هى تنسيق القلوب، وإذا كان كذلك كان الراجح، بل اللازم فى بعض الأحيان: السعى لتنسيقها

ص: 249

1- راجع للإمام المؤلف: (الفقه: الاقتصاد) و(الفقه: الحقوق) و(القول السديد فى شرح التجريد) و(شرح المنظومة) وغيرها.

2- الأنفال: 63.

3- الأنفال: 46.

4- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر ج 2 ص 25.

5- كشف الغمة ج 2 ص 483 ب 11. والأمالى للشيخ المفيد ص 251 المجلس 29، والأمالى ص 288 المجلس 34.

6- كما لو كانت المصلحة فى نفس الأمر أو النهى، كما فى قصة أمره تعالى بذبح إسماعيل (عليه السلام). راجع التفاسير فى تفسير قوله

تعالى: (فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى ارى فى المنام أنى اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدنى انشاء الله من

الصابرين) «الصفات: 102».

عبر ما يزيد على العدل كالإحسان مثلاً وكما فيما سبق.

وطاعتنا نظاماً للملة

وجوب إطاعة أهل البيت (ع)

مسألة: يجب إطاعة أهل البيت (عليهم أفضل الصلاة والسلام) وإعلام الناس بذلك، فإن الله سبحانه وتعالى جعلهم (عليهم السلام) هداة للخلق بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما جعل الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام) هداة للناس، وكذلك الأمر في أوصياء الأنبياء (عليهم السلام)، وفي الأحاديث انه: (كان لكل نبي وصي) (1).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (أيها الناس، ان علياً إمامكم من بعدى وخليفتى عليكم، وهو وصيى ووزيرى وأخى وناصرى، وزوج ابنتى وأبو ولدى، وصاحب شفاعتى وحوضى ولوائى، من أنكره فقد أنكرنى ومن أنكرنى فقد أنكر الله، ومن أقر يمامته فقد أقر بنبوتى ومن أقر بنبوتى فقد أقر بوحدانية الله عزوجل، ايها الناس من عصى علياً فقد عصانى ومن عصانى فقد عصى الله) (2).

ولا يخفى أن الإيمان بوجوب إطاعة أهل البيت (عليهم السلام) إنما يكون بعد الاعتقاد بأن الله سبحانه وتعالى نصبهم حججاً على خلقه وأدلة لعباده.

و(أهل البيت) يشمل فاطمة الزهراء (عليها السلام) - بالإضافة إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) - وقد دلت على ذلك آية التطهير (3) وروايات متواترة (4)، فهي (صلوات الله عليها) واجبة الطاعة، كوجوب طاعة الرسول (صلى

ص: 250

1- مستدرک الوسائل: ج 14 ص 206 ب 33 ح 16512.

2- معانى الأخبار ص 372 ح 1 باب معنى وفاء العباد بعهد الله.

3- الأحزاب: 33.

4- راجع (عوامل العلوم ومستدركاته) و(بحار الأنوار) و(دلائل الصدق) و(الغدیر) و(احقاق الحق) و..

الله عليه وآله وسلم) والأئمة الاثني عشر (عليهم الصلاة والسلام). (1)

و(الملة): الطريقة والدين والشريعة(2)، أى: ما شرعه الله سبحانه لعباده بواسطة أنبيائه لإيصالهم للسعادة الدنيوية والأخروية، قال تعالى: ((ملة أبيكم إبراهيم)) (3) أى: دينه.

وقد استعملت فى مطلق الشرائع والممل حتى الباطلة، قال تعالى: ((حتى تتبع ملتهم)) (4) أى سنتهم وطريقتهم.

وقد تأتى بمعنى (الأمة) أيضاً(5).

و(النظام): بمعنى القوام، وبمعنى التأليف والجمع(6) وكلا المعنيين محتمل هنا، ولكل

ص: 251

1- راجع (من فقه الزهراء عليها السلام) المجلد الأول، المقدمة. وراجع أيضاً المقدمة وهوامشها من هذا الكتاب.

2- وفى (لسان العرب) مادة (ملى): (والملة: الشريعة والدين.. وقيل: هى معظم الدين.. وملتهم: .. سنتهم وطريقتهم).

3- الحج: 78.

4- البقرة: 120.

5- وفى لسان العرب مادة (ملى): (وفى الحديث: لا يتوارث أهل ملتين، الملة: الدين، كلمة الاسلام والنصرانية واليهودية).

6- قال فى مجمع البحرين: (النظام، بالكسر: الخيط الذى ينظم به اللؤلؤ). وقال فى لسان العرب: (النظم: التأليف.. وكل شئ قرنته بأخر أو

ضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته). وفى القاموس المحيط: (النظم) التأليف وضم شئ إلى شئ آخر... ونظم اللؤلؤ: ألفه وجمعه فى

سلك فانتظم). وفى المنجد: (ومنه نظم الشعر لتأليفه كلاماً موزوناً ومقفى). فعلى هذا يكون المراد بقولها عليها السلام: (وطاعتنا نظاماً

للملة) تشبيه الملة، أى: الشريعة باللالى المنتشرة التى تكون إطاعتهم عليهم السلام سبباً لتأليف الدرر وجمعها على نظام بديع. هذا بالنسبة

للمعنى الثانى الذى ذكره الإمام المؤلف (دام ظله) وأما بالنسبة للمعنى الأول فقد جاء فى مجمع البحرين: (نظمت الأمر فانتظم أى أقمته

فاستقام) وفى المنجد: (نظام الأمر قوامه) وفى لسان العرب: (نظام كل أمر ملاكه... وليس لأمرهم نظام أى ليس له هدى ولا متعلق ولا

استقامة) فعلى هذا يكون المراد بقولها عليها السلام: (نظاماً للملة) ان ياطعتهم عليهم السلام يستقيم الدين ويستحكم، ولولا إطاعتهم

لضعف واضمحل، قال: (انى تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتى أهل بيتى وإنهما لن يفترقا حتى يردا

على الحوض) «وسائل الشيعة: 18/19 ب 5 ح 9».

منهما مرجحات، ويمكن أن يكون المراد به الجامع.

إطاعتهم (ع) سبب للنظام

مسألة: من الضروري التنبيه على أن طاعتهم (عليهم السلام) هو الذى يوجب إيجاد وحفظ واستقرار النظام، ودعوة الناس لذلك، فإن الملة والشريعة تحتاج إلى النظام بكلا معنیه، وطاعتهم (عليهم السلام) توجب جمع الملة وتأليفها وصونها عن الشتت والتناثر، كما توجب إقامة الملة والشريعة واستقامتها.

قال على (عليه السلام): (والإمامة نظاماً للملة) (1).

ومن المحتم بالبرهان أن نظام ملة الإسلام وشريعته هو أفضل الأنظمة على الإطلاق، بل لا قياس بينه وبين غيره (2).

وأما ما يكون بإطاعة غيرهم من (النظام) فإنما هو ظاهرى ومحدود وموقت (3) بل قد يكون أكثر إضراراً، ثم إنه (نظام) لمفردات ومصاديق وقوانين خاطئة فى حد ذاتها غالباً، وقد قال الشاعر:

ولو قلدوا الموصى إليه أمورها لذمت بمأمون على العثرات (4)

ص: 252

1- غرر الحكم ودرر الكلم ص 176 ح 3376، الفصل الثالث أهمية الفرائض وبعض فلسفتها.

2- راجع موسوعة الفقه، كتاب القانون.

3- أشار دام ظلّه بقوله (ظاهرى) إلى عدم تجذر هذا النظام بل هو ك- (الخشب المسندة)، وبقوله (محدود) إلى عدم شموليته لشتى أبعاد الحياة: السياسية والاجتماعية والاقتصادية...، وبقوله (موقت) إلى عدم استمرار هذا النظام على مر الأعصار، أى أشار إلى العمق والسعة والامتداد الزمنى، وقد أوضح الإمام المؤلف (دام ظلّه) الثغرات الهيبة فى الحضارة الغربية وفى عدة كتب، منها: كتاب (الغرب يتغير) كما تطرق إلى ذلك فى مواطن شتى من (الفقه: السياسة) و(الفقه: القانون) و(الفقه الحقوق) و(الفقه: الاقتصاد) و(الفقه: الدولة الإسلامية) وغيرها.

4- من قصيدة دعبل الخزاعى التى قرأها عند الإمام الرضا (عليه السلام). راجع بحار الأنوار: ج 49 ص 245 ب 17 ح 13. وكتاب (العدد القوية) ص 281 نبذة من احوال الامام الرضا (عليه السلام) وكيفية شهادته.

وقال: (ولو قدموا حظهم قدموكا).

وقال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): (إني مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن تضلوا ما تمسكتم بهما وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض) (1).

وقد ورد في تفسير قوله تعالى: ((واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)) (2) أى ولاية على وذريته (عليهم السلام) (3). وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (وطاعتنا طاعة

ص: 253

1- هذه الرواية من الأخبار المتواترة، وقد رواها الفريقان في مختلف كتبهم، راجع (الغدير) للعلامة الأمينى رحمه الله، و(المراجعات) للمرحوم شرف الدين، وبحار الأنوار للمجلسى (قدس سره): ج 5 ص 68 ب 2 ح 1. والأمالى للشيخ الصدوق ص 522 ح 1 المجلس 79. ومعانى الأخبار ص 90 و 91 ح 2 و 4 و 5 باب معنى الثقلين والعتره. وعيون أخبار الرضا (عليه السلام) ص 228 ح 1 باب ذكر مجلس الرضا (عليه السلام) مع المأمون فى الفرق بين العتره والأمة. وكمال الدين ص 234 ح 44 باب اتصال الوصية من لدن آدم (عليه السلام) وان الارض لا تخلو من حجة الله عزوجل على خلقه الى يوم القيامة. وكمال الدين ص 235 ح 46، وص 239 ح 58، وص 240 ح 64، وص 244 و 247. والفصول المختارة ص 221. والمسائل الجارودية ص 42. والمناقب ج 1 ص 235. وكشف الغمة ج 1 ص 43 وص 256. وكشف الغمة ج 2 ص 509. وتفسير القمى ج 2 ص 345 سورة الرحمن. والصرات المستقيم ج 2 ص 101. ودعائم الاسلام ج 1 ص 27. ومتشابه القرآن ج 2 ص 45 وص 57. وروضة الواعظين ص 273. وبصائر الدرجات ص 412 و 414. والطرائف ص 115 و 116 و 121 و 190. واعلام الورى ص 396. والعمدة ص 71 ح 88، وص 83 و 338. وتحف العقول ص 425 و 458. وبشارة المصطفى ص 136 و 228. وسعد السعود ص 64 و 130 و 149 و 227. ودلائل الامامة ص 43. ونهج الحق ص 394. وقصص الأنبياء للراوندى ص 360. وكشف اليقين ص 335 و 425. وكتاب سليم بن قيس ص 207. وغيبة النعمانى ص 29 و 54. وتقريب المعارف ص 125. وكفاية الأثر ص 87 و 136 و 162 و 210. ومثير الأ-حزان ص 19. والحجة على إيمان ابى طالب (عليه السلام) ص 65. ومائة منقبة ص 161 المنقبة 86.

2- آل عمران: 103.

3- راجع تفسير العياشى ج 1 ص 194 ح 122 و 123 من سورة آل عمران، وفيه: (قال سألت أبا الحسن (عليه السلام) عن قوله (واعتصموا بحبل الله جميعاً) قال: على بن أبى طالب حبل الله المتين). وعن جابر عن ابى جعفر (عليه السلام) قال: (آل محمد هم حبل الله).

الله ومعصيتنا معصية الله عزوجل (1).

وقال (عليه السلام): (نحن قوم فرض الله طاعتنا في القرآن) (2).

وقال (عليه السلام): (ان الله تبارك وتعالى اوجب عليكم حبنا وموالاتنا وفرض عليكم طاعتنا) (3).

وقال (عليه السلام): (طاعتنا فريضة وحبنا إيمان وبغضنا كفر) (4).

حماية حماة الشريعة

مسألة: يجب إيجاد الشروط والظروف الموضوعية التي توفر الدعم والحماية لمن هم (عليهم السلام) بأقوالهم وسيرتهم السبب في نظام الشريعة، فإن حمايتهم حماية للشريعة نفسها، قال تعالى: ((وتعاونوا على البر والتقوى)) (5).

فإنه يستفاد من كلامها (عليها السلام) أمران:

الأول: لزوم النظام للملة أولاً وبالذات، وهذا أمر عقلي قبل أن يكون شرعياً (6).

الثاني: إن هؤلاء المعصومين (عليهم السلام) هم الذين ينظمون الملة، وهذا شرعي من باب الأدلة النقلية الوفيرة، وعقلي من باب انطباق المواصفات اللازمة (عليهم السلام) دون غيرهم (7).

فإن ملة الإسلام تنتظم أمورها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتربوية والعسكرية والعائلية والمعاملية وغيرها بطاعة المعصومين (عليهم السلام) وذلك لأن التشريعات الإلهية

ص: 254

1- الأمل للشيخ الصدوق ص 558 المجلس 82 ح 16.

2- المقنعة ص 278 باب الأنفال عن الصادق (عليه السلام). وشبهه في المناقب ج 4 ص 215. وبصائر الدرجات ص 204 ح 6 باب في ان الأئمة عليهم السلام اوتوا العلم واثبت ذلك في صدورهم.

3- الاختصاص: ص 241.

4- المناقب ج 4 ص 206 فصل في معالي أموره، عن الباقر (عليه السلام)، وفي صدر الحديث: (نحن ولاية أمر الله وخزان علم الله وورثة وحى الله وحملة كتاب الله..).

5- المائدة: 2.

6- راجع موسوعة الفقه، كتاب القانون.

7- راجع كتاب (الألفين) للعلامة الحلي قدس سره.

والأحكام النبوية التي يتولونها توجب النظم وعدم الفوضى والخلل والاضمحلال.

و(الملة) بملاحظة مادتها قد تفيد معنى مل(1) بمعنى الملل لأن الطريقة الوحيدة المتبعة توجب التكرار المسبب للملال غالباً، هذا من جهة اللفظ.

أما الواقع فإن الصحيح والمستقيم والحق هو الذى لا- يمل وإن تكرر، ولذا لا يمل ضوء النهار وجريان الأنهار وغير ذلك من الأمور التكوينية على تكررهما، وكذا الحال فى الأمور التشريعية، فإنه لا يحيد أى عاقل عن الصحيح إلى غير الصحيح، وإن تكرر الصحيح، نعم من كان منحرفاً فى ذاته ربما رجح الباطل.

وإمامتنا أماناً للفرقة(2)

الاعتقاد بالإمامة

الاعتقاد بالإمامة(3)

مسألة: يجب الاعتقاد بإمامة أهل البيت (عليهم السلام) كما يجب إرشاد الناس لذلك، على ما يستفاد من (جعل الله... إمامتنا)، ولغير ذلك من الأدلة الكثيرة المذكورة فى مظانها.

إذ جعل الإمامة أماناً، إنما هو بالجعل المركب، وجعلها هى بسيط، والإمامة غير الطاعة، فالإمامة مقدمة على الطاعة رتبة كتقدم السبب على المسبب(4) فإذا لم يعتقد إنسان بإمامتهم أتخذ لنفسه إماماً آخر، وهذا يوجب الفرقة كما لا يخفى، وقد حصل بالفعل بعد أن اتخذ الكثير من الناس أئمة غيرهم (عليهم السلام).

ص: 255

1- على القول بأن المصدر مشتق من الفعل، الأمر واضح، وأما على العكس فليس المقصود - كما هو واضح - الاشتقاق، إذ هذا بلحاظ الصورة، بل الجامع، وقد أشار الإمام المؤلف إلى ذلك بكلمة (مادتها).

2- وفى بعض النسخ: (وإمامتنا لماً للفرقة) راجع دلائل الإمامة ص 33 حديث فذك، وكشف الغمة ج 1 ص 480 فاطمة عليها السلام. وفى بعضها: (وإمامتنا أماناً للفرقة) راجع بلاغات النساء ص 28 كلام فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

3- حول مبحث الإمامة، راجع (نهج الحق وكشف الصدق) للعلامة الحلى و(المراجعات) و(العقبات) و(الغدير) و(دلائل الصدق) و(إحقاق الحق) وغيرها.

4- فإن الإمامة علة وجوب الإطاعة، ولا تخفى الدقة فى تعبيره ب- (كتقدم).

ولربما اعتقد شخص بالإمامة ولم يطع، أو أطاع ولم يعتقد، ولربما كانت الإمامة ولم توجد الإطاعة، أو بالعكس، فالنسبة بينهما عموم من وجه.

التفرق عن سبيل الله

مسألة: تحرم الفرقة والتفرق في الجملة، وقد يكره حسب الموارد المختلفة، قال سبحانه: ((تفرق بكم عن سبيله)) (1) وقال جل وعلا: ((لا تفرقوا فيه)) (2) إلى غير ذلك من الآيات والروايات.

قال (عليه السلام): (واياكم والتفرق) (3). وقال (عليه السلام): (ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة) (4). وقال (عليه السلام): (واياكم والفرقة) (5).

ومن الواضح أن التفرق عن سبيل الله هو المحرم، أما التفرق في سبيل الله وإلى الله، كما في ((كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين)) (6) فهو المطلوب.

السعي لتحقيق فعلية حاكميتهم (ع)

مسألة: يجب السعي لتحقيق فعلية سلطتهم وحاكمتهم (عليهم السلام) باعتبارها هي (الأمان من الفرقة).

فإن واقع الإمامة غير السلطة وبسط النفوذ والسيطرة، وتنبيه الناس وإرشادهم إلى الواقع من المقدمات لذلك، أي أنها من الأسباب التي تؤدي إلى فعلية السلطة والحاكمية، فتحقق فعلية (الأمن من الفرقة).

قولها (عليها السلام): (وإمامتنا أماناً للفرقة) فإن هذا غير الإطاعة، فقد يطيع الإنسان شخصاً ولا يتخذه إماماً فكان لا بد من إضافة هذه الجملة: (إمامتنا) على الجملة السابقة.

ثم إن الإطاعة ليست بمفردها هي الضمان من الفرقة، إذ الفرقة عقائدية ونفسية وعملية،

ص: 256

1- الأنعام: 153.

2- الشورى: 13.

3- وقعة الصفين ص 123. وتحف العقول ص 197.

4- الارشاد ج 2 ص 41.

5- الأمل للشيخ المفيد ص 161 ح 4 ب 20.

6- البقرة: 213.

والإطاعة قد تكون ضمناً من الأخيرة فقط، أما من يتخذهم أئمة فإنهم أمان من الفرقة، إذ الباطل دائماً يضرب بعض الناس ببعض ليسود، قال سبحانه: ((إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً)) (1).

وفي المثل الباطل: (فرق تسد).

أما هم (عليهم السلام) فإنهم يعطون كل ذي حق حقه، ويتيحون الفرص للجميع على حسب قول علي (عليه السلام) :

(الناس من جهة التمثال أكفأ أبوهم آدم والأم حواء) (2)

وكذلك يؤلفون بين القلوب ويجمعون الكلمة على التقوى ويزرعون روح الأخوة الإيمانية والتعاون، وحين ذاك يكون الناس مأمونين من الاختلاف والفرقة عملياً كما أنهم يأمنون - بالاعتقاد بإمامتهم - من الفرقة العقائدية.

وقد تقدم إنها (عليها السلام) أشارت إلى (الإمامة) التي من أصول الدين الخمسة، ومن ذلك يظهر أن (الإمامة) بمعنى الرئاسة العامة الفعلية هي أمان فعلي من الفرقة - عكس رئاسة الغير - التي هي ليست أماناً من الفرقة.

أما (الإمامة) بمعنى ذلك المنصب الإلهي فهي بحد ذاتها مقتضى للأمن من الفرقة، ويوضح ذلك بكلا شقيه الحال في الأنبياء والرسل، فإذا اعتقد الناس بها - كما أمرهم الله تعالى به أمراً تشريعياً - واتخذوها الدليل والمرشد والمنهج الراسم لمسيرة حياتهم في شتى الأبعاد كانت أماناً بالفعل.

ومن الواضح أن وكلاءهم (عليهم السلام) امتداد لهم، واتباعهم وسلطتهم - بما هم وكلاء لهم - شعبة من إطاعتهم والاهتداء بهديهم (عليهم السلام).

قال (عليه السلام) : (فإني قد جعلته عليكم حاكماً) (3).

وقال (عجل الله تعالى فرجه الشريف): (فللعوام أن يقلدوه) (4).

ص: 257

1- القصص: 4.

2- الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) ص 24.

3- غوالي اللئالي ج 3 ص 192 باب الجهاد. والغوالي ج 4 ص 67 و 133.

4- الاحتجاج ص 458 احتجاج ابى محمد الحسن بن على العسكري (عليه السلام) في أنواع شتى من العلوم، وفيه: (فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً على هواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه).

والجهاد عزاً للإسلام(1)

الجهاد في سبيل الله

الجهاد في سبيل الله(2)

مسألة: يجب الجهاد في سبيل الله تعالى، والمراد بالجهاد: ما ذكر في الفقه بأقسامه الثلاثة: الابتدائي والدفاعي والبغاة، لا جهاد النفس، إذ المنصرف منه ذلك، وبقرينة قولها: (عزاً للإسلام).

وإن كان جهاد النفس أيضاً من الواجبات، بل سماه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (الجهاد الأكبر)(3) وقد يكون ذلك نظراً لأصعبيته من جهات عديدة، إذ يستمر طوال حياة كل فرد ويواجه مختلف شهوات النفس: من حب المال والرئاسة، والرياء والسمعة، والكبر والعجب، وحفظ اللسان واليد والعين والسمع... .

ص: 258

1- وفي بعض النسخ: (وحننا عزاً للإسلام) راجع بلاغات النساء ص 28 كلام فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فيدل على وجوب محبة أهل البيت عليهم السلام، كما يدل على ذلك الآيات الشريفة ومتواتر الروايات، قال تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجرأ إلا المودة في القربى) «الشورى: 23».

2- راجع موسوعة الفقه ج 47-48 كتاب الجهاد.

3- الأمالى للشيخ الصدوق ص 466 المجلس 71 ح 8 وفيه: (عن أمير المؤمنين عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث سرية فلما رجعوا قال: مرحباً بقضوا الجهاد الأصغر وبقى عليهم الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: افضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه). وراجع ايضاً معانى الأخبار ص 160 باب معنى الجهاد الأكبر.

قولها (عليها السلام): (والجهاد عزاً للإسلام) لأن أعداء الإسلام يحاولون - باستمرار - النفوذ إلى داخل بلاد المسلمين، والسيطرة على مقدراتهم - بشكل أو بآخر - فالجهاد يكون وقاية أو علاجاً (1) رفعاً أو دفعاً، كما يكون سبباً لتقدم بلاد الإسلام، ويكون سبباً لإرجاع المنحرف إلى الصراط المستقيم، إذ الجهاد ابتدائي ودفاعي وإصلاحى، كما قال سبحانه: ((وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تقىء إلى أمر الله)) (2).

إعزاز الإسلام واجب

مسألة: كل ما يوجب عز الإسلام فهو واجب أو مستحب، فإذا كان وجوب الجهاد لأجل إعزاز الإسلام كان كل ما يوجب عزه راجحاً، وقد يصل إلى مرحلة الوجوب، باعتبار أن (العزة) ذات مراتب، بعضها واجب التحصيل، وبعضها مندوب.

فمثلاً (شعائر الله) بعضها واجب وبعضها مستحب، على حسب مالها من المدخلية فى (عز الإسلام) كأحد الملاكات، كما لا يخفى. (3).

والصبر معونة على استيجاب الأجر (4).

الصبر

الصبر (5)

مسألة: يجب الصبر فى موارد، ويستحب فى موارد أخرى، كما سيأتى.

وحيث أطلقت (عليها السلام) (الصبر) شمل الصبر على أداء الواجبات والصبر عن المحرمات والصبر فى النوازل والمصائب والمشاكل الشخصية والعائلية والاجتماعية بمختلف

ص: 259

1- الوقاية فى الجهاد الابتدائى، والعلاج فى الجهاد الدفاعى.

2- الحجرات: 9.

3- أى: (إن) عز الإسلام (أحد الأسباب التى تقتضى الوجوب أو الاستحباب وليس الأمر منحصراً به، فلربما يجب الشىء لجهة أخرى.

4- وفى بعض النسخ: (والصبر معونة على الاستجابة).

5- راجع (الفضيلة الإسلامية) للمؤلف و (جامع السعادات) للمولى النراقى (قده).

أبعادها، كما ورد في الحديث: (الصبر على ثلاثة أوجه، فصبر على المصيبة وصبر عن المعصية وصبر على الطاعة) (1).

ومن الواضح أن الصبر في هذه المواطن المذكورة بين واجب ومستحب، كالكثير من الأحكام الجوارحية والجوانحية الأخرى.

وإلى الأقسام الثلاثة من الصبر أشارت الآيات الكريمة: قال تعالى: ((وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها)) (2). وقال سبحانه: ((فاصبر

لحكم ربك)) (3). وقال تعالى: ((واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم)) (4).

وقال سبحانه: ((فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل)) (5).

وقال تعالى: ((والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس)) (6).

إلى غير ذلك من الآيات الشريفة.

وحيث إنها (عليها السلام) كانت في صدد بيان بعض الفروع المهمة التي لها مدخلية في قوة المجتمع واستقامته وتقدمه ذكرت الصبر، إذ

(الصبر مفتاح الفرج) (7) وسبب التقدم ويدفع الإنسان على تحمل ما يوجب له الأجر في الدنيا والآخرة، قال سبحانه: ((ولمن صبر وغفر

إن ذلك لمن عزم الأمور)) (8).

فإنه لا يتقدم متقدم في أي بعد من أبعاد الحياة - سواء كان فرداً أم أمة أم جماعة - إلا

ص: 260

1- الارشاد ج 1 ص 302 ومن كلامه عليه السلام في وصف الانسان. ومثله في تحف العقول ص 206.

2- طه: 132.

3- القلم: 48. والإنسان: 24.

4- الكهف: 28.

5- الأحقاف: 35.

6- البقرة: 177.

7- بحار الأنوار: ج 68 ص 74 ب 72 ح 7 بيان. وشرح النهج ج 20 ص 307 ح 514. وفي تحف العقول ص 207: (الصبر مفتاح

الدرك).

8- الشورى: 43.

بالصبر، وقال تعالى: ((وإن منكم عشرون صابرون يغلبوا مأتين))⁽¹⁾. ولذا قال على (عليه السلام): (اعلموا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا خير في جسد لا رأس له)⁽²⁾.

وفي الحديث: (ولا إيمان لمن لا صبر له)⁽³⁾.

وقال (عليه السلام): (نعم عون الدين الصبر)⁽⁴⁾.

وقال (عليه السلام): (أفضل العبادة الصبر)⁽⁵⁾.

وقال (عليه السلام): (الزم الصبر فإن الصبر حلو العقابة ميمون المغبة)⁽⁶⁾.

ومن الواضح - بعد ذلك - أن الصبر حالة إيجابية، ولذا قال تعالى: ((استعينوا بالصبر والصلاة))⁽⁷⁾ وليس حالة سلبية، فإنه يعنى الصبر على مشاق الطاعات كالصلاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر عن إتيان المحرمات، أما الصبر فى مشاق الحياة فهو يعنى تحملها بجلد دون الانهيار تحت وطأتها ((إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات))⁽⁸⁾ فيما لا قدرة للإنسان على الخلاص منها - دائماً أو لفترة - كمرض ميؤوس منه أو سجن لا مخلص للإنسان منه.

أما إذا كان له طريق للخلاص من المرض أو الفقر أو سجن الحاكم الجائر أو ما أشبه ذلك من مشاكل الحياة، فعليه أن يسعى للخلاص منه.

ف-: ((إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم))⁽⁹⁾ وقال تعالى: ((ربنا أفرغ

ص: 261

1- الأنفال: 65.

2- الخصال ص 315 ح 96. وبحار الأنوار: ج 2 ص 115 ب 16 ح 10.

3- عيون اخبار الرضا (عليه السلام) ص 44 ح 155.

4- دعائم الاسلام ص 534 ح 1899 كتاب آداب القضاة.

5- تحف العقول ص 201.

6- غرر الحكم ص 284 ح 6353، الفصل السابع فى الصبر والحلم والاستقامة.

7- البقرة: 153.

8- هود: 11.

9- الرعد: 11.

علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين)) (1).

لا أن يبقى الإنسان على الوضع الذي هو فيه - مما لا يريد الله سبحانه - مدعيًا الصبر (2)، قال تعالى: ((إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها)). (3).

السعي لاستحقاق الأجر والثواب

مسألة: يجب - في الجملة - القيام بما يوجب استحقاق الأجر والثواب، وهو الذي اعتبرته (عليها السلام) العلة لجعله جل وعلا (الصبر).

و(استيجاب الأجر) أي استحقاقه (4) كما ورد في الدعاء: (من غير استحقاق لاستماعك مني ولا استيجاب لعفوك عني) (5).

و: (وباعدتني عن استيجاب مغفرتك) (6).

وفي الصحيفة السجادية: (ولا يبرئ نفسه من استيجاب نعمتك) (7).

وقد يجيء باب الاستفعال بمعنى الفعل المجرد (8) فيكون الصبر - على هذا - معونة على ثبوت الأجر ولزومه، فإن العمل الصالح يحتاج الى لزوم أجره وثبوته بنحو العلة المبقية، وكثير من الناس من يجبط عمله ب- (الجزع) مثلاً، فالصبر هو المعين على دوام الأجر وعدم حبطه،

ص: 262

1- البقرة: 250.

2- راجع (الفضيلة الإسلامية) للإمام المؤلف (دام ظله).

3- النساء: 97.

4- استوجب الشيء استيجاباً: استحققه: راجع (لسان العرب) وغيره.

5- مصباح المتهجد ص 582 دعاء السحر في شهر رمضان. والبلد الأمين ص 205 دعاء السحر لعلي بن الحسين (عليه السلام).

6- البلد الأمين ص 387 دعاء الاعتقاد. ومهجع الدعوات: ص 253 ومن ذلك دعاء الرضا (عليه السلام) ..

7- الصحيفة السجادية ص 194 وكان من دعائه (عليه السلام) في طلب العفو والرحمة.

8- راجع (البلاغة) للإمام المؤلف، فيكون الإستيجاب بمعنى الوجوب، واستيجاب الأجر أي: وجوبه، والوجوب هو الثبوت واللزوم.

قال (عليه السلام): (من اعطى الصبر لم يحرم الأجر) (1). وحيث أن (الأجر) بين ما يجب عقلاً تحصيله أو المحافظة عليه، وبين ما يستحب، كان إتيان وإنجاز ما يوجبه بين واجب ومستحب، فمثلاً: الفقير الذي يكتسب لقوت يومه وقوت عياله، يجب عليه العمل لاستيجاب الأجر الذي يوفر لهم المأكل والملبس، أما الزائد منه على قدر الضرورة فهو مستحب (2). و(الأجر) قد ينصرف للأجر الإلهي، ولكنه لغة وعرفاً يطلق على الأجر الدنيوي منه والأخروي، وربما يستظهر من كلامها (عليها السلام) إرادة الأعم، وقد يؤيد ذلك بقرينة السياق، فتأمل.

والأمر بالمعروف مصلحة للعمامة

وجوب الأمر بالمعروف (3)

مسألة: يجب الأمر بالمعروف، في الجملة، فإن كان المعروف واجباً وجب، وإن كان مستحباً استحب إلا لو طرأ عليه عنوان ثانوي فقد يجب حينئذ.

قال تعالى: ((ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)) (4) وهو واجب كفاي، فإن قام به من فيه الكفاية، وإلا وجب على الجميع.

وقوله تعالى: ((ولتكن منكم أمة)) (5) قد يفيد ضرورة تفرغ أو تخصص مجموعة لذلك، وكان ذلك من أسباب تفرغ رجال الدين للهداية والتبليغ على مر العصور.

ولا- يبعد أن يراد ب- (الأمر بالمعروف) هنا: الأعم منه ومن النهي عن المنكر، لإطلاق كل واحد منهما على الآخر إذا انفرد، فإن الأمر بالصلاة وكذلك النهي عن شرب الخمر كلاهما

ص: 263

1- الخصال ص 202 ح 16، من اعطى اربعاً لم يحرم اربعاً، عن الصادق (عليه السلام).

2- راجع (المسائل الإسلامية) ص

3- راجع موسوعة الفقه ج 48 كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

4- آل عمران: 104.

5- آل عمران: 104.

أمر بالمعروف توسعاً. (1)

وقد وصف سبحانه وتعالى الأمة بأنها ((خير أمة أخرجت للناس)) (2) لأنها اتصفت ب-: ((تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)) (3) ولا يخفى ما لجعل الأمر والنهي في سياق الإيمان بالله من الدلالة على أهميتها.

وفي الحديث: (فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه لعلمه بأنها إذا أدت وأقيمت استقامت الفرائض كلها حينها وصعبها....) (4).

قال (عليه السلام): (غاية الدين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) (5).

وقال (عليه السلام): (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله فمن نصرهما اعزه الله ومن خذلهما خذله الله) (6).

وقال (عليه السلام): (الأمر بالمعروف أفضل أعمال الخلق) (7).

مراعاة المصلحة العامة

مسألة: تجب مراعاة المصلحة العامة، وإنما استفيد من هذه الجملة وجوب مراعاة المصلحة العامة - مع قطع النظر عن الأدلة العقلية والنقلية الأخرى الدالة على ذلك - لأنها (عليها السلام) جعلتها العلة الغائية لجعله سبحانه وتعالى (الأمر بالمعروف)، فقد أوجبه جل وعلا لأنه الطريق لمصلحة العامة، فلولا وجوبها لما ترشح الوجوب إلى الوسيلة والسبب،

ص: 264

1- أى: أنه مجاز، للتلازم بينهما، إذ كل نهى عن المنكر يستلزم عقلاً و عرفاً الأمر بضده، فالنهى عن شرب الخمر يستلزم الأمر بترك شربه.

2- آل عمران: 110.

3- آل عمران: 110.

4- وسائل الشيعة: ج 11 ص 402 ب 2، ضمن الحديث 9، عن علي (عليه السلام).

5- غرر الحكم ودرر الكلم ص 332 ح 7638، الفصل الثاني في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

6- غوالي اللثالي ج 3 ص 189 باب الجهاد ح 27. ومشكاة الأنوار ص 48 عن الباقر (عليه السلام).

7- غرر الحكم ودرر الكلم ص 331 ح 7632، الفصل الثاني في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فتدبر. وغير خفى أن ذلك غير ما ذهبوا إليه من (المصالح المرسله). (1)

فليست (المصلحة العامة) مشرعة، بل إنها تتقح موضوع القواعد الأولية والثانوية، وقد أوضحنا فى العديد من الكتب أن الشؤون العامة يكون المرجع فيها هو (شورى الفقهاء المراجع). (2)

ومن البين أن مصلحة العامة على قسمين: مصلحة لازمة تمنع النقيض، ومصلحة ليست بتلك الدرجة، فالمانعة من النقيض واجبة، والراجحة مستحبة، كما أنه يعلم مما تقدم أنه أعم مما ينهاه عنه أو يأمر به.

قولها (صلوات الله عليها): (مصلحة للعامة) لأن بالأمر بالمعروف تستقيم أمور العامة وتهتدى إلى سبيل الرشاد، وبتركه تنحرف إلى ما يفسد دينهم ودنياهم. ومن مصاديق ذلك ما أشارت إليه الرواية الشريفة: (لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر أو ليستعملن عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم). (3)

ويظهر من الروايات الشريفة، ومن التدبر الكامل فى أبعاد القضايا: إنه يخطئ من يتصور أن تركه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - سواء كان منكرأ صادراً من الحكومة أم من آحاد الناس - يخلصه من المشاكل، ويجعله بمنحى عن البلاء، فقد قال الامام على (عليه السلام):

(واعلمنا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من أجل ولا ينقصان من رزق). (4)

ولو تخلص من بلاء لأوقعه الله فى بلاء أشد ولو بعد حين، كما فى الرواية الآتفة:

ص: 265

-
- 1- راجع (الأصول) و(الوصائل إلى الرسائل) و(الفقه: القانون) للإمام المؤلف (دام ظله).
 - 2- يراجع حول هذا المبحث الكتب التالية: (موسوعة الفقه، كتاب البيع ح4 و5) و(الشورى فى الإسلام) و(الفقه: الدولة الإسلامية) للمؤلف دام ظله، وكذلك (شورى الفقهاء المراجع) و(شورى الفقهاء دراسة فقهية أصولية).
 - 3- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر ج2 ص86. وغوالى اللئالى ج3 ص191 باب الجهاد ح36. ومشكاة الأنوار ص50 الفصل 13.
 - 4- وسائل الشيعة: ج11 ص406 ب3 ح9. وغرر الحكم ودرر الكلم ص332 ح7637، الفصل الثانى فى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(ليستعملن).

بيان الأحكام

مسألة: يجب بيان الأحكام الشرعية للناس وجوباً كفائياً عموماً، ويمكن بيانها في الخطاب أيضاً، كما بينت الزهراء (عليها السلام) قسماً من الواجبات والمحرمات في خطبتها.

فإنها (عليها الصلاة والسلام) على حسب اقتضاء المقام بينت قسماً من الأحكام الشرعية للناس، وهي أسوة، والفعل - وكلامها من هذه الجهة من مصاديقه - في أمثال المقام دليل الرجحان، الأعم من الوجوب والاستحباب.

قال (عليه السلام): (بينوا ما ذكره الله) (1).

وقال (عليه السلام): (بينوا للناس الهدى الذي أتم عليه) (2).

وقال تعالى: ((ان الذين يكتُمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون)) (3).

وقال سبحانه: ((ان الذين يكتُمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً اولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم)) (4).

ص: 266

1- تفسير الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): ص 570.

2- تصحيح الاعتقاد ص 71 فصل في النهي عن الجدل.

3- البقرة: 159.

4- البقرة: 174.

البر بالوالدين

البر بالوالدين(2)

مسألة: البر بالوالدين - فى الجملة - واجب، على ما هو مفصل فى الفقه، قال الله تعالى عن لسان النبى عيسى (عليه السلام): «وبراً بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقيماً». (3)

وعن يحيى (عليه السلام) قال تعالى: «وبراً بوالديه ولم يكن جباراً عصياً» (4).

وربما يظهر منه إن البر فى مقابل التجبر والشقاوة والمعصية، وحيث أن التجبر والعصيان محرم، فالبر واجب، فتأمل.

هذا إضافة إلى وقوعه فى سياق الصلاة والزكاة وكونه وصية الله سبحانه الظاهرة - لولا القرينة - فى الوجوب. والآيتان - بمعونة استصحاب الشرائع السابقة، بل دلالة الروايات على ذلك - كفيلتان بالمطلوب، فتأمل. قال تعالى: ((وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً)) (5) ولشفع الإحسان بالوالدين ب- «لا تعبدوا إلا إياه» ولقوله: «قضى» أكبر الدلالة، كما لا يخفى.

وقال سبحانه: ((أن اشكر لى ولوالديك)). (6)

وقال تعالى: ((ووصينا الإنسان بوالديه)). (7)

نعم من البر ما هو مستحب أيضاً وهو الزائد على القدر الواجب، وقد ذكر هذا المبحث مفصلاً فى علمى الأخلاق (8) والفقه.

ص: 267

-
- 1- وفى بعض النسخ: (السخطة) راجع كشف الغمة ج 1 ص 484 فاطمة عليها السلام.
 - 2- حول هذا المبحث يراجع (الفقه: الواجبات والمحرمات) و(الفقه: الآداب والسنن) و(الفضيلة الإسلامية) و(الأخلاق الإسلامية) للإمام المؤلف.
 - 3- مريم: 32.
 - 4- مريم: 14.
 - 5- الإسراء: 23.
 - 6- لقمان: 14.
 - 7- الأحقاف: 15.
 - 8- راجع (جامع السعادات) للمولى النراقى (قدس سره).

قال (عليه السلام): (بر الوالدين واجب وان كانا مشركين) (1).

وقال (عليه السلام): (بر الوالدين أكبر فريضة) (2).

وقال (عليه السلام): (بر الوالدين وصلة الرحم يزيدان في الأجل) (3).

إسقاط الوالدين

مسألة: يحرم ما يوجب سخط الوالدين، أو سخط الله سبحانه وتعالى، أو كليهما، لأن الألف واللام في (السخط) قد يكون عوضاً عن المضاف إليه، وهو الله تعالى، أو الوالدين، أو كليهما، أى (وقاية من سخط الله أو الوالدين أو...) أو إنه للجنس مثلاً.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (رضا الله مع رضا الوالدين وسخط الله مع سخط الوالدين) (4).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (يا على رضا الله كله في رضا الوالدين، وسخط الله في سخطهما) (5).

وقال (عليه السلام): (فان رضاهما رضاء الله وسخطهما سخط الله) (6).

ولا يخفى أن جملة من العلماء ذهبوا إلى عدم وجوب طاعة الوالدين، إلا فيما إذا أوجب عدم الطاعة أذاهما، لا مطلقاً.

ثم المستثنى أيضاً ليس على إطلاقه، فلو تأذى الوالدان من تجارة الولد مثلاً، ونهياه عن العمل مطلقاً، أو عن خصوص التجارة منه مثلاً، أو أمره بطلاق زوجته، خصوصاً إذا كان له منها أولاد، لا تجب عليه الطاعة حتى لو أدى ذلك إلى سخطهما وأذاهما وعدم رضاهما،

ص: 268

1- عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ج2 ص124 ح1 باب ما كتبه الرضا عليه السلام للمؤمن في محض الإسلام وشرايع الدين.

2- غرر الحكم ودرر الكلم ص407 ح9339 الفصل الثالث في الوالد والولد.

3- الزهد ص36 ح94 باب بر الوالدين والقربة والعشيرة والقطيعة.

4- روضة الواعظين ص368 مجلس في ذكر وجوب بر الوالدين. ومشكاة الأنوار ص162 الفصل الرابع عشر في حقوق الوالدين وبرهما.

5- جامع الأخبار ص83 الفصل الأربعون في فضيلة بر الوالدين.

6- تفسير القمى ج2 ص149 سورة العنكبوت.

لأن إطلاقات أدلة (الطاعة) و(البر) منصرفة عن أمثال ذلك(1).

و(السخط) يعنى: الغضب والكره(2).

هذا ويحتمل أن يكون المراد من (السخط) هو السخط التكويني(3) لأن عدم بر الوالدين يؤدي إلى انفصام المجتمع وتشققه وتفككه وكرهية بعضه لبعض، إذ الأبناء اذا لم يبروا آباءهم لم يبرهم أبناءهم، بل كان ذلك مقتضياً لعدم تعاون إخوانهم وسائر أقاربهم معهم، وإذا انفصمت العائلة انفصم الاجتماع وتفكك(4)، وهو من أكبر أقسام السخط، ويؤيد الثاني: إن أغلب العلل عقلية، واللام هنا قد تكون للعهد الذهني، فتأمل.

وصلة الأرحام منسأة في العمر ومنمأة للعدد(5)

صلة الأرحام

مسألة: تجب صلة الأرحام، وتستحب بعض درجاتها، كما تستحب في بعض الأرحام،

ص: 269

1- راجع موسوعة الفقه، ج 93 كتاب المحرمات ص 259 وفيه: (ثم انهما اذا تأذيا لعدم اطاعة الولد لهما، فالظاهر انه اذا كان أمرهما يوجب هدم حياة الولد العادية لم تجب الطاعة، و الا وجبت، لانصراف النصوص عن مثل ذلك، فاذا قال الوالدان لولدهما: تزوج بالبنت الفلانية، او لا- تسافر في تجارتك الكذائية، او افتح دكانا في المحل الفلاني لا المحل الفلاني، أو طلق زوجتك، او ما اشبه ذلك، لم يجب على الولد الطاعة، بل له المخالفة وجريه العادي، لكن مع التأدب في الكلام والملايمة في التخلص، والبحث بالنسبة الى حقوق الوالدين وعقوقهما طويل والروايات في الأمرين كثيرة، نكتفى منه بهذا القدر). انتهى

2- وفي لسان العرب مادة (سخط): (السَّخَطُ والسَّخَطُ: ضد الرضا.. وسخط الشيء سخطاً: كرهه، وسخط أى غضب فهو ساخط، وأسخطه: اغضبه، تقول: اسخطني فلان فسخطت سخطاً.. السَّخَطُ والسَّخَطُ: الكراهية للشيء وعدم الرضا به).

3- فينبغي على هذا، تفسير السخط ب- (الكره) كما هو أحد معانيه، لا (الغضب) فتأمل.

4- راجع كتاب (العائلة) للإمام المؤلف (دام ظله).

5- وفي بعض النسخ: (وصلة الأرحام منمأة للعدد وزيادة في العمر) راجع دلائل الإمامة ص 33 حديث فدك.

أصلاً وفصلاً، قال تعالى: ((واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام)) (1).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (صلة الرحم تزيد في العمر) (2).

وقال (عليه السلام): (صلة الأرحام تزكى الأعمال) (3).

وقال (عليه السلام): (صلة الأرحام تثمر الأموال وتنسى في الآجال) (4).

وقال (عليه السلام): (صلة الرحم تزيد في الرزق) (5).

وكل من (الصلة) (6) و(الأرحام) (7) موضوعان عرفيان، بمعنى: أن العرف هو

المرجع في تشخيص ما هو صلة وما ليس بصلة، ومن هو رحم ومن ليس برحم.

نعم لا يبعد الفرق بين الأرحام القريبة والبعيدة (8) وربما يحتمل أن الرحم البعيدة البعيدة جداً - مما يصدق عليها مع ذلك رحم لا كمثل القرابة معه في آدم وحواء (عليهما السلام) - يستحب صلتها وليست بواجبة.

قطع الرحم

مسألة: وكما تجب صلة الرحم يحرم قطعها، والكلام في القطع هو الكلام في صلة الرحم، من جهة الخصوصيات موضوعاً وحكماً، مضافاً ومضافاً إليه، وقد ذهب العديد من

ص: 270

1- النساء: 1.

2- غوالي اللئالي ج 1 ص 46 الفصل الرابع. وكنز الفوائد ص 157 فصل في الكلام في الآجال.

3- تحف العقول ص 229.

4- غرر الحكم ودرر الكلم ص 406 ح 9308، الفصل الثاني في الرحم.

5- معاني الأخبار ص 264 ح 1 باب معنى تتقل الرحم.

6- الصلة هنا بمعنى: البر «مجمع البحرين».

7- الرحم: من يجمع بينك وبينه نسب «مجمع البحرين» فيخرج بذلك الترابط السببي كأقارب الزوجة للزوج وبالعكس، وفي (لسان العرب): (الرحم: القرابة، وذو الرحم هم القرابة، وخصها البعض بالقرابة من جهة الأب)، وقيدها بعض بنمط آخر: (المحارم الذين يحرم التناكح بينهم)، والصحيح ما ذهب إليه المؤلف، والذي يبدو أن المعنى العرفي له: هو القرابة النسبية بمعنى كل ذي رحم وإن بعد ولكن إلى الحد الذي يسميه العرف رحماً، راجع سفينة البحار مادة (رحم).

8- أي في مراتب الاستحباب مثلاً.

الفقهاء(1)- وهو المختار - إلى أن قطع الرحم ليست معصية فحسب، بل هي من الكبائر أيضاً، قال تعالى: ((فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله)).(2).

وقال الصادق (عليه السلام): (لا يجد ريح الجنة عاق ولا قاطع رحم). (3).

وقال (عليه السلام): (من قطع رحمه قطع الله عنه رحمته يوم يلقاه) (4).

وقال (عليه السلام): (ما آمن بالله من قطع رحمه) (5).

السعى لطول العمر

السعى لطول العمر(6)

مسألة: يستحب أن يأتي الإنسان بما يؤدي إلى طول عمره، من الأسباب والعوامل الجسمانية والنفسانية والغيبية، إذ قد ذكرت (عليها السلام) أن الله سبحانه جعل لصلة الرحم - الواجبة في الجملة والراجعة مطلقاً - طول العمر ثواباً وجزاءً، وقد تقدم وجه الاستدلال، وقد ورد: (وان تطيل عمري وتمد في أجلي) (7) و: (وان تجعل فيما تقضى وتقدر ان تطيل عمري) (8) و: (اسألك ان تطيل عمري في طاعتك) (9) و: (وان تصلى)

ص: 271

1- ومنهم الشهيد (قدس سره) في القواعد. وراجع أيضاً موسوعة الفقه ج93 كتاب المحرمات ص305، وفيه: (لا- اشكال في ان قطع الرحم من الكبائر، وكل واحد من الرحم والقطع موضوعان عرفيان، وفي مورد الشك المرجع الأصول).

2- محمد: 22 و23.

3- وسائل الشيعة: ج3 ص369 ب23 ح11. ومستطرفات السرائر ص595. ومثله في معاني الأخبار ص330 ح1 باب معنى الحيوف والزنوق والجواض والجعظرى. وارشاد القلوب ص179 ب51.

4- فضائل الأشهر الثلاثة ص77 ح61 كتاب فضائل شهر رمضان. وروضة الواعظين ص345 مجلس في ذكر فضل شهر رمضان.

5- غرر الحكم ودرر الكلم ص407 ح9327 الفصل الثاني في الرحم.

6- راجع موسوعة الفقه: كتاب (المسائل المتجددة).

7- العدد القوية ص381.

8- المقنعة ص341 باب الدعاء في كل يوم منه وشرحه. والإقبال ص24 دعاء بعد كل فريضة. والبلد الأمين ص226 دعاء السحر لعلى بن الحسين (عليه السلام).

9- الإقبال ص25.

على محمد وآل محمد وأن تطيل عمري) (1) و: (وطول العمر وحسن الشكر) (2) وما أشبه ذلك.

ولما سئل (صلى الله عليه وآله وسلم) عن السعادة؟ قال: (طول العمر في طاعة الله) (3).

أما سؤال علي (عليه الصلاة والسلام) والزهراء (صلوات الله عليهما) من الله تعالى الموت - كما هو المشهور (4) فهو للتزاحم من باب قاعدة (الأهم والمهم) وليبيان المظلومية وغير ذلك.

هذا وقد قال تعالى مخاطباً اليهود ((قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم انكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليهم بالظالمين)). (5).

ثم ان تأثير صلة الرحم في طول العمر وزيادة العدد، يمكن أن يكون بالأسباب الغيبية، ويمكن أن يكون بالأسباب الظاهرية، فإن من يصل رحمه يكون مرتاح الوجدان، مطمئن الضمير، واطمئنان الضمير وسكون النفس يوجبان طول العمر، لتأثير كل من الروح والبدن في الآخر، كما ذكرناه في مبحث آخر من هذا الكتاب، إضافة إلى أن صلة الرحم يوجب الحيلولة دون كثير من النزاعات - التي تتولد وتترايد من قطع الرحم واستمراره - ومن الواضح تأثير النزاعات على تحطيم الأعصاب وتدمير الصحة، وقد فصلنا البحث في كتاب الآداب

ص: 272

1- الإقبال ص 26.

2- المقنعة ص 192 باب دعاء الوداع ، وتدعو في آخر ليلة من الشهر.

3- مجموعة ورام ج 1 ص 92.

4- راجع بحار الأنوار ج 43 ص 177 ب 7 ح 15 عن فضة ان فاطمة الزهراء عليها السلام كانت تقول: (يا الهى عجل وفاتي سريعاً). وفي علل الشرايع ص 43 باب 38: عن نبي من الأنبياء انه قال: (سیدی قد ترى ضيق مكاني وشدة كربتي، فارحم ضعف ركني وقلة حيلتي وعجل بقبض روحي ولا تؤخر إجابة دعائي).

5- الجمعة: 6 و 7.

والسنن(1)، وربما يشير إلى ذلك قوله (عليه السلام): (صلة الأرحام تحسن الخلق وتسمح الكف وتزيد في الرزق وتنسى في الأجل).

(2)

وكذلك الأمر في تأثير صلة الرحم في تكاثر العدد لما سبق، والظاهر انه لا مانعة من الجمع بين الوجهين السابقين.(3)

التكثير في النسل

التكثير في النسل(4)

مسألة: يستحب التناسل والتكثير من الأولاد، وقد اعتبرته (عليها السلام) النتيجة الثانية لجعله جل وعلا (صلة الرحم) وأمره بها، كما اعتبرته مشوقاً للناس وطريقاً لحضهم على صلة الرحم، فإن كثرة الأولاد مطلوبة للشارع كما هو واضح، وقد قال (صلى الله عليه وآله وسلم): تناكحوا تناسلوا تكثروا فإنى أباهى بكم الأمم يوم القيامة ولو بالسقط.(5)

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (تزوجوا الودود الولود)(6).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (سوداء ولود خير من حسناء عقيم)(7).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (وخير النساء الودود الولود)(8).

ص: 273

1- راجع موسوعة الفقه ج94-97 كتاب الآداب والسنن.

2- الكافي: ج2 ص151 ح6 باب صلة الرحم.

3- أى القول بأن تأثير صلة الرحم في طول العمر وزيادة العدد لأسباب غيبية أو لأسباب ظاهرية.

4- راجع تفصيل هذا المبحث في كتاب (الفقه: النكاح) و(الفقه: الآداب والسنن) و(العائلة) للإمام المؤلف.

5- جامع الأخبار ص101 الفصل58 في التزويج. وسفينة البحار: ج1 ص561، الطبعة القديمة. وفي الخرائج ص940 عنه صلى الله عليه وآله وسلم: (تناكحوا تناسلوا فاني أباهى بكم الأمم) ومثله في غوالي اللئالي ج2 ص125 ح343. والغوالي ج2 ص261 ح1 باب النكاح.

6- جامع الأخبار ص101 الفصل الثامن والخمسون في التزويج.

7- جامع الأخبار ص101 الفصل الثامن والخمسون في التزويج. ومثله في (مسكن الفؤاد) ص22 و23 الباب الأول.

8- دعائم الإسلام ج2 ص191 ح689 فصل في ذكر الرغائب في النكاح. وغوالي اللئالي ج3 ص293 باب النكاح.

وقال (عليه السلام): (تناكحوا تناسلوا) (1).

وقال (عليه السلام): (حصير ملفوف في زاوية البيت خير من امرأة لا تلد) (2).

وفي القرآن الكريم: ((قللت استغفروا ربكم إنه كان غفراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً)) (3).

وقال تعالى: ((ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين)) (4).

وبالعكس من كل ذلك قطع الرحم فإنه يقصر العمر وينقص العدد، وربما أدى إلى اندثار أسر بكاملها.

قولها (عليها السلام): (منماة) لوضوح ان الأرحام إذا وصل بعضهم بعضاً ازدادوا تعاضداً وتعاوناً، وتنامي حالة التآلف والتعاون والتقارب بين الأرحام وتلك توجب كثرة النسل، إذ توفر الأرضية الطبيعية للزواج وتذلل العقبات التي تحول دونه، كما توجب اطمئنان العوائل والأسر بمستقبل أبنائهم فيحضهم ذلك على زيادة النسل، إلى غير ذلك من أسباب النمو العددي.

اما ما يرى اليوم في بعض البلاد الإسلامية من الحث على قلة النسل فهو من حيل الاستعمار (5).

ص: 274

1- غوالي اللثالي ج3 ص288 باب النكاح ح38.

2- غوالي اللثالي ج3 ص288 باب النكاح ح39.

3- نوح: 10-12.

4- الإسراء: 6.

5- راجع كتاب (العائلة) للإمام المؤلف، وفيه تحت عنوان (فكرة تحديد النسل من وراءها): قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (تناكحوا تناسلوا تكثروا). وقال أيضاً: (تناكحوا تناسلوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة ولو بالسقط). والحديثان يتضمنان حكماً وإن كان على سبيل الاستحباب لكن خلافه كخلاف كل مستحب ومكروه لا يكون إلا في حالة الضرورة، فإن صلاة الليل مثلاً مستحبة ولا تسقط عن الاستحباب إلا لضرورة، وهكذا بقية المتسحبات، ويدخل إكثار النسل ضمن هذه القاعدة. لكن ما يجري اليوم خلاف هذه الحقيقة تماماً، فقد أصبحت فكرة (إكثار النسل) فكرة غريبة على المسلمين وأحلوا محلها فكرة (تحديد النسل) التي كانت مستهجنة عند المسلمين حتى قبل سنين. فحتى في أشد فترات التأريخ بؤسا من التاريخ الإسلامي لم نشاهد من يدعو إلى هذه الأفكار المخالفة للعقل والفترة. صحيح إنه كان بعض الحكام يقتربون المنكرات لكن كانت قوانين الإسلام جارية - عادة - في المجتمع فكان الاقتصاد إسلامياً والمجتمع مسلماً، فلم تظهر في هذا المجتمع بوادر سلبية منحرفة. أما اليوم وبعد أن دخل الاستعمار الغربي بلادنا: انقلب كل شئ.. انقلب الحرام حلالاً.. أصبح الغناء أمراً شائعاً.. أصبح القمار أمراً مألوفاً.. وأضحى الضرائب والمكوس والحدود الجغرافية ومصادرة الحريات والكبت والإرهاب والمنع عن الحج أموراً جائزة. وفي هذا الجو المنقلب على الإسلام أتت دعوة من الغرب تدعو المسلمين إلى تحديد النسل، بحجة تدني المستوى الاقتصادي للأسرة، وهبوط مدخولات الدول التي لا تستطيع أن تقي بتعهداتها، من قبيل فتح المدارس وإنشاء المستشفيات، وما إلى ذلك من الخدمات الاجتماعية. أما هم فيشجعون أبناءهم على الزواج المبكر، ويشجعون التناسل والدعوة إلى الزواج والإنجاب، تبدأ مع تدريس الأولاد في الابتدائية وصاعداً. وهناك مخاوف كبيرة لدى العديد من قادة الغرب مفادها: إن

الشعوب الأوربية فى طريقها إلى الانقراض إذا بقى العد العكسى فى معدلات نمو السكان. وهم يعرفون لماذا تنقرض شعوبهم؟ يعرفون السبب الكامن وراء تناقص السكان فى أوروبا.. إن أهم سبب يكمن وراء ذلك هو الدعوة إلى تحديد النسل التى راجت أوروبا فى الستينات، والتى زرعت فى الذهن الأوربية فكرة: إن إنجاب الأولاد هو عمل خاطئ، وظل الأوربيون يحملون هذه الفكرة حتى تضائل نسلهم. واليوم اكتشفوا، إن الخطأ ليس فى عملية الإنجاب بل فى الدعوة إلى تحديد الإنجاب. واليوم ومع الأسف الشديد صدروا لنا هذه الدعوة بعد أن ذاقوا مساوئها، جاءوا بها إلى العالم الإسلامى ليدعوا المسلمين إلى تحديد النسل. وبعيداً عن الهالة التى أحاطوا بهذه الدعوة نستطيع أن نستقصى أهداف الغربيين منها، أنها من أجل دفع المسلمين إلى التضاؤل، فقد وجدوا فى هذه الدعوة السلاح الفتاك القادر على أضعاف المسلمين بعد أن فشلت أسلحتهم الأخرى. نتساءل لماذا لا يطالبون اليهود فى فلسطين المغتصبة بتحديد النسل؟ لماذا لا نجد اليهود لا يعيرون أية أذن صاغية لهذه الدعوة؟ لماذا تشجع إسرائيل الإكثار من النسل، حتى أصبح من المناظر المألوفة - كما يذكر الصحفيون الذين زاروها - منظر النساء الحوامل وهن يجلسن فى الشوارع أو يعملون فى المتاجر أو يدرسن فى المدارس أو يشتغلن كشرطيات؟ لماذا تحرم إسرائيل الدعوة إلى تحديد النسل ونحن المسلمون نحلها، حتى البعض منا يعتبرها من الواجبات كالصوم والصلاة والعياد بالله. إن قضية تحديد النسل دعوة سياسية هدفها تضييف المسلمين ولا علاقة لها بالأمر الاقتصادى بالرغم مما يقولون. فنحن نتساءل: لماذا تحديد النسل؟ هل أن السنن الإلهية تغيرت فى الكون؟ أم أن الطبيعة ومخلوقات الله تبدلت؟ أم أن أحكام الله سبحانه تختص بزمان دون آخر؟ أم لقلّة أراضينا ومياهنا؟ أم لقلّة مواردنا وإمكاناتنا؟ فالعالم الإسلامى يمتلك أراضى شاسعة صالحة للزراعة والعمارة ويمتلك مخزوناً كبيراً من المياه، ويزخر بالموارد والإمكانات التى لا تعد ولا تحصى. فمن غير الصحيح إطلاق أبواق تحديد النسل، إذ ليس هناك أى موجب لهذا العمل. مثلاً: العراق الذى كان يسمى ببلد السواد كانت نفوسه أكثر من أربعين مليون إنساناً فى العهد العباسى حسب تقديرات بعض المؤرخين، واليوم لا يزيد عدد سكانه عن نصف هذا الرقم. وبلد كالسودان ربما كان باستطاعته أن يشبع القارة الإفريقية بأجمعها لما يملكه من أراض صالحة للزراعة وموارد مائية، وهكذا بقية البلاد الإسلامية التى تمتلك ثروة هائلة زراعية ومعدينية ونفطية. لكن إلى أين تذهب هذه الموارد؟ ولماذا تجمد تلك الثروات؟ هذا هو السؤال الذى يجب أن نجيب عنه. هذه هى المشكلة التى يجب حلها. وكل المشاكل هى نابعة من هذه المشكلة. فمشكلة التضخم السكانى، ومشكلة التناقص الاقتصادى، ومشكلة التخلف الاجتماعى، ومشكلة فقدان الاعتبار السياسى، كل هذه المشاكل مصدرها مشكلة واحدة هى جور الحكام وظلمهم. وتعسفهم ودكتاتوريتهم وسيطرتهم على رقاب المسلمين وتسييرهم لأمر البلاد حسب أهوائهم وليس حسب الخطط السليمة ومصالح الشعوب. إن حاكماً واحداً فى بلاد إسلامية هو صدام، سرق - حسب بعض الإحصاءات - من قوت الشعب 300 مليار دولار، مع قطع النظر عما دمره من ثروات الشعب فى حروب عدوانية. فلو أضفنا إليه سرقات الحكام الآخرين على مدى التاريخ الحديث للبلاد الإسلامية فكمن من ثروة المسلمين تبددت على أعتاب أهواء ونزوات هؤلاء الحكام؟ إن هناك من يسرق قوت الشعب، فكان لا بد أن نقول له الحقيقة، ونواجهه بالمسكلة ونقول له أنت سارق، وأن نطالبه بأن يرد أموال الناس إليهم، وليس أن نطالب الناس بأن يشدوا أحزمة الجوع على بطونهم، ونقول لهم كفوا عن الزواج وكفوا عن التناسل، فليس هناك طعام تملثون به أفواه أبناءكم. إن قسماً كبيراً من ثروات البلاد الإسلامية ذهبت إلى بلاد الغرب، فقد دلت الإحصاءات أن خمس البشر يستهلكون أربعة أحماس ثروات العالم، وهم الذين يعيشون فى الدول الصناعية، أما أربعة أحماس البشر وهم الفقيرة الذين يسمونهم بالعالم الثالث فهم لا يستهلكون سوى خمس ثروات الأرض. هنا تكمن الكارثة... فانعدام العدالة فى الأرض وعدم تطبيق القوانين الإسلامية فى التنمية، كقانون (من سبق) وقانون (الأرض لله ولمن عمرها)، ووجود الحكومات الخائفة وسيطرتها على الأمور، وكثرة الموظفين الكابتين لحريات الناس، وسوء التوزيع فى الثروة، وانعدام صوت المعارضة، نسفت الشعوب الفقيرة وديست كرامتها. منعوا عنا الكلام.. ثم منعوا عنا الطعام.. ثم جاءوا اليوم ليقولوا لنا كفى إنجاباً للأولاد.. إن مشكلة النسل تعالج فى الإسلام ضمن سياق النظام الإسلامى القائم على العدالة والتعددية: فبالعدالة يزيل الإسلام الفقر ويزيل الحواجز بين الغنى والفقير والحاكم والمحكوم. وبالتعددية يجعل للشعب صوتاً عالياً قادراً على الكلام بحرية. إن نظرة الإسلام إلى الإنسان تختلف عن نظرة الأنظمة، فبعض الأنظمة ترى فى الإنسان

عبأ ثقيلأ وترى فى كل مولود جديد ضعفأ غير مرغوب فيه، ترى فيه فما جديدأ يضاف إلى الأفواه التى تطالب بالطعام، هذا هو الإنسان فى ظل بعض الأنظمة.. أما فى ظل الإسلام فالإنسان هو قوة حيوية ونشاط متوقد. فالقرآن الكريم يرى فى الإنسان أقوى مخلوق على سطح الكرة الأرضية، ويرى فيه سر التقدم فى الدنيا: (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى). ويرى الإسلام فى كل مولود جديد رقماً يضاف إلى التقدم والرقى، وقد نسب إلى الإمام على (عليه السلام): أتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر ويرى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فى كل ولادة رقماً جديدأ للتفاخر أمام الأمم وحتى لو كان المولود سقطاً لم تكتب له الحياة، أليس هو القائل: (تناكحوا تناسلوا فإنى أباهى بكم يوم القيامة ولو بالسقط). فالمولود الجديد قد يكون عالماً أو مخترعاً أو مهندساً أو أى إنسان آخر يضيف إلى الحياة ساعدأ جديدأ للعمل، ويضيف للتاريخ قيمة وعبرية جديدة. فالحياة لا تشيدها الأدوات والمكانن بل السواعد الهيمية. والحياة لا تديرها الكمبيوترات المتطورة ولا الأقمار الصناعية بل يديرها العقل الكامن فى الإنسان، فكل مولود جديد هو عقل جديد، وهو ساعد جديد، وهو تقدم جديد، فلماذا هذا الخوف..؟ أليس الله سبحانه وعدنا ووعده حق وصدق: (نحن نرزقهم وإياكم)، وقال جل ذكره: (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله). فالزواج هو سبب لإزالة الفقر، والأبناء هم سبب للرزق، هذا فى منطق الوجدان والقرآن والشريعة. أما الذين يرون عكس ذلك، يرون أن الزواج والأبناء سبب لتقليل الرزق يبتعدون كل البعد عن الله سبحانه والقرآن، وعن منطق العقل والحكمة). انتهى.

حق القصاص

مسألة: يجوز القصاص، وليس هو بواجب، فهو (حق) أعطاه الله للمعتدى عليه أو لذويه، له أن يأخذ به وله أن يعفو.

فالمراد بقولها (عليها السلام): (جعل الله القصاص) أى حق القصاص، بل قد يكون الأرجح ترك الأخذ بهذا الحق، ولذا قال تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص .. فمن عفى له عن أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من

ربكم ورحمة)) (1).

وقال عزوجل: ((وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له)) (2).

قال الإمام الصادق (عليه السلام) في تفسيره للآية الشريفة «فمن تصدق به فهو كفارة له»: (يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما عفى عنه من جراح أو غيره). (3).

وجعل الله تعالى حق القصاص، هو الذى (يحقن الدماء)، ولا يلزم جعل (وجوب القصاص) بل جعل الحق أولى بدرجات من جعل الوجوب، لما فيه من رعاية شتى مقتضيات باب التراحم (4) ولذا عبر تعالى ب-: «تصدق» (5) فى الآية الشريفة.

وقد روى: (ان القصاص كان فى شرع موسى (عليه السلام) والدية حتماً كان فى شرع عيسى (عليه السلام) فجاءت الحنيفية السمحة بتسويغ الأمرين) (6).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فى وصيته للمسلمين: (ايها الناس احبوا القصاص) (7).

و(القصاص) أعم من النفس والجوارح والقوة (8) وإن كان فى كلامها (عليها السلام) قد يقال بانصرافه للقتل، نظراً ل- (حقناً للدماء) فتأمل.

ص: 278

1- البقرة: 178. وجاء فى بعض التفاسير سبب ذكر كلمة (اخيه) راجع التبيان ج 2 ص 100. ثم ان التعبير بالأخ يوجب إثارة المحبة والرأفة وقد يدل على أن العفو أحب.

2- المائدة: 45.

3- وسائل الشيعة: ج 19 ص 88 ب 57 ح 2. ودعائم الإسلام ج 2 ص 413 ح 1441 فصل ذكر الديات. وتفسير العياشى ج 1 ص 325 ح 129 من سورة المائدة.

4- إذ كثيراً ما يرى أولياء الدم المصلحة - لأنفسهم أو لغيرهم - فى العفو عن الجانى، وكثيراً ما يرون الأصلح بحالهم أخذ الدية، ولذا خيروا بين القصاص والدية والعفو.

5- المائدة: 45.

6- غوالى اللئالى ج 1 ص 387 ح 18 المسلك الثالث فى احاديث رواها الشيخ العالم.. محمد بن مكى فى بعض مصنفاته.

7- مشكاة الأنوار ص 146 الفصل العاشر فى قول الخير وفعله.

8- كمن أفقد شخصاً قوة الإنجاب أو الفكر أو ما أشبهه.

فلسفة العقوبات الإسلامية

مسألة: من الضروري بيان فلسفة العقوبات في الإسلام للناس، حتى لا يتهموا الإسلام بالغلظة والقساوة، كما أشارت إليها (عليها السلام)، وكما ورد في كثير من الروايات(1).

فإن بعض الناس يتصورون أن بعض العقوبات قاسية من جهة أن الأفضل مثلاً في القتال أن يسجن أو تؤخذ منه الدية لا أن يقتل، لكن هذه المزاعم غير تامة، فإن الإنسان إذا علم أن جزاء القتل هو السجن والغرامة، لا القصاص بالمثل، فإنه عادة لا يعدل عن الجريمة، وخاصة إذا كان قادراً على التحايل والتلاعب بالقانون، من خلال دفع الرشوة، واتخاذ المحامى بالباطل، وتخفيف مدة العقوبة وغير ذلك. ولذلك قالت (عليها السلام): (والقصاص حقناً للدماء).

وقالوا: (قتل البعض إحياء للجميع).

وقالوا: (القتل أنفى للقتل) (2).

وقال القرآن الكريم: ((ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون)) (3).

ومن أوضح الأدلة على ذلك ما نشاهده عن ازدياد الجرائم في العالم الغربي، وهذا بحث طويل نكتفى منه بهذا القدر. (4)

وجوب حقن الدماء

مسألة: حقن الدماء واجب، وإراقتها محرم، ففي الحديث: (زوال الدنيا أهون على الله

ص: 279

1- راجع مثلاً (علل الشرايع) ص 538 باب 326 باب علل نوادر الحدود، وص 543 باب 331 باب العلة التي من أجلها يجلد الزاني مائة جلدة وشارب الخمر ثمانين، وص 534 باب 321 باب العلة التي من أجلها يجلد قاذف المستكرهه، وص 545 باب 335 باب العلة التي من أجلها صار حد القاذف وشارب الخمر ثمانين.

2- فقه القرآن ج 2 ص 402 باب قتل العمدة وأحكامه.

3- البقرة: 179.

4- للتفصيل حول فلسفة العقوبات في الإسلام راجع (العقوبات في الإسلام) لآية الله العظمى السيد صادق الشيرازي، وراجع للمؤلف (موسوعة الفقه ج 87-88 كتاب الحدود والتعزيرات) (و) موسوعة الفقه ج 89 كتاب القصاص).

من إراقة دم مسلم) (1).

وقال (عليه السلام): (من أغان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة بين عينيه مكتوب آيس من رحمة الله تعالى) (2).

وقال (عليه السلام): (من أغان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله) (3).

و(القصاص) المذكور في كلامها (عليها السلام) هو إحدى الطرق التي تؤدي إلى حقن الدماء، فكل ما يؤدي - ولو تسبباً - إلى إراقة الدم محرم، من غير فرق بين إراقة الدم كلياً كالقتل، أو جزئياً كما في قطع يد أو رجل أو فقا عين أو جدد أنف أو صلصم اذن أو ما أشبه ذلك.

ولا يخفى أن وجوب (حقن الدم) وحرمة إراقتة من باب المثال، وإلا فمطلق إزهاق النفس حرام ولو بحرق أو غرق أو سم أو ما أشبه ذلك، وهكذا بالنسبة إلى إسقاط عضو عن الفعالية وإذهاب قوة.

نعم لا- يجوز القصاص بالمثل في بعض الموارد، مثلاً- من أحرق إنساناً فإنه لا يحرق في قبالة، كما أن من أغرق شخصاً فإنه لا يغرق كما اغرق، وهكذا، وقد ثبت هذا الاستثناء بالأدلة الخاصة المخصصة لقوله سبحانه:

((فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)) (4).

وقوله سبحانه: ((وجزاء سيئة سيئة مثلها)) (5) وما أشبه ذلك من العمومات التي لولا التخصيص لكانت شاملة لكل الأقسام. (6)

ص: 280

1- مجموعة ورام ج 1 ص 85 باب العتاب.

2- ثواب الأعمال ص 276 عقاب من أغان على قتل مؤمن. وأعلام الدين ص 410 باب ما جاء من عقاب الأعمال.

3- غوالي اللئالي ج 2 ص 333 ح 48 باب الصيد وما يتبعه.

4- البقرة: 194.

5- الشورى: 40.

6- راجع حول هذا المبحث (الفقه: القصاص) و(الفقه: الحدود) و(الفقه: الديات) و(الفقه: القواعد الفقهية) للامام المؤلف.

وجوب الوفاء بالندر

مسألة: يجب الوفاء بالندر(2) اذا اجتمعت فيه شروطه، وفي مخالفته الكفارة، كما فصلناه في الفقه(3)، بخلاف النذر المنهى كما ورد: (ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نهى عن النذر لغير الله ونهى عن النذر في معصية او قطيعة رحم)(4).

قال تعالى: ((يوفون بالندر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً))(5).

وهذا مما يشير إلى أن عدم الوفاء بالندر يعرض الإنسان لشدة ذلك اليوم.

وقال سبحانه: ((واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم))(6).

وقال جل وعلا: ((ليوفوا نذورهم))(7).

وقال (عليه السلام): (كن منجزاً للوعد موفياً بالندر)(8).

ولا يبعد أن يراد بالندر في قولها (عليها السلام) الأعم من النذر واليمين(9)

ص: 281

-
- 1- وفي بعض النسخ: (والوفاء بالندور) راجع كشف الغمة ج 1 ص 484 فاطمة عليها السلام. وفي بعضها: (والوفاء بالعهود تعرضاً للمغفرة) راجع دلائل الإمامة ص 33 حديث فذك.
 - 2- راجع موسوعة الفقه ج 74 و 75 (كتاب النذر).
 - 3- راجع (المسائل الإسلامية) ص 687-689 احكام النذر والعهد المسألة (2949-2978).
 - 4- دعائم الإسلام ج 2 ص 100 ح 319 فصل في ذكر النذور.
 - 5- الإنسان: 7. وقد صرح المفسرون من الفريقين بأن هذه الآيات نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.
 - 6- النحل: 91.
 - 7- الحج: 29. واضح أن المورد لا يخصص الوارد.
 - 8- غرر الحكم ودرر الكلم ص 252 ح 5284 الفصل الثاني موجبات عزة النفس.
 - 9- قال في مجمع البحرين: (الندر لغة الوعد، وشرعاً: التزام المكلف بفعل أو ترك متقرباً).

الاصطلاحيين، فإن (نذر) بمعنى الفرض والإيجاب(1) واليمين: القسم وفيه الغرض، وهو - على قول (2) مأخوذ من اليد اليمنى حيث أن المتحالفين كانا - غالباً - يضرب كل واحد منهما يمينه بيمين صاحبه فيتحالفان(3).

ومنه يعلم حال العهد ايضاً، فهو قسم من النذر بالمعنى الأعم...

وكان اهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) المصداق الأ-جلى لمن يوفون بالنذر، قال تعالى: ((يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً)) (4).

وكان وفائهم به فى المرتبة العليا، وكانوا هم الأولى بصدق هذه الصفة عليهم، كما فى قصة نزول سورة «هل أتى» (5) وغيرها.

قولها (عليها السلام): (والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة) فان الله سبحانه تفضل على من وفى بنذره بغفران ذنبه، ومن الممكن أن يكون ذلك عقلياً أيضاً، يراد به المغفرة الدنيوية والأثر الوضعى التكوينى، فالنذر معناه الإيجاب،

فمن أوجب على نفسه شيئاً اذا وفى به ستر فى المجتمع ما سلف من أخطائه، فيكون نظير معنى قوله تعالى: ((ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر)) (6).

ص: 282

1- قال فى لسان العرب: (نذرت، أنذرت، وأنذرت نذراً: إذا أوجبت على نفسك شيئاً من عبادة أو صدقة أو غير ذلك).

2- والقول الثانى: ان اليمين مأخوذ من اليمن بمعنى البركة، والقول الثالث: من اليمين بمعنى القوة. راجع مجمع البيان ج 10 ص 496.

3- ومن معانى اليمين: (القوة والقدرة.. والحلف والقسم) راجع لسان العرب مادة (يمن).

4- الانسان: 7.

5- وتسمى هذه السورة بسورة الإنسان، وهى مدنية، رقمها 76، وعدد آياتها: 31.

6- الفتح: 2، وفى (عيون أخبار الرضا (عليه السلام)) ج 1 ص 202: قال (عليه السلام): (لم يكن أحد عند مشركى اهل مكة اعظم ذنباً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمائة وستين صنماً فلما جاءهم بالدعوة الى كلمة الإخلاص كبر ذلك عليهم وعظم، وقالوا: أجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب.. فلما فتح الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم مكة، قال لمحمد (انا فتحنا لك فتحة مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) عند مشركى أهل مكة بدعائك الى التوحيد فيما تقدم وما تأخر، لان مشركى مكة أسلم بعضهم وخرج بعضهم عن مكة، ومن بقى منهم لم يقدر على انكار التوحيد عليه اذا دعا الناس اليه، فصار ذنبه عندهم فى ذلك مغفوراً بظهوره عليهم). وراجع أيضاً (قصص الانبياء) للجزائرى ص 17 خاتمة فى بيان عصمة الأنبياء وتأويل ما يوهم خلافه.

ومما يؤيده قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (...وإذا نقضوا العهد سلط الله عليهم عدوهم) (1).

ولكن قد يقال: بان الظاهر ارادة المعنى الأول فى قولها (عليها السلام): (تعريضاً للمغفرة) ويمكن القول بإرادة كلا المعنيين، فتكون اللام للجنس، ولا يلزم منه استعمال اللفظ فى أكثر من معنى، كما لا يخفى.

هذا وقد ورد فى بعض التفاسير: (يوفون بالنذر: الذى اخذ عليهم من ولايتنا) (2).

وعنه (عليه السلام): (يوفون لله بالنذر الذى أخذ عليهم فى الميثاق من ولايتنا) (3).

التعريض لمغفرة الله

مسألة: من اللازم ان يجعل الإنسان نفسه فى معرض مغفرة الله سبحانه، وان يتجنب المواطن التى تجعله فى معرض غضبه تعالى (4).

فمصاحبة الأختيار والجلوس فى مجالسهم والنية الصالحة وان لم يمكنه تحقيقها خارجاً وشبه ذلك، مما يجعل الإنسان فى معرض مغفرته جل وعلا، وفى الحديث الشريف: (ان لربكم فى ايام دهركم نفحات الافتعروضوا لها) (5).

وقال تعالى: ((وسارعوا الى مغفرة من ربكم)) (6). وقال سبحانه: ((والله يعدكم

ص: 283

1- وسائل الشيعة ج 11 ص 513 ب 41 ح 2، وفيه: (عن الباقر (عليه السلام) قال: وجدنا فى كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم...)
وسفينة البحار مادة (كيل).

2- تفسير (نور الثقلين) ج 5 ص 477 ح 26.

3- تفسير (نور الثقلين) ج 5 ص 477 ح 27.

4- فمثلاً قال الإمام الصادق (عليه السلام): (لا تجالسوا شراب الخمر، فان اللعنة اذا نزلت عمت من فى المجلس) سفينة البحار مادة (خمر). وقال (عليه السلام): (لا تجالسوا لنا عائناً) الخصال ص 614 علم امير المؤمنين (عليه السلام) أصحابه فى مجلس واحد اربعمائة باب..

5- بحار الأنوار ج 80 ص 352 ب 8 ح 48.

6- آل عمران: 133.

مغفرة منه وفضلاً» (1). ومن البين ان ما يوجب التعرض لمغفرة الله الواجبة واجب، وما يوجب من المستحبات مستحب. و(الوفاء بالنذر) من الواجبات التي جعلها الله سبحانه (تعريضاً لمغفرته) فهو بيان منها (سلام الله عليها) لإحدى الطرق التي تقود الى ذلك.

وتوفية المكيال والميزان تغييراً للبئس (2)

توفية المكيال والميزان

توفية المكيال والميزان (3)

مسألان: يجب توفية المكيال والميزان، ويحرم مطلق البئس (4) وقد عده (عليه السلام) من الكبائر، حيث قال عليه السلام: (واجتناب الكبائر وهي .. البئس في المكيال والميزان) (5).

وفي حديث المسوخ قال (عليه السلام): (واما الجرى فمسوخ لانه كان رجلاً من التجار وكان يبئس الناس بالمكيال والميزان) (6).

ولا يخفى أن المكيال والميزان في الآيات الشريفة (7) وفي كلامها (عليها السلام) من باب المثال، وإلا ففي المعدود والمذروع وما أشبه ذلك، يكون الحكم كذلك.

ص: 284

1- البقرة: 268.

2- وفي بعض النسخ: (للبيخسة) راجع كشف الغمة ج 1 ص 484. وفي بعض النسخ (ووفاء المكيال والميزان) راجع دلائل الإمامة ص 33 حديث فذك.

3- حول هذه المباحث راجع (موسوعة الفقه) كتاب البيع، والاقتصاد، والواجبات والمحرمات.

4- البئس: النقص والظلم.

5- عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ج 2 ص 127 ب 35 باب ما كتب الرضا (عليه السلام) للمأمون في محض الإسلام وشرايع الدين.

6- الاختصاص ص 137 المسوخ وسبب مسخها، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

7- قال تعالى: (ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) «المطففين: 13». وقال سبحانه: (يا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين) «هود: 85».

وبالتلازم (1) يفهم أن كل بخس حرام، قال سبحانه: ((ولا تبخسوا الناس أشياءهم)) (2) سواء كان البخس في الماديات أو في المعنويات، ويستثنى ما خرج بالخصوص أو بالانصراف.

وقد يستند إلى هذه الآية ونظائرها في حق التأليف والطبع والاختراع وأشباهها، فتأمل.

وفي بعض الروايات في تفسير قوله تعالى: ((ولا تخسروا الميزان)) (3) قال (عليه السلام): (لا تبخسوا الامام حقه ولا تظلموه) (4).

قولها (عليها السلام): (وتوفية) فإن الكيل والوزن إذا أعطيا بالحق لا يكون هناك بخس في الأموال ونقص في الثروات، لأن المجتمع إذا جرى على عدم التوفية تحول الناس إلى لصوص، إذ النقص في المكيال والميزان نوع من السرقة، واللصوصية توجب بخس ثروات الأمة حيث يتحول المجتمع عندئذ من مجتمع منتج متناسف تنافساً إيجابياً إقتصادياً، إلى مجتمع متحايل يحاول أن يخدع بعضهم بعضاً، وحينئذ تنعدم الثقة وتتدنّى نسبة التعاون إلى أدنى الدرجات، والمجتمع غير المتعاون لا يتقدم، ولا تنمو ثرواته، بل تتناقص وتتضائل.

قال الإمام الباقر (عليه السلام): (وجدنا في كتاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):... وإذا طفف الميزان والمكيال أخذهم الله بالسنين والنقص). (5)

والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس

حرمة شرب الخمر

ص: 285

1- أى التلازم في كلامها (صلوات الله عليها) بين (جعله تعالى توفية المكيال والموازين) وبين (تغييرا للبخس).

2- هود: 85. والأعراف: 85.

3- الرحمن: 9.

4- بحار الأنوار ج 16 ص 88 ب 6 ح 14. والبحار ج 24 ص 68 ب 30 ح 1.

5- وسائل الشيعة: ج 11 ص 513 ب 41 ح 2. وسفينة البحار: مادة (كيل). والأمالى للشيخ الصدوق ص 308 المجلس 51. وثواب الأعمال ص 252 عقاب المعاصي. وتحف العقول ص 51.

مسألة: يحرم شرب الخمر، ويجب النهي عنه، لإطلاقات أدلة النهي عن المنكر.

ولقولها (عليها السلام): (والنهي...) على تقدير كون المراد به (نهيكم) لا (نهيه) فتأمل(1).

نظراً لأن اللام قد يكون عوضاً عن المضاف إليه وهو ضمير الجمع، أو الضمير الراجع إليه تعالى، فيكون المعنى: جعل الله(2) نهيكم عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس(3).

ويؤيده: أن ما سبق وما سيلحق من الجمل - إلا ما خرج بقائم البرهان(4) - مصاديق فعل العبد(5).

ويؤيده أيضاً - بل يدل عليه على ذلك التقدير - وجود (فترض) في بعض النسخ بدل (فجعل)(6)، هذا ومن المحتمل أن يكون المراد باللام: الجنس أو العهد.

ثم إن المراد بالخمر: كل مسكر(7) وقد سميت الخمر خمراً لمخامرتها العقل لأنها تستر وتغويه.

كما أن الحرمة تعم كل ما أوجب الإسكار ولو بالحقنة أو بالتدخين أو ما أشبه

ص: 286

1- قد يكون إشارة إلى أنه يمكن الاستدلال حتى لو اريد بالنهي نهيه تعالى، فدقق.

2- إذ هذه الجمل المتعاقبة كلها مفعول ل- (فجعل الله (الوارد في مطلع كلامها عليها السلام).

3- فيكون نهى الناس بعضهم بعضاً عن شرب الخمر وردعهم عنه هو المجعول والمقرر من قبله تعالى، أى المأمور به من قبله، أى أنه أمر: بالنهي عن الشرب.

4- وهو: (إمامتنا...) وهذا مما دل عليه الدليل العقلي والنقلي، فلا مناص من الإلتزام بكونه فعله تعالى مباشرة، أما (النهي) (فجائز الوجهين، فكان الأرجح نظراً للسياق إرادة (نهيكم) من كلامها عليها السلام.

5- فالإيمان والصلاة والزكاة والصيام وما أشبه مما سبق، واجتناب القذف وترك السرقة مما سيأتى، وكان من الممكن أن تقول عليها السلام: اجتناب شرب الخمر.

6- حيث قالت عليها السلام: على هذه النسخة: (فترض الله الإيمان.. والنهي عن شرب الخمر) فالنهي مفعول ل- (فترض).

7- قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يا حبيبة أيتها: كل مسكر حرام وكل مسكر خمرة) «سفينة البحار: مادة خمرة» وفي مجمع البحرين مادة خمرة: (الخمر فيما اشتهر بينهم: كل شراب مسكر ولا يختص بعصير العنب)، وفي القاموس: (والعموم أصح...).

ذلك (1) لما دل على حرمة كافة أنواع استعماله قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ألا أيها الناس أنهاكم عن كل مسكر). (2)

وقال (عليه السلام): (كل مسكر حرام) (3).

وقال (عليه السلام): (كل مسكر خمر) (4).

وقال (عليه السلام): (شرب الخمر اشر من ترك الصلاة) (5).

وقال (عليه السلام): (.. وشرب الخمر وهو فح الشيطان) (6).

وقال (عليه السلام): (وشرب الخمر مفتاح كل شر) (7).

وقال (عليه السلام): (ما بعث الله نبياً الا بتحريم الخمر) (8).

وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (لعن الله الخمر وشاربيها وساقبيها وبياعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه) (9).

قال تعالى: ((انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون)) (10).

وقال سبحانه: ((يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير)) (11).

وقال عز وجل: ((انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر

ص: 287

1- راجع موسوعة الفقه: ج 76 كتاب (الأطعمة والأشربة) المسألة 22.

2- بحار الأنوار ج 63 ص 486 ب 1 ح 9. والبحار ج 76 ص 170 ب 88 ح 10.

3- ثواب الأعمال ص 285. واعلام الدين ص 416.

4- تحف العقول ص 422. والمسائل الصاغانية ص 114.

5- علل الشرايع ص 476 ح 1.

6- الخصال ص 113 ح 91 الفتن ثلاث.

7- ثواب الأعمال ص 244 عقاب الخيانة والسرقة و..

8- تفسير القمى ج 1 ص 194 سورة الأنعام.

9- غوالي اللئالى ج 1 ص 166 ح 176.

10- المائدة: 90

11- البقرة: 219.

والميسر ويصدقكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون)) (1).

ثم إن العلة معممة ومخصصة (2) والملاك (3) مستفاد من جملة من الروايات، بل بعض الآيات مثل قوله سبحانه:

((لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون)) (4).

فإن من سكر لا يعلم ما يقول، سواء كان السكر بالشراب أم بالطعام أم بغير ذلك من الطرق الموجبة لإدخال المسكر في البدن ولو بالتنفس.

وكذا قوله تعالى: ((إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر)) (5) أما حرمة شرب حتى القطرة من الخمر فبالدليل الخاص (6).

قولها (عليها السلام): (والنهي عن شرب الخمر) حيث أن شرب الخمر كان شائعاً في الجاهلية، قد حرمه الإسلام، وكانت بعض النفوس تحن إليه عوداً على ما كانوا عليه، ولذا خصصته الزهراء (عليها السلام) بالذكر وإلا فهو كسائر محرّمات الأكل والشرب كالميتة ولحم الخنزير والدم وما أشبهه.

نعم إن الخمر رأس كل شر، فقد قال الإمام الصادق (عليه السلام): (إن الخمر أم الخبائث ورأس كل شر، يأتي على شاربها ساعة يسلب لبه فلا يعرف ربه، ولا يترك معصية إلا ركبها، ولا يترك حرمة إلا انتهكها، ولا رحماً ماسة إلا قطعها ولا فاحشة إلا أتاها). (7)

وقال (عليه السلام): (وإن من شرب منها جرعة لعنه الله وملائكته ورسله والمؤمنون، وإن شربها حتى يسكر منها نزع روح الإيمان من جسده، وركبت فيه روح سخيفة خبيثة ملعونة). (8)

ص: 288

1- المائة: 91.

2- الظاهر أن المراد بالعلة (الإسكار) وهي تعميم الحرمة لغير الشرب، كالحقنة أيضاً.

3- الظاهر أن المراد بالملاك (ملاك كون الإسكار محرماً) فهو علة العلة.

4- النساء: 43.

5- المائة: 91.

6- راجع موسوعة الفقه ج76 كتاب الأطعمة والأشربة المسألة 22.

7- وسائل الشيعة: ج17 ص253 ب12 ح11. ومثله في (الاحتجاج) ص346 احتجاج أبي عبد الله (عليه السلام).

8- وسائل الشيعة: ج17 ص238 ب9 ح4.

وقال (عليه السلام) : (ولم تقبل صلاته أربعين يوماً، ويأتي شاربها يوم القيامة مسوداً وجهه، مدلعا لسانه، يسيل لعابه على صدره).⁽¹⁾

وقال (عليه السلام) : (ينادى العطش العطش).⁽²⁾

وإن شرب الخمر رجس، لأنه يوجب السكر الذي هو مفتاح كل شر، والرجس بمعنى ما يؤدي للموبقات.⁽³⁾

المخدرات

مسألة: ومن ذلك يعلم حرمة استعمال المخدرات أيضاً الموجبة لذهاب العقل، لأن العلة عامة وإن كان المورد خاصاً.

وربما يمكن استفادة ذلك من قولها (عليها السلام): (تنزيهاً عن الرجس) إذ الرجس هو القذر، وقد روى بسند صحيح عن أبي الحسن الماضى (عليه السلام) : (إن الله لم يحرم الخمر لاسمها ولكن حرمها لعاقبتها فما كان عاقبته عاقبة الخمر فهو خمر)⁽⁴⁾ وكذلك ما علل فيه حرمة الخمر بأن شاربها لا يعرف أمه وأخته و...⁽⁵⁾. وأما غير الموجب لذهاب العقل منها⁽⁶⁾ فحرمة منوطة بما إذا أضر ضرراً بالغاً.⁽⁷⁾

اجتناب الرجس

مسألة: يجب تجنب الرجس، وذلك في مراتب منه وفي مصاديق كثيرة منه مما لاشك فيه، ولكن هل يمكن تأسيس الأصل في ذلك والالتزام بحرمة كل ما صدق عليه هذا العنوان بما هو

ص: 289

- 1- وسائل الشيعة: ج 17 ص 237 ب 9 ح 2.
- 2- وسائل الشيعة: ج 17 ص 244 ب 9 ح 24.
- 3- في القاموس: (الرجس: العمل المؤدى إلى العذاب). وفي لسان العرب، مادة (رجس): (الرجس: القذر.. النجس.. وقد يعبر به عن الحرام والفعل القبيح والعذاب واللعنة والكفر).
- 4- وسائل الشيعة: ج 17 ص 273 ب 19 ح 1.
- 5- راجع الوسائل ج 17 ص 353 ب 12 ج 11. والاحتجاج ص 346 احتجاج أبي عبد الله (عليه السلام).
- 6- أى من المخدرات.
- 7- راجع موسوعة الفقه ج 76، كتاب (الأطعمة والأشربة) المسألة 22.

لا يبعد ذلك، وربما أمكن الاستناد إلى كلامها (عليها السلام) لإثباته، والأمر بحاجة إلى مزيد من التأمل.

والمراد بالرجس: القذارة والخبائثة(1) فإن القذارة قد تكون مادية في النفس أو الجسد وقد تكون معنوية، قال سبحانه وتعالى: ((فاجتنبوا الرجس من الأوثان)) (2).

وهذا رجس معنوى فى قبالة الرجس المادى فى النفس الموجب للسكر، والرجس البدنى كالتلوث بالقذارات الخارجية.

قال تعالى: ((انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا)) (3) فهم (عليهم السلام) منزهون عن الرجس بما للكلمة من معنى، كما دل على ذلك مختلف الروايات(4). وفى الدعاء: (اعوذ بالله من الرجس) (5).

هذا وقد فسر الرجس ايضا بالشك، قال (عليه السلام): (الرجس هو الشك) (6)، ويعمل الشيطان(7) وبالنجس(8).

ص:290

1- الرجس بمعنى: القذر، النجس، الفعل القبيح... راجع لسان العرب وغيره، وفى القاموس: (...كل ما استقذر من عمل) ومن معانيه: وسوسة الشيطان، كما فى (المنجد).

2- الحج: 30.

3- الأحزاب: 33.

4- راجع التفاسير، فى تفسير هذه الآية المباركة من سورة الأحزاب.

5- البلد الأمين ص2 فيما يتعلق بأداب التخلّى.

6- راجع معانى الأخبار ص138 ح1 باب معنى الرجس، وتفسير العياشى ج1 ص249 ح169 من سورة النساء.

7- راجع تأويل الآيات ص449 سورة الأحزاب.

8- راجع مجموعة ورام ج1 ص24، ومتشابه القرآن ج2 ص158.

حرمة القذف والسب

مسألة: يحرم القذف، وفيه الحد، وتفصيل الكلام في الفقه(2).

والقذف هنا: يعم السب والفحش واللعن وما أشبه ذلك(3).

قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): (واعلموا ان القذف والغيبة يهدمان عمل ألف سنة(4)).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (القذف من الكفر والكفر في النار(5)).

وقال (عليه السلام): (ان الكبائر احد عشر.. الشرك بالله عزوجل وقذف المحصنة..)(6).

وهل يراد بالقذف ما ارتبط بالعرض أو مطلقاً؟ فإن أصل القذف الرمي(7) ثم استعمل فيما يرتبط بالعرض، لكن هل غلب على ما يرتبط بالعرض

بالمعنى الأخص بحيث أصبح حقيقة تعينية فيه أم لا؟.

احتمالان، وإن كان المنصرف الأول(8) والإطلاق يقتضى الثانى، قال الشاعر:

ص: 291

1- وفي بعض النسخ: (اجتناب قذف المحصنة حجاباً عن اللعنة) راجع دلائل الامامة ص 33 حديث فدك. وفي بعض النسخ: (واجتناب قذف المحصنات حجاباً عن اللعنة) راجع علل الشرايع ص 248 ح 2 باب علل الشرايع واصول الاسلام.

2- راجع موسوعة الفقه ج 87-88 كتاب الحدود والتعزيرات ص 321-383.

3- القذف: السب، وقذف المحصون أى سبها، «لسان العرب»، قذف الرجل: رماه واتهمه بريئة، وقاذفة: راماه وشاتمة«المنجد»، والمقذف: الملعن«القاموس».

4- جامع الأخبار ص 158 الفصل العشرون والمائة في قذف النساء.

5- جامع الأخبار ص 158 الفصل العشرون والمائة في قذف النساء.

6- غوالى اللئالى ج 1 ص 88 الفصل الخامس.

7- راجع (لسان العرب) مادة (قذف).

8- فى (مجمع البحرين): قذف المحصنة رماها بفاحشة. وفى (القاموس): قذف المحصنة رماها بزنية. وفى (لسان العرب): القذف رمى المرأة بالزنا أو ما كان فى معناه، ويؤيد هذا المعنى النسخة الاخرى لكلامها عليها السلام (واجتناب قذف المحصنات) على ما نقله آية الله السيد محمد كاظم القزوينى (رحمه الله) فى كتابه: (فاطمة الزهراء من المهدي إلى اللحد).

(ولست بقائل قذفاً ولكن لأمر ما تعبدك العبيد)

وفى بعض النسخ (1) (قذعاً) مكان (قذفاً)، والقذع هو القذف والرمى بالفحش وسوء القول (2)، فإن الخليفة كان يجمع من الغلمان الخناثي ثم يبيت معهم من أول الليل إلى الصباح يتعاطون الفاحشة، وإلى ذلك أشار الشاعر فى هذا البيت.

وقال شاعر آخر:

(ولا يبيت لهم خنثى تنادمهم ولا يرى لهم قرد له حشم)

وذكرنا بعض التفصيل فى كتاب (ممارسة التغيير) (3).

ثم إن هناك آثاراً وضعية للقذف خصوصاً الرمى بالفاحشة، وذلك لأن من قذف قذف، فترجع اللعنة اليه كأثر وضعى تكوينى لذلك، فمن الحكمة فى فرض اجتناب القذف هى الحيلولة عن رجوع ضرره ولعنه إلى نفس القاذف، قال سبحانه: ((ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم)) (4).

وقال على (عليه السلام): (انى أكره لكم أن تكونوا سبائين). (5)

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر واكل لحمه من معصية الله وحرمة ماله كحرمة دمه) (6).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من سب علياً فقد سبنى ومن سبنى فقد سب الله

ص: 292

1- أى بعض نسخ الشعر.

2- وفى (لسان العرب) مادة (قذع): (القذع: .. الفحش .. قذعه: .. رماه بالفحش وأساء القول فيه .. واقذع القول: اساءه.. الهجاء المقذع: الذى فيه فحش وقذف وسب يقبح نشره.. اقذع له: أفحش فى شتمه).

3- راجع كتاب (ممارسة التغيير لإتخاذ المسلمين) ص 329-438.

4- الأنعام: 108.

5- بحار الأنوار: ج 32 ص 561 ب 12 ح 466.

6- جامع الأخبار ص 160 الفصل الخامس والعشرون والمائة، فى السب.

عزوجل (1).

ولعل قولها (عليها السلام): (حجاباً عن اللعنة) إشارة إلى قوله سبحانه: ((إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة)) (2).

لا- يقال: فلماذا نرى كلمات اللعن والسب أو ما أشبهه في القرآن الحكيم، مثل قوله سبحانه: ((إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم)) (3) وكذلك سب الأشخاص مثل: «عتل بعد ذلك زنيم» (4).

قال تعالى: ((اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون)) (5).

وقال سبحانه: ((اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار)) (6).

وقال عزوجل: ((وان عليك اللعنة الى يوم الدين)) (7).

وقال جل ثناؤه: ((ولهم اللعنة ولهم سوء الدار)) (8).

لأنه يقال: إذا كان النقص واقعياً ورجع الأمر إلى إرشاد الطرف أو إرشاد أهله وعشيرته أو الآخرين لزم، وهذا ليس من السباب في شيء بل داخل في إرشاد الجاهل وتنبه الغافل وإراءة الطريق للضال، فالمنع والجواز لهما موردان وهذان عقليان قبل أن يكونا شرعيين.

هذا بالإضافة إلى أن كلمات اللعن وشبهه الموجودة في القرآن الكريم كثيراً منها لا توجه إلى أسماء معينة مذكورة، بل إلى من يحمل تلك الصفات الرذيلة (9) أو

ص: 293

1- جامع الأخبار ص 161 الفصل الخامس والعشرون والمائة، في السب. والأمالى للشيخ الصدوق ص 97 المجلس 21. وعيون أخبار الرضا (عليه السلام) ج 2 ص 67 ح 308. والمناقب ج 3 ص 221. وغوالى الثالتي ج 4 ص 87 ح 109.

2- النور: 23.

3- الأنبياء: 98.

4- القلم: 13.

5- البقرة: 159.

6- الرعد: 25.

7- الحجر: 35.

8- غافر: 52.

9- مثلاً- قوله تعالى: (ولا- تطع كل حلاف مهين، هماز مشاء بنميم، مناع للخير معتد أثيم، عتل بعد ذلك زنيم) «القلم: 8-13» وقوله سبحانه: (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبس القرار) «ابراهيم: 28-29» وقوله تعالى: (وخاب كل جبار عنيد) «ابراهيم: 15» وقوله سبحانه: (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) «التوبة: 118» وقوله تعالى: (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين... والله يشهد انهم لكاذبون) «التوبة: 107» وقوله سبحانه: (فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي

قيل لهم... وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئس بما كانوا يفسقون... فخلف من بعدهم خلف..» (الأعراف: 162-169) وقوله تعالى: (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة) (الأحزاب: 57).

الامم السابقة، فالتركيز يكون على الصفات والأفكار والعقائد وأنواع السلوك والعمل، لا الأفراد بأنفسهم، أما ما توجه الى أسماء معينة كقوله تعالى: ((تبت يدا أبي لهب)) (1) فإنه يدخل في باب التزاحم والأهم وما أشبه كما لا يخفى.

الاجتناب عن اللعنة

مسألة: يجب أن يتعد الإنسان عن المواطن التي توجب له (اللعنة) (2) في الجملة، قال تعالى: ((ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً)) (3).

واستظهار ذلك من كلامها (عليها السلام) نظراً للتلازم المتقدم الذي ذكرناه بين العلة والمعلول، والسبب والمسبب ونحوهما، لكن لا يخفى أن اللعن ينصرف إلى معنى: الإبعاد والطرده من الرحمة أو الخير، والبعد كما يكون في أصول الدين والفروع الواجبة، كذلك يكون في الأحكام والفروع المستحبة تركاً، والمكروهة فعلاً، ولذا ورد اللعن بمختلف معانيه في جملة من الروايات:

كقوله (عليه السلام): (ملعون ملعون من نكح بهيمة) (4).

ص: 294

1- المسد : 1.

2- (اللعنة) لغة: تكون لمعاني مختلفة، لعنه: أخزاه، وسبه، وأبعده، وطرده عن الخير، وعذبه، وأهلكه، ودعى عليه، وغيرها، راجع «لسان العرب، المنجد، المجمع وغيرها».

3- الأحزاب: 64.

4- الخصال ص 129 ح 132 ثلاثة ملعونون. ومعاني الأخبار ص 402 ح 67 باب نوادر المعاني.

- وقال (عليه السلام) : (المنجم ملعون، والكاهن ملعون، والساحر ملعون، والمغنية ملعونة) (1).
- وقال (عليه السلام) : (ملعون من ظلم أجييراً أجرته) (2).
- وقال (عليه السلام) : (ملعون من سب والديه) (3).
- وقال (عليه السلام) : (من آذى الله فهو ملعون) (4).
- وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : (ناكح الكف ملعون) (5).
- وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : (من لعب بالشطرنج ملعون) (6).
- وقال (عليه السلام) : (المحتكر ملعون) (7).
- وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : (ملعون ملعون من ضيع من يعول) (8).
- وقال (عليه السلام) : (ملعون من جلس على مائدة يشرب عليها الخمر) (9).
- وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : (ملعون ملعون مبغض على بن أبي طالب (عليه السلام)) (10).
- وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : (ملعون ملعون من يظلم ابنتى فاطمة (عليها السلام)) (11).
- وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : (من أبغض عترتى فهو ملعون) (12).

ص: 295

-
- 1- الخصال ص 297 ح 67 خمسة ملعونون.
 - 2- دعائم الاسلام ج 2 ص 74 فصل فى ذكر الاجارات.
 - 3- مجموعة ورام ج 1 ص 111.
 - 4- روضة الواعظين ص 293. وجامع الأخبار ص 147 الفصل العاشر والمائة.
 - 5- غوالى اللئالى ج 1 ص 260 الفصل العاشر ح 38.
 - 6- غوالى اللئالى ج 1 ص 260 الفصل العاشر ح 40.
 - 7- غوالى اللئالى ج 2 ص 242 باب المتاجر ح 3.
 - 8- غوالى اللئالى ج 3 ص 193 باب التجارة ح 1.
 - 9- المحاسن ص 585 ح 77 باب موائد الخمر.
 - 10- كنز الفوائد ج 1 ص 149.
 - 11- العدد القوية ص 225 نبذة من احوال الصديقة الطاهرة. وكنز الفوائد ج 1 ص 149.
 - 12- جامع الأخبار ص 84 الفصل الأربعون.

وقال (عليه السلام) : (ملعون ملعون من أذى جاره) (1).

وقال (عليه السلام) : (ملعون ملعون قاطع رحمه) (2).

وقال (عليه السلام) : (شارب الخمر ملعون) (3).

كما ورد (4) عنه (عليه السلام) : (من كان آخر يوميه شرهما فهو ملعون) (5).

وقال (عليه السلام) : (ملعون من القى كله على الناس) (6).

وقال (عليه السلام) : (الجالس في وسط القوم ملعون) (7).

وقال (عليه السلام) : (معلون من أخر العشاء الى ان تشتبك النجوم) (8).

وقال (عليه السلام) : (المنان على الفقراء ملعون في الدنيا والآخرة) (9).

وقال (عليه السلام) : (ملعون من لم ينصح أخاه) (10).

ومثل ما ورد من اللعن لمن أكل زاده وحده أو نام في بيت وحده أو ركب الفلاة وحده (11)، أو ما أشبه ذلك.

والمراد من (اللعة) في قولها (عليها السلام): اللعة التي تسببها المحرمات، وأما اللعن في

ص: 296

1- كنز الفوائد ج 1 ص 149.

2- كنز الفوائد ج 1 ص 149.

3- فقه الرضا (عليه السلام) ص 254.

4- ما سبق من الروايات كانت تدل على الحرمة وما سيأتي على الكراهة.

5- معاني الأخبار ص 342 ح 3 باب معنى المغبون. وكشف الغمة ج 2 ص 252.

6- فقه القرآن ج 2 ص 31 باب المكاسب المباحة. وتحف العقول ص 37.

7- الخرائج ص 1049. وشبهه في (مجموعة ورام) ج 1 ص 30.

8- الاحتجاج ص 479.

9- ارشاد القلوب ص 194 ب 52.

10- كنز الفوائد ج 1 ص 149.

11- راجع مكارم الأخلاق ص 437 الفصل الثالث في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي (عليه السلام). قال صلى الله عليه وآله

وسلم: (يا علي لعن الله ثلاثة: آكل زاده وحده وراكب الفلاة وحده والنائم في بيت وحده).

أصول الدين أو في المكروهات فقولها (عليها الصلاة والسلام) قد تكون منصرفة عنهما. (1)

وترك السرقة إيجاباً للعفة (2)

حرمة السرقة

مسألة: السرقة بمختلف أنواعها - سواء أدت إلى قطع اليد أم لم تؤد، وسواء كانت سرقة للأموال أم للحقوق، وسواء كانت من الأفراد أم الأمم، وكذلك من الأجيال القادمة مما ذكر مفصلاً في الفقه (3) - محرمة، فإنها تسبب الفوضى في المجتمع، وانعدام الأمن، والهرج والمرج، إضافة إلى كونها مصادرة لجهود الآخرين وحقوقهم، وإن جعل حدود العقوبات على أفرادها مختلفة حسب الحكم والمصالح المختلفة. قال (عليه السلام): (ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن) (4).

وجوب التحلى بالعفاف

مسألة: يجب التحلى بالعفة، قال (عليه السلام): (عليك بلزوم العفة والورع) (5).

وقال (عليه السلام): (ان افضل العبادة عفة البطن والفرج) (6).

وقال (عليه السلام): (العفة رأس كل خير) (7).

ص: 297

1- فاللعن في أصول الدين رتبة ودرجة أعلى، وفي المكروهات رتبة أدنى.

2- وفي بعض النسخ: (ومجانبة السرقة) راجع علل الشرايع ص 248 باب علل الشرايع واصول الاسلام ح 1. وكشف الغمة ج 1 ص 484 فاطمة عليها السلام.

3- راجع للإمام المؤلف حول شتى هذه النقاط: (الفقه: الاقتصاد) و(الفقه: الغصب) و(الفقه: الحدود) و(الفقه: الدييات).

4- الخصال ص 608. وعيون اخبار الرضا (عليه السلام) ج 2 ص 124 باب ما كتبه الرضا (عليه السلام) للمؤمنين في محض الاسلام وشرايع الدين. ودعائم الاسلام ج 2 ص 468 فصل في ذكر الحكم في السراق.

5- مستدرک الوسائل ج 12 ص 71 ب 67 ح 13541.

6- الاختصاص: ص 228.

7- غرر الحكم ودرر الكلم ص 255 ح 5399 الفصل الثاني موجبات عزة النفس.

وفى الدعاء: (وارزقنى العفة فى بطنى وفرجى) (1). والمراد بالعفة هنا: العفة عن (ما لا يحل) وهى العفة الواجبة، لأنه من العفة واجب، ومنها مستحب.

والعفة معناها: كف النفس عن الشئ المشين والقبیح (2) فإن كان الشئ المشين محرماً كانت العفة واجبة، وإن كان مرغوباً عنه لا إلى المنع عن النقيض كانت العفة مستحبة، أما العفة فى قولها (عليها السلام) فمنصرفه للأمر الواجب للقرينة، فإن العفة حالة تقتضى حفظ اليد واللسان والبطن والفرج وسائر الجوارح، فإذا سرق إنسان خرق عفته، ومن المعلوم أن خرق العفة يؤدى إلى سائر الموبقات، ولذا ترى السارق لا- يتمتع عادة من اغتصاب النساء وأكل الحرام، إلى غير ذلك. ومن المعلوم أن تفشى عدم العفة فى المجتمع يهدم الاجتماع، ولعل لذلك قرر الشارع للسرقة عقوبة من أشد العقوبات إذا توفرت فيها جميع الشروط المذكور فى الفقه - قال تعالى: ((والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله)). (3)

وحرّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبية (4)

الشرك الجلى والخفى

مسألة: يحرم الشرك الجلى، وكذلك يحرم الشرك الخفى أيضاً (5) فى الجملة، قال تعالى:

ص: 298

1- الإقبال ص 198 ب 25. والإقبال ص 203 ب 26. وص 220 ب 29. وص 227 ب 31. وص 230 ب 32. وص 234 ب 33. وص 239 ب 34 و...

2- جاء فى كتب اللغة: العفة: الامتناع عن ما لا يحل) عن الحرام أو المحارم (وما لا يجمل) أى ما لا يحسن للمرء أن يأتى به (وإنها: النزاهة عن القبائح، وذكروا من مصاديقها: كفى النفس عن السؤال من الناس، راجع (مجمع البيان) و(لسان العرب) و(القاموس) وغيرها.

3- المائدة: 38.

4- وفى بعض النسخ: (والنهى عن الشرك إخلاصاً له تعالى بالربوبية) راجع دلائل الإمامة ص 33 حديث فذك.

5- كالرياء، فانه الشرك الخفى، راجع (منية المرید) ص 217 الفصل الثانى فى آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الاخلاق.

((لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم)) (1).

وقال تعالى فى الحديث القدسى: (يا عيسى لا تشرك بى شيئاً) (2).

وقال عزوجل: (يا موسى.. لا تشرك بى، لا يحل لك الشرك بى) (3).

وهل المراد بالشرك هنا: الشرك الجلى حتى يكون تأكيداً لما تقدم من قولها (عليها السلام): (فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك)، أو الشرك الخفى كالرياء ونحوه حتى يكون تأسيساً؟.

لا يستبعد الثانى، لأن الأصل التأسيس، وإن كان المنصرف من لفظ (الشرك) المعنى السابق فيكون تأكيداً، لكن السياق قد يؤيد الشرك الخفى، إضافة إلى كلمة (إخلاًصاً) المقابلة للشرك الخفى، فهذه الكلمة والسياق وعدم التكرار تقاوم الانصراف البدوى، فتأمل.

كما يمكن التفريق بين هذا المقطع وذاك بالقول بأن المراد بالجعل فى الكلام السابق التكوين، ويكون المراد بالتطهير أيضاً التكويني، والمراد ب- (حرم): التشريع، فلا تكرر.

أو يقال: إن الأول إيجابى إذ (الإيمان) شىء وجودى، والثانى (الشرك) شىء سلبى باعتباره سلباً للإيمان. (4)

أو يقال: بأنه مضاد للأول وكلاهما وجوديان من قبيل (الشجاعة والجبن) ولذا استحق كل منهما الذكر، كغالب الأضداد، سواء كان لها ثالث أم لا، ولا يهم الآن تحقيق ذلك.

ومن لا يشرك فإنه يخلص لله سبحانه بالإذعان له بالربوبية وحده.

ولعلها (عليها السلام) كررت ذلك بلفظين - على القول بأنه تكرر - لشدة الاهتمام به، وهناك بعض الاحتمالات الآخر، والله سبحانه وأوليائه (عليهم السلام) أعلم.

ص: 299

1- لقمان: 13.

2- الامالى للشيخ الصدوق ص 522 المجلس 78. وتنبيه الخواطر ونزهة النواظر ج 2 ص 145. وتحف العقول ص 500 مناجاة الله جل ثناؤه لعيسى بن مريم (عليه السلام).

3- اعلام الدين ص 222.

4- أو يقال بالعكس، نظراً لأن التوحيد سلب الألوهية عما عدا الله، والشرك إثباتها لغيره أيضاً.

ثم إن التحريم ههنا إرشادى، وعلى بعض الآراء مولوى. (1)

فاتقوا الله حق تقاته (2)

مراتب التقوى

مسألة: التقوى لها معان ومراتب، وهى على ذلك تنقسم إلى ما هو واجب وما هو مستحب، ومنها ما يكون من درجات المقربين. (3)

فإن التقوى قد تطلق ويراد بها (الخشية من الله تعالى وهيئته) وعلى هذا فهى حالة نفسانية وملكة روحانية، وقد يراد بها معنى أدق من هذا. (4)

وقد تطلق ويراد بها الإطاعة والعبادة (5) وهو الغالب، وهى على هذا ليست شيئاً وراء إتيان الواجبات وترك المحرمات فقله سبحانه: ((فاتقوا الله ما استطعتم)) (6) وقوله تعالى: ((اتقوا الله حق تقاته)) (7) وما أشبه ذلك، مثل قوله تعالى: ((أطيعوا الله وأطيعوا الرسول)) (8) حيث أن الطاعة ليست شيئاً وراء الإتيان بالواجبات وترك المحرمات بل هذه

ص: 300

1- من الأقوال فى ملاك الأوامر الإرشادية: كل ما استقل به العقل فهو إرشادى، وعلى هذا فتحريم الشرك إرشاد لحكم العقل، ومن الأقوال: ان الإرشادى هو كل ما لزم من اعتباره مولوياً الدور وشبهه، فعلى هذا فتحريم الشرك ههنا مولوى، إذ لا يلزم من اعتباره مولوياً محال، فتأمل.

2- اشارة الى قوله تعالى: (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) آل عمران: 102.

3- قد يكون هذا عطفًا للخاص على العام نظراً لأهميته.

4- قد يكون المراد: تنزيه القلب عن التفكير فى الذنب وهى درجة سامية جداً، وقد يكون المراد: التوقى عن كل ما يشغل القلب عن الله تعالى، بأن يكون القلب معموراً بذكر الله دوماً، وهى درجة أسمى وأعلى كما لا يخفى، وسيأتى بيانه من الإمام المؤلف بعد قليل.

5- قال الإمام الصادق (عليه السلام) عندما سئل عن تفسير التقوى: (أن لا يفقدك الله حيث أمرك ولا يراك حيث نهاك). «الوسائل: ج 11 ص 189 ب 19 ح 14، فى جواب من قال له: أوصنى».

6- التغابن: 16.

7- آل عمران: 102.

8- المائدة: 92.

مصاديقها، وكذلك ههنا فليست التقوى على هذا المعنى أمراً وراء أداء الواجبات وترك المحرمات لوضوح إنه ليس هناك أمران ونهيان، كما أنه ليس هناك واجبان ومحرمات وثوابان وعقaban، على ما ذكر مفصلاً فى علمى الكلام والأصول(1).

وفى الحديث عن ابى بصير قال: (سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عزوجل: ((فاتقوا الله حق تقاته)) قال (عليه السلام): : يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر(2).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) فى خطبة الغدير: (معاشر الناس اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون)(3).

نعم للإطاعة والتقوى مراتب(4) بحسب الأمر والمتعلق وما أشبه، وقد تكون فى المستحب والمكروه، لكن لا على سبيل اللزوم والمنع من النقيض وإنما على سبيل الرجحان، بل من التقوى والإطاعة أيضاً ما يرتبط بالمباحات(5) ل- :

(ان الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه)(6).

و:(ان الله يغضب على من لا يقبل رخصته)(7) وذلك فى قبال من يوجب أو يحرم على نفسه بعض المباحات، قال سبحانه: ((قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق))(8).

الاستزادة من التقوى

ص: 301

- 1- من مواطن هذا البحث : مبحث (الأوامر) و(التجربى والانقياد) و(هل أن الأمر يقتضى النهى عن الضد؟) و(مقدمة الواجب) فى علمى الاصول، يراجع (الوصائل إلى الرسائل) و(الأصول) للإمام المؤلف دام ظله.
- 2- معانى الأخبار ص 240 باب معنى اتقاء الله حق تقاته ح 1.
- 3- العدد القوية ص 176 خطبة النبى صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدیر خم.
- 4- الظاهر أن المراد: إن لها مراتب من حيث درجات الوجوب أو الرجحان وأشدية الطلب.
- 5- وعلى هذا فيكون المراد من التقوى ههنا: التوقى عن تحريم أو إيجاب ما أحله الله تشريعاً، لا الترقى عن مجرد ترك المباح أو فعله، ولو إستمراراً، كيف والفرض انه مباح.
- 6- تفسير القمى ج 1 ص 16.
- 7- سفينة البحار: ج 1 ص 517 « الطبعة القديمة». والمناقب ج 4 ص 414 فصل فى آياته (عليه السلام) .
- 8- الأعراف: 32.

مسألة: حق التقوى هو العبودية المطلقة لله سبحانه وتعالى، أى العبودية التى لا تشوبها شائبة رياء أو سمعة أو عجب، او أى نوع من أنواع الأنانية، بل كما قال على (عليه السلام) : (ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك). (1)

وهى التى تتحقق بالرضا بقضاء الله على النحو الأتم، وتذكره سبحانه وتعالى دوماً بحيث لا يغيث عن القلب والفكر أبداً، بل يجده الإنسان حاضراً ناظراً أبداً، كما نجد ذلك متجلياً فى حياة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وآله الأطهار (عليهم السلام) (2) فهم معصومون من الغفلة عن ذكر الله إضافة إلى عصمتهم من مجرد التفكير فى الذنب، بل فى المكروه أيضاً.

ومن المستحب أن يسعى الإنسان للاستزادة من التقوى يوماً بعد يوم، بل ساعة بعد ساعة، نظراً إلى قوله تعالى: ((اتقوا الله حق تقاته)). (3)

وحق التقوى، له مراتب متصاعدة غير محدودة بحد، مما قد يعبر عنه باللامتناهى اللائقى، وحيث أن كثيراً من مراتبها مما يتعسر - بل مما يتعذر - على غالب الناس، قال تعالى فى آية أخرى: ((فاتقوا الله ما استطعتم)) (4) فقوله تعالى: ((اتقوا الله حق تقاته)) (5) تشير إلى ما هو المبتغى، والمراد الأسمى و((ما استطعتم)) تشير إلى ما على الإنسان أن يحققه، فلا يصح على هذا، ما قيل من أن ((ما استطعتم)) ناسخة للآية الاخرى: ((حق تقاته)) بل أحدهما مكملة للآخرى. (6)

ص: 302

1- قصص الانبياء للجزائري ص 211 ب 11. وغوالى اللثالى ج 1 ص 404. والغوالى ج 2 ص 11. والالفين ص 128 المائة الثانية. ونهج الحق ص 248 الاول فى العبادة. وبحار الأنوار: ج 69 ص 278 ب 116 ح 1.

2- ومنه لم يترك أمير المؤمنين (عليه السلام) ذكر الله حتى حين أراد الحلاق قص شارب وطلب منه إطباق شفتيه.

3- آل عمران: 102.

4- التغابن: 16.

5- آل عمران : 102.

6- راجع (مجمع البيان) ج 5 ص 301، وفيه: (ولا- تنافى بين هذا وبين قوله (اتقوا الله حق تقاته) لان كل واحد منهما لترك جميع المعاصى، فمن فعل ذلك فقد اتقى عقاب الله، لان من لم يفعل قبيحاً ولا أخل بواجب فلا عقاب عليه، الا ان فى احد الكلامين تبيننا ان التكليف لا يلزم العبد الا فيما يطبق، وكل امر أمر الله به فلا بد أن يكون مشروطاً بالاستطاعة، وقال قتادة: قوله (فاتقوا الله ما استطعتم) ناسخ لقوله (اتقوا الله حق تقاته) وكأنه يذهب الى ان فيه رخصة لحال التقيية وما جرى مجراها مما يعظم فيه المشقة، وان كانت القدرة حاصلة معه.. وقال غيره ليس هذا بناسخ، وانما هو مبين لامكان العمل بهما جميعاً وهو الصحيح). انتهى

ومن الواضح أن الله سبحانه وتعالى جعل للأشياء حدوداً، فالصلاة في كل يوم خمس مرات، والصوم في كل سنة شهراً، والحج في العمر مرة واحدة، وهكذا مما هو محدد في جانب الكم، وكذلك الكثير مما هو محدد في جانب الكيف، أما التقوى فإنه سبحانه لم يجعل لها حداً بل قال تعالى: ((اتقوا الله حق تقاته)) (1) لأنه في كل حصة حصة من الحياة تقوى أو لا تقوى.

ثم التقوى أيضاً كما سبق على درجات، فهي ممتدة كما إلى آخر نفس من أنفاس الحياة - وعدم الحد هنا نسبي - كما أنها في الكيف غير محدودة بنحو اللاتقوى كما سبق.

قال تعالى: ((وتعاونوا على البر والتقوى)) (2).

وقال (عليه السلام): (ان خير الزاد التقوى) (3).

وقال (عليه السلام): (ان التقوى حق الله سبحانه عليكم) (4).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (نحن كلمة التقوى) (5).

ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون (6)

الموت على الإسلام

ص: 303

1- آل عمران: 102.

2- المائدة: 2.

3- الأمل للشيخ الصدوق ص 107 المجلس 23 ح 1.

4- غرر الحكم ودرر الكلم ص 269 ح 5855 الفصل الخامس في التقوى.

5- الخصال ص 432 ح 14. وتفسير فرات الكوفي ص 305 ح 412 من سورة الشعراء.

6- البقرة: 132.

مسألة: الموت بما هو أمر غير اختياري، إلا أن الموت على صفة وحالة اختيارية اختياري، ولذلك يمكن أن يؤمر به أو ينهى عنه بهذا اللحاظ، ف- (الموت على الإسلام) مأمور به، قال تعالى: ((ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه)) (1) يعنى وجوب الاستمرار في الاعتقاد الحق إلى آخر لحظة من لحظات العمر. فالجملة السابقة (2) تشير إلى الجانب الكيفي، وهذه الجملة (3) إلى الامتداد الزمني، أى: اتقوا الله حق تقاته واستمروا على ذلك إلى حين الموت، والمسلم الحقيقي هو الذى يطيع الله فى كل شئ وفى كل لحظة من لحظات العمر، فلا يموت الإنسان إلا وهو فى طاعة الله سبحانه.

وفى الحديث: (وأعوذ بالله من شر عاقبة الأمور) (4). وقال (عليه السلام): (أشد الناس ندماً عند الموت العلماء غير العاملين) (5). وقال (عليه السلام): (اياك ان ينزل بك الموت وأنت آبق عن ربك فى طلب الدنيا) (6).

حسن العاقبة

مسألة: كل ما يؤدي إلى حسن العاقبة للإنسان فهو راجح ومطلوب، فان كان فى مرتبة المنع من النقيض كان واجباً، وإلا كان مستحباً، وذلك عقلى قبل أن يكون شرعياً، وإنما المصاديق غالباً مما يؤخذ من الشارع، لقصور العقل عن التوصل إلى كثير من جهاتها أو تراحماتها.

وقد قال سبحانه: ((والى الله عاقبة الأمور)) (7).

وقال تعالى: ((فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين)) (8).

ص: 304

1- آل عمران: 85.

2- أى: اتقوا الله حق تقاته).

3- أى: (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون).

4- الأمالى للشيخ الصدوق ص 487 المجلس 74.

5- غرر الحكم ودرر الكلم ص 45 ح 173 الفصل الثانى فى العلم.

6- غرر الحكم ودرر الكلم ص 163 ح 3148 الفصل السادس فى الموت.

7- لقمان: 22.

8- آل عمران: 137.

وقد ورد في الدعاء: (واجعل عاقبة أمرى الى غفرانك ورحمتك) (1).

و: (فاجعل عاقبة أمرى الى خير) (2).

و: (واختم لنا بالتى هى أحسن وأحمد عاقبة وأكرم مصيرا) (3).

و: (اللهم انى اسألك حسن العاقبة) (4).

الاقتباس من الكتاب

مسألة: يستحب الاقتباس من الكتاب العزيز فى الحوار والخطاب، وقد أكثر المعصومون (صلوات الله عليهم أجمعين) من إدراج آيات القرآن فى كلماتهم كما اقتدى بهم اتباعهم، لان القرآن شفاء ونور وبلاغ، ولأنه جامع لعلوم الأولين والآخرين ولعلوم الدنيا والآخرة فى مختلف المجالات والأبعاد.

قال تعالى: ((ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين)) (5).

وقال سبحانه: ((ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء)) (6).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من لم يستشف بالقرآن فلا شفاء الله) (7).

وفى الحديث الشريف: (فى القرآن شفاء من كل داء) (8).

وقال (عليه السلام): (داووا مرضاكم بالصدقة واستشفوا له بالقرآن، فمن لم يشفه القرآن فلا

ص: 305

1- المقنعة ص 339. ومصباح الكفعمى ص 622.

2- الاقبال ص 197.

3- الصحيفة السجادية ص 176 وكان من دعائه (عليه السلام) فى الاستخارة. وفتح الابواب ص 197 فى دعاء الاستخارة عن الامام زين العابدين (عليه السلام). ومصباح المتهدد ص 614. والبلد الامين ص 148.

4- فقه الرضا (عليه السلام) ص 406 باب الدعاء فى الوتر.

5- الانعام: 59.

6- النحل: 89.

7- مكارم الأخلاق ص 363 الفصل الثانى فى الاستشفاء. وفقه الرضا (عليه السلام) ص 342 باب الادوية الجامعة بالقرآن.

8- مكارم الاخلاق ص 363 الفصل الثانى فى الاستشفاء. وفقه الرضا (عليه السلام) ص 342 باب الادوية الجامعة بالقرآن.

وفى الدعاء: (وان تجعل القرآن نور صدري وتيسر به أمرى) (2).

لذلك فقد استند إليه اتباعهم في شتى المنطلقات وفي شتى الأبعاد، كل حسب قابليته وفي دائرة أبعاده ومدار اهتمامه أو تخصصه وتوجهه.

وليس ثمة كتاب سماوى أو ارضى اعتنى به أهل ملته واتباعه مثل القرآن الحكيم، فان علماء الإسلام - تبعا لقادة الإسلام - أعطوه من الأهمية والعناية ما لم يعط لكتاب قبله ولا ولن يعطى لكتاب بعده، حسب معتقدنا من كونه الكتاب الوحيد المتفرد والمتميز بهذه الكيفية.

فقامت كل طائفة بدراسة فن من فنونه:

فقد اهتم جمع بمعرفة مخارج حروفه وعدد الآيات والكلمات والحروف والسكنات والحركات من الضمة والفتحة والكسرة وغير ذلك.

كما أن ألوف المسلمين - في زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - كانوا يحفظون القرآن كله من أوله إلى آخره، وإلى يومنا هذا.

واعتنى اللغويون: بمفرد مفرد من مفرداته.

ويعتنى النحاة: بالمعرب والمبنى والأسماء والأفعال والحروف منه، بل كان اصل تكونه وتأسيسه (3) بتوجيه وإرشاد الإمام على بن أبى طالب (عليه السلام) على أبى الأسود الدؤلى لأجل التحفظ على صحة قراءة القرآن الكريم وإعرابه (4).

ص: 306

1- فقه الرضا (عليه السلام) ص 342 باب الادوية الجامعة بالقرآن.

2- مصباح المتهجد ص 335 صلاة اخرى للحاجة.

3- أى علم النحو.

4- ففى كتاب (الصراط المستقيم) ج 1 ص 220-221: (واما النحاة فظاهر، وصفه (عليه السلام) لابي أسود الدؤلى، فانه دخل عليه فرآه

متفكرا، فقال له: فيما انت تفكر، قال: سمعت فى بلدكم لحننا، وارتد ان اصع فى اللغة كتابا، قال: فأتيته بعد أيام فألقى الى صحيفة فيها:

الكلام كله ثلاثة: اسم وفعل وحرف، والاشياء ثلاثة: ظاهر ومضمر وغيرهما، فانح هذا النحو..). وفى شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد

ج 1 ص 19-20: (ومن العلوم علم النحو والعربية، وقد علم الناس كافة انه «على (عليه السلام)» هو الذى ابتدعه وأنشأه وأملى على ابى

الاسود الدؤلى جوامعه واصوله، من جملتها: (الكلام كله ثلاثة اشياء: اسم وفعل وحرف) ومن جملتها: (تقسيم الكلمة الى معرفة ونكرة،

وتقسيم وجوه الاعراب الى الرفع والنصب والجر والجزم). وفى كتاب (كشف اليقين) ص 58: (واما النحو فهو «على (عليه السلام)»

واضعه، قال لابي الاسود الدؤلى: الكلام كله ثلاثة اشياء: اسم وفعل وحرف، وبين له وجوه الاعراب). وفى (كشف الغمة) ج 1 ص 133:

(واما النحو فقد عرف الناس قاطبة ان عليا (عليه السلام) هو الواضع الاول الذى اخترعه وابتدعه ونصبه علما لابي الاسود ووضعه).

واعتنى أهل الرسم والخط: برسوم كلماته وما يتعلق به من هذا النحو من الخطوط، والتي انبثقت منها بعضهم إلى أكثر من عشرين، بما هو الدارج عند العرب والعجم، وأما سائر الخطوط في اللغات الأخرى فهي كثيرة.

واعتنى المفسرون: بألفاظه، مفردات وجمل(1)، سواء منها الألفاظ المشتركة التي تدل على أكثر من معنى، أم الألفاظ ذات المعنى الواحد، وكذلك الكلى والجزئى، وذكروا المحكم والمتشابه، وأن المتشابه له احتمالان أو احتمالات، ورجحوا المحتمل على المحتمل استنادا إلى تفسير القرآن بالقرآن، أو تفسير القرآن بالأحاديث الشريفة، أو حسب القرائن المقامية والسياق والانصراف العرفى وما أشبهه.

واعتنى علماء الكلام: بما فى القرآن من الأدلة العقلية والشواهد البرهانية والفطرية مما هو كثير.

كما إن المنطقيين: ذكروا الأدلة المستفادة من القرآن فى الصناعات الخمس(2).

وكلتا الطائفتين ذكروا ما يستفاد من القرآن الحكيم من الأدلة على وحدانيته تعالى ووجوده وقدرته وعلمه وتنزيهه عما لا يليق به وما أشبه ذلك من صفاته الجمالية والجلالية.

أما المتكلمون فقد ذكروا ذلك فى باب أصول الدين، وأما المناطقة فقد ذكروا ذلك(3) فى باب الحجة وما هو من شأن المنطق.

والأصوليون: تكلموا فى العام والخاص، والنص والظاهر، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين،

ص: 307

1- فقد ورد عن ابن عباس قال: (حدثنى امير المؤمنين (عليه السلام) فى تفسير الباء من بسم الله الرحمن الرحيم من اول الليل الى آخره). كشف اليقين ص 59.

2- وهى: البرهان، الجدل، الخطابة، الشعر، المغالطة.

3- أى الأدلة والحجج والبراهين المستفادة من القرآن.

والمحكم والمتشابه، والأمر والنهي منه، وغير ذلك من الشؤون المرتبطة بأصول الفقه.

والفقهاء: استفادوا من القرآن: الحلال والحرام والواجب والمستحب والمباح، والملاكات اصولا وفروعا.

كما أن جمعا من الفقهاء ذكروا آيات الميراث وخصوصياتها وسموا ذلك بعلم الفرائض مما يرتبط بمختلف طبقات الوراث وانصبتهم، وقد ألف جمع منهم كتباً خاصة ب- (آيات الأحكام) وهي خمسمائة آية بل أكثر.

وعلماء الأدعية: ذكروا أدعية القرآن الحكيم، وهي كثيرة، مع الشؤون المرتبطة بهذه الأدعية الواردة في الكتاب العزيز.

وجماعة: تخصصوا بذكر قصص القرآن عن القرون السابقة والأمم البالية ونقل أخبارهم، وذكروا ما يتعلق بابتداء الكون والدنيا وبدايات الأشياء.

واستفاد المؤرخون منه: مباحث كثيرة في كتاباتهم، واستفاد منه البعض في علم فلسفة التاريخ.

وقامت جماعة: باقتباس الأمثال والحكم والمواعظ والعبر والترغيب والترهيب من القرآن الحكيم، وتطرقوا للوعد والوعيد، والتشويق والتحذير، والموت والنشر، والمعاد والحشر، والحساب والعقاب، والجنة والنار، والميزان والبرزخ وما أشبه ذلك من الروادع والزواجر، مما يفيد أهل الوعظ والإرشاد والخطباء لتوجيه الناس إلى الله والدين والخير والآخرة.

كما أن جماعة من المعبرين للرؤيا: استفادوا من القرآن الحكيم إشارات وعلامات، بالتأمل في أغوار قصة يوسف (عليه السلام) والبقرات السمان (1) ورؤيا صاحبي السجن (2)،

ص: 308

1- يوسف/ 43: (وقال الملك انى ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملاً افتونى فى رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون). وفى سورة يوسف/ 46: (يوسف أيها الصديق افتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلى ارجع الى الناس لعلهم يعلمون).

2- يوسف/ 36: (ودخل معه السجن فتیان قال أحدهما انى أرانى اعصر خمرا وقال الآخر انى أرانى احمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبنا بتأويله انا نراك من المحسنين). وفى سورة يوسف/ 41: (يا صاحبي السجن، اما أحدكما فيسقى ربه خمرا واما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضى الامر الذى فى تستفتيان).

ورؤيا إبراهيم (عليه السلام) (1)، ورؤيا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (2)، ورؤيا المسلمين في قصة بدر (3) وما أشبه ذلك.

وعلماء الفلك: استخرجوا من القرآن الحكيم ما يرتبط بعلمهم من المواقيت، والليل والنهار، والشمس والقمر، والبروج ونحوها، كما يشاهد ذلك في المراصد والاسطرلابات والكتب المعنية بهذا الشأن.

والشعراء والكتّاب: استفادوا من القرآن الحكيم في جمال اللفظ وبديع النظم وحسن السياق، والمبادئ والمقاطع، والمطالع والمخارج، والتلون في الخطاب، والإسناد والإيجاز، وغير ذلك مما يرتبط بعلوم البلاغة من المعاني والبيان والبديع على مختلف شؤونها وشجونها. (4)

وعلماء المناظرة: استفادوا من القرآن الحكيم أسلوب الحوار والجدال، وذلك من مخاطبة الله سبحانه وتعالى مع الناس أو الملائكة أو الجن، وكذلك في حوار الأنبياء (عليهم السلام) مع الأمم وغير ذلك مما يعلم أسلوب البيان والمحاورات للمنصف والمجادل وغير ذلك. هذا بالإضافة إلى انه يمكن الاستفادة من كثير من آيات القرآن الحكيم في علم النفس وعلم الاجتماع والاقتصاد والسياسة والحقوق والإدارة وغيرها، وقد استفاد عدد من العلماء من بعضها في تلك العلوم (5).

إضافة إلى علوم أخرى كعلم طبقات الأرض، وعلم وظائف الأعضاء والعلوم التي ترتبط بشتى الصناعات وغيرها، وفيه بحوث وإشارات إلى شتى أصناف المخلوقات المادية والمجردة،

ص: 309

1- الصفات/ 102: (فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى ارى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين).

2- الفتح/ 27: (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تحافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً).

3- الأنفال/ 43: (اذ يريكم الله فى منامك قليلاً ولو أراكم كثيراً لفشلتم ولتنازعتهم فى الأمر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور).

4- راجع كتاب (البلاغة) للإمام المؤلف دام ظله.

5- راجع من موسوعة الفقه هذه الكتب: (الفقه: علم النفس) و(الفقه: الاجتماع) و(الفقه: الاقتصاد) و(الفقه: السياسة) و(الفقه: القانون) و(الفقه: الحقوق) و(الفقه: الإدارة) للإمام المؤلف دام ظله.

وقد قال سبحانه: ((ما فرطنا في الكتاب من شيء)) (1) فإنه تعالى لم يفرط في الكتاب التكويني شيئاً قابلاً للخلق، كما انه لم يفرط في الكتاب التشريعي شيئاً مرتبطاً بشؤون الإنسان، وإنا لم نقصد مما ذكرنا ههنا إلا الإلماع، لأن السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ذكرت هنا آية قرآنية كريمة كشاهد على كلامها، وإلا فالتفصيل يحتاج الى مجلد ضخم مما هو خارج عن مبحث هذا الكتاب.

وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه

إطاعة الباري تعالى

مسألة: تجب إطاعة الله تعالى (2) والاهتمام بأوامره ونواهيه، وتحرم المعصية.

قال سبحانه: ((قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين)) (3).

وقال تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون)) (4).

وقال (عليه السلام): (أطيعوا الله حسب ما أمركم به رسله) (5).

وقال (عليه السلام): (جمال العبد الطاعة) (6).

وقال (عليه السلام): (العزير من اعتر بطاعة الله) (7).

هذا بالنسبة إلى الواجب فعلاً أو تركاً، وكذلك طاعة الله سبحانه وتعالى في القسم الراجح فعلاً وتركاً - وهي واجبة إن كان المقصود بها: الالتزام باستحباب المستحب وكراهة

ص: 310

1- الأنعام: 38.

2- هذا الوجوب عقلي وفطري، والأمر هنا إرشادي.

3- آل عمران: 32.

4- الانفال: 20.

5- غرر الحكم ودرر الكلم ص 183 ح 3471 الفصل الأول في طاعة الله.

6- غرر الحكم ودرر الكلم ص 181 ح 3395 الفصل الأول في طاعة الله.

7- غرر الحكم ودرر الكلم ص 184 ح 3495 الفصل الأول في طاعة الله.

المكروه، ومستحب إن كان المراد بها الامثال

العملى للأوامر الاستجابية - بل تجرى الطاعة فى المباح(1) أيضا، فان المباح الأصلى غير المباح بعد التشريع، فلا يقال: انه باق على الإباحة فليس بحكم شرعى(2) فتكون الأحكام حينئذ أربعة فقط، وقد ذكرنا تفصيل ذلك فى بعض كتبنا الأصولية.

وعلى هذا فان (فيما أمركم به ونهاكم عنه) يكون تأكيدا لهذين المصدقين من الإطاعة، وليس حصرا، وان استشم منه عرفا ذلك - فتأمل.

قولها (صلوات الله عليها): (وأطيعوا) تأكيد لما سبق، وتصريح بكل ما وجب وحرّم، وشرح ل- (اتقوا الله).

فانه (إنما يخشى الله من عباده العلماء)(3)

الخشية من الله

مسألة: ينبغى إشراب الجنان الخشية من الله تعالى وقد تجب كل فى مورده، لان الخشية التى تصد الإنسان عن المعاصى واجبة، أما الخشية التى تدفع الإنسان نحو إتيان المستحبات وترك المكروهات فهى مستحبة شرعا، ومع قطع النظر عن جانب (المقدمية) فإنها فى حد ذاتها حالة مطلوبة وصفة إيجابية وميزة متميزة للمؤمن، قال سبحانه: ((فلا تخشوا الناس واخشون)) (4).

ومن الواضح ان العلماء بالله سبحانه وتعالى هم الذين يخشون، اما الجاهل بالله سبحانه وتعالى فلا يخشاه، مثله - ولا مناقشة فى المثال - مثل الجاهل بكون هذا أسدا أو أن الأسد مما يخاف منه، فانه لا يتجنبه، كما هو شان الأطفال والمجانين ونحوهما، ولذا قال الرسول (صلى

ص: 311

1- الإطاعة فى المباح هى (الالتزام بإباحته).

2- الإباحة مجعولة وليست عبارة عن عدم الجعل، فلنا حكم بالإباحة لا مجرد عدم الحكم بالحرمة والوجوب.

3- فاطر: 28.

4- المائدة: 44.

الله عليه وآله وسلم) (ان المجنون حق المجنون المتبختر في مشيئته الناظر في عطفه المحرك جنبيه بمنكيه) (1) وأما المجنون - عرفاً -
الذي يقابل العاقل فقد قال (صلى الله عليه وآله وسلم) عنه: (وهذا المبتلى) (2).

وذلك أن العقل من العقال (3) فهو تلك القوة التي تردع الإنسان عن ارتكاب الضار والتحم في الهلكات والأتیان بما لا يلائم، والمجنون هو الذي يقدم على الضار ويقتحم الهلكات دون سبب أو يأتي بغير الملائم من دون وجه، وأي جنون أعظم من ارتكاب معصية الله؟ وأي جنون أكبر من التمهيد لدخول النار؟ أو الفوز بسخط الجبار؟، قال تعالى: ((ومن يعص الله ورسوله فقد ضللاً مبيناً)) (4).

فأشارت (عليها السلام) الى أهمية الخشية ولزومه، قال علي (عليه السلام): (سبب الخشية العلم) (5).

وقال (عليه السلام): (الخشية ميراث العلم) (6).

وقال (عليه السلام): (غاية المعرفة الخشية) (7).

ص: 312

- 1- معاني الأخبار ص 237 باب معنى المجنون.
- 2- معاني الأخبار ص 237 باب معنى المجنون. وشبهه في مستدرک الوسائل ج 8 ص 239 ب 49 ح 9344. والمستدرک ج 12 ص 31 ب 59 ح 13431. وفي الخصال ص 332 ح 31 عن علي (عليه السلام) قال: (مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جماعة، فقال: على ما اجتمعتم، قالوا: يا رسول الله هذا مجنون يصرع فاجتمعنا عليه، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: هذا ليس بمجنون ولكنه مبتلى) الحديث.
- 3- راجع لسان العرب مادة (عقل) وفيه: (عاقل وهو الجامع لأمره ورأيه، مأخوذ من (عقلت البعير) اذا جمعت قوائمه، وقيل: العاقل الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها، أخذ من قولهم (قد اعتقل لسانه) اذا حبس ومنع من الكلام.. العقل عقلاً: لانه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك، أى يحبسه.. و(اعتقل) حبس.. واصل العقل مصدر عقلت البعير بالعقال أعقله عقلاً، وهو حبل تشنى به يد البعير الى ركبته فتشد به.
- 4- الاحزاب: 36.
- 5- غرر الحكم ودرر الكلم ص 63 ح 787 الفصل الحادى عشر فى آثار المعرفة.
- 6- عدة الداعى: ص 78.
- 7- غرر الحكم ودرر الكلم ص 63 ح 788 الفصل الحادى عشر فى آثار المعرفة.

وقال (عليه السلام): (كان فيما أوحى الله تعالى جل ذكره الى عيسى عليه السلام: هب لى من عينيك الدموع، ومن قلبك الخشية، واكحل عينيك بميل الحزن)(1).

التنويه بمكانة العلماء

مسألة: تنبغى الإشارة تلميحاً أو تصريحاً بميزة ومكانة العلماء، وصفاتهم ومسؤولياتهم، وبيان أهمية العلم والعلماء فى منظار الإسلام، قال سبحانه: ((يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات))(2).

وقال تعالى: ((هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون))(3).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ان العلماء ورثة الأنبياء)(4).

وقال (عليه السلام): (العلماء باقون ما بقى الدهر)(5).

وقال (عليه السلام): (أشرف الناس العلماء)(6).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (فنحن العلماء)(7).

وذلك كله بالنسبة إلى العلوم الحقيقية، أما العلم المنحرف والعالم المنحرف فالأول باطل أو من مصاديق الجهل والثانى ضال مضل كما فى الحديث: (إذا فسد العالم فسد العالم).

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (العلماء رجلان، رجل عالم أخذ بعلمه، فهذا ناج، ورجل عالم تارك لعلمه فهذا هالك، وان اهل النار ليتأذون بريح العالم التارك لعلمه)(8).

ص: 313

1- قصص الانبياء للراوندى ص 272 ح 320.

2- المجادلة: 11.

3- الزمر: 9.

4- الأمالى للشيوخ الصدوق ص 65 المجلس 14.

5- تحف العقول ص 169. والخصال ص 186 ح 257.

6- ارشاد القلوب ص 198 الباب 53.

7- بصائر الدرجات ص 8 ح 1. و الخصال ص 123 ح 115.

8- الخصال ص 51 ح 63.

قولها (سلام الله عليها): (فانه إنما يخشى) لعل وجه الترابط(1) هو: انكم حيث كنتم علماء بهذه الأمور التي ذكرتها فاللازم عليكم الخشية من الله تعالى والتي تتجلى في اتباع أوامره والارتداع عن نواهيه.

والمراد بالعلماء: العلماء بالله وصفاته وأفعاله، لمناسبة الحكم والموضوع، فان الحكم يضيق ويوسع الموضوع، كما ان عكسه أيضاً صحيح على ما ذكرناه في الأصول.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

-1414هـ-

إلى هنا تم بحمد الله تعالى المجلد الثاني من فقه الزهراء (عليها السلام) وقد اشتمل على القسم الأول من الخطبة الشريفة وسيأتي بعده المجلد الثالث (وهو القسم الثاني من الخطبة) وابتدأ بقولها (عليها السلام): ثم قالت: (ايها الناس اعلمو اني فاطمة)

نسأل الله سبحانه التوفيق والقبول

الناشر

ص:314

1- حيث انها عليها السلام عللت (أطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه) ب- (فانه إنما يخشى الله من عباده العلماء).

مصادر التحقيق والتهميش

- القرآن
- نهج البلاغة
- الصحيفة السجادية
- مفاتيح الجنان
- الدعاء والزيارة
- إحقاق الحق
- إرشاد القلوب
- الاحتجاج
- الاختصاص
- الأخلاق الإسلامية
- الإرشاد
- الاستبصار
- الأصول
- اعلام الدين
- اعلام الوری
- الإقبال
- الاقتصاد بين المشاكل والحلول
- الألفين
- الألفية
- الأمالی للشیخ الصدوق (قدس سره)

▪ الأملى للشىخ المفىء (قءس سره)

▪ الأمان من أءطار الأسفار

▪ الإمامة والسىاسة

ص: 315

▪ بحار الأنوار

▪ بشارة المصطفى

▪ بصائر الدرجات

▪ بلاغات النساء

▪ البلاغة

▪ البلد الأمين

▪ تأويل الآيات

▪ التبيان

▪ تحف العقول

▪ التدبر فى القرآن

▪ تصحيح الاعتقاد

▪ تفسير الإمام الحسن العسكرى (عليه السلام)

▪ تفسير البرهان

▪ تفسير الثقلين

▪ تفسير جوامع الجامع

▪ تفسير شبر

▪ تفسير الصافى

▪ تفسير فرات الكوفى

▪ تفسير القمى

▪ تفسير العياشى

▪ تقريب القرآن الى الأذهان

▪ تفسير مجمع البيان

▪ تقريب المعارف

▪ تنبيه الخواطر ونزهة النواظر

▪ التوحيد

ص:316

- التهذيب
- ثواب الأعمال
- جامع أحاديث الشيعة
- جامع الأخبار
- جامع مناسك الحج
- جامع السعادات
- جمال الأسبوع
- الجنة والنار فى القرآن
- الحاج فى مكة والمدينة
- الحجاب الدرع الواقى
- الحججة على إيمان أبى طالب (عليه السلام)
- الحج بين الأمس واليوم والغد
- الخرائج والجرائح
- الخصال
- خصائص الأئمة
- خواطرى عن القرآن
- دعائم الإسلام
- دعوات الراوندى
- دلائل الصدق
- دلائل الإمامة
- الدول الشيعية فى التاريخ

▪ الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)

▪ روضة الواعظين

▪ سعد السعود

▪ سفينة البحار

ص: 317

▪ السياسة من واقع الإسلام

▪ شرح المنظومة

▪ شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد

▪ الشعائر الحسينية

▪ الشورى فى الإسلام

▪ شورى الفقهاء دراسة فقهية أصولية

▪ شورى الفقهاء المراجع

▪ الصراط المستقيم

▪ صفات الشيعة

▪ الصوارم المهركة

▪ الصياغة الجديدة

▪ الطوائف

▪ العائلة

▪ عبادات الإسلام

▪ العدد القوية

▪ عدة الداعى

▪ العدل أساس الملك

▪ العراق بين الماضى والحاضر والمستقبل

▪ العروة الوثقى

▪ العبقات

▪ العقوبات فى الإسلام

عمدة الزائر

علل الشرائع

عوامل العلوم ومستدركاتھا (مجلد فاطمة الزهراء علیھا السلام)

عیون أخبار الرضا (علیه السلام)

ص: 318

▪ الغدير

▪ الغرب يتغير

▪ غرر الحكم ودرر الكلم

▪ غوالي اللثالى

▪ غيبة النعمانى

▪ فاطمة الزهراء من المهدي إلى اللحد

▪ فتح الأبواب

▪ فرج المهموم

▪ الفصول المختارة

▪ فضائل الأشهر الثلاثة

▪ الفضيلة الإسلامية

▪ فقه القرآن

▪ فقه الرضا (عليه السلام)

▪ الفقه: الاجتماع

▪ الفقه: الجهاد

▪ الفقه: الأئمة والأشربة

▪ الفقه: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

▪ الفقه: البيع

▪ الفقه: الحج

▪ الفقه: الحدود والتعزيرات

▪ الفقه: الحقوق

▪ الفقه: حول القرآن الكريم

▪ الفقه: الآداب والسنن

▪ الفقه: الإدارة

▪ الفقه: الدولة الإسلامية

ص: 319

▪ الفقه: الزكاة

▪ الفقه: السياسة

▪ الفقه: الصلاة

▪ الفقه: الصوم

▪ الفقه: الطهارة

▪ الفقه: طريق النجاة

▪ الفقه: علم النفس

▪ الفقه: الغضب

▪ الفقه: القانون

▪ الفقه: الاقتصاد

▪ الفقه: القصاص

▪ الفقه: القضاء

▪ الفقه: القواعد الفقهية

▪ الفقه: من فقه الزهراء (عليها السلام) المجلد الاول

▪ الفقه: المكاسب المحرمة

▪ الفقه: المحرمات

▪ الفقه: النذر

▪ الفقه: النكاح

▪ الفقه: الواجبات

▪ الفقه: الوديعة

▪ فلاح السائل

▪ القاموس المحيط

▪ قرب الإسناد

▪ قصص الأنبياء للجزائري

▪ قصص الأنبياء للراوندي

ص:320

▪ القول السديد فى شرح التجريد

▪ الكافى

▪ كامل الزيارات

▪ كتاب سليم بن قيس

▪ كشف الصدق

▪ كشف الغمة

▪ كشف اليقين

▪ كفاية الإثر

▪ كفاية الموحدين

▪ كمال الدين

▪ كنز الدقايق

▪ كنز الفوائد

▪ كيف انتشر الإسلام

▪ كيف نفهم القرآن؟

▪ لسان العرب

▪ لكى يستوعب الحج عشرة ملايين

▪ اللمعة الدمشقية

▪ ليحج خمسون مليوناً كل عام

▪ ماذا فى كتب النصارى

▪ مائة منقبة

▪ متشابه القرآن

▪ مشير الأحران

▪ مجمع البحرين

▪ مجمع النورين

▪ المحاسن

ص: 321

- المراجعات
- مروج الذهب
- المزار
- المسائل الإسلامية
- المسائل الجارودية
- المسائل الصاغانية
- المسائل المتجددة
- مستدرک سفینه البحار
- مستدرک الوسائل
- المستطرفات
- مسکن الفؤاد
- مشکاة الأنوار
- مصباح المتهجد
- مصباح الشریعة
- مصباح الکفعمی
- معانی الأخبار
- معدن الجواهر
- مفتاح الفلاح
- المقنعة
- مکاسب
- مکارم الأخلاق

▪ ممارسة التغيير لإنقاذ المسلمين

▪ مناسك الحج

▪ من أوليات الدولة الإسلامية

▪ المناقب

ص:322

▪ المنجد

▪ من لا يحضره الفقيه

▪ منية المرید

▪ مولد النبی (صلی الله علیه وآله وسلم)

▪ مهج الدعوات

▪ مؤتمرات الإنقاذ

▪ النص والاجتهاد

▪ نهج الحق

▪ نهج الفصاحة

▪ وسائل الشيعة

▪ الوصائل فی شرح الرسائل

▪ وقعة الصفيين

▪ ولأول مرة فی تاريخ العالم

ص: 323

المقدمة..... 7

خطبة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام)..... 12

استحباب الرواية ووجوبها 55

أسناد الخطبة..... 55

رواية النساء..... 59

تحمل المميز..... 60

الدفاع عن الولاية..... 62

الجهر بالحق..... 63

الاجتماع على الباطل..... 64

إيذاء أهل البيت (عليهم السلام)..... 64

حرمة الغصب ومصادرة الأموال..... 65

الاهتمام بقضية فدك.... 66

المطالبة بالحق وفضح الطغاة..... 68

الانتصار للحق..... 69

مطالبة المرأة بحقوقها..... 70

التصدى للطغاة مطلقاً.... 71

فورية المطالبة بالحق..... 71

وجوب الستر على المرأة... 72

حرمة إظهار الزينة..... 72

استحباب التخمر للمرأة..... 74

شد الخمار على الرأس.... 75

امتلاك الخمار..... 75

ص:324

- التخمر فى المنزل... 75
- لث الخمار تحت الجلباب..... 76
- تعطيه كل الجسد..... 77
- خروج المرأة من البيت..... 79
- خروج المرأة مع غيرها..... 80
- الخروج منفردا أو مع جماعة..... 80
- الخروج مع المعارف..... 82
- الحجاب والساتر..... 83
- عبادة المرأة..... 83
- الستر الفضفاض... 83
- شدة التستر..... 83
- التأسى بالرسول (ص) فى كل شىء..... 84
- المشى بسكينة ووقار..... 85
- دخول المرأة للمسجد..... 86
- طرح القضايا فى المسجد... 87
- طرح القضايا أمام الناس... 87
- القضاء فى المسجد..... 88
- الاستفادة من مراكز الأعلام..... 90
- دخول المرأة فى مجمع الرجال..... 90
- الضغط مباشرة... 92
- الفضح على رؤوس الأشهاد..... 93

إتمام الحجّة على الناس.... 93

المطالبة بالحق بمحضر الغير..... 94

الجهر بالحق لشتى الطبقات..... 94

الساير بين الرجال والنساء..... 95

ص:325

- الجلوس فى المسجد..... 97
- إسماع الصوت للرجال..... 98
- سماع صوت المرأة..... 98
- البكاء على الميت..... 99
- رفع المرأة صوتها بالبكاء.... 99
- البكاء لفقد المعصوم عليه السلام... 100
- بكاء المظلوم تظلماً..... 101
- البكاء لبكاء المظلوم..... 103
- البكاء لبكاء المفجوع.... 103
- افتتاح الحديث بما يهوى النفوس..... 105
- الكلام فى أفضل الأحوال..... 106
- افتتاح الأعمال بذكر الله تعالى..... 107
- تعليم الناس الافتتاح بالحمد..... 108
- الافتتاح بذكر الله جهراً..... 108
- تقديم الحمد بعد البسملة..... 109
- اشتمال الافتتاح على الثناء..... 110
- الصلاة على الرسول وآله الأطهار (ع)..... 111
- تجدد البكاء عند تجدد ذكر الفقيد..... 113
- عدم قطع بكاء المفجوع..... 114
- مراعاة حال المستمع.... 114
- العودة ألى حمد الله تعالى..... 116

الشكر لله تعالى..... 117

الثناء على الله تعالى..... 119

ذكر متعلق الحمد وما يوجبه.... 119

ذكر الله تعالى وحمده عند تواتر المصائب..... 120

ص:326

توجه المظلوم إلى الله تعالى... 121

إفاضة الخير على الجميع..... 122

الابتداء بالنعمة والإحسان..... 123

كمال النعم وتمامها..... 124

إسداء النعمة.... 125

توالي إفاضة النعم..... 125

إظهار العجز عن إحصاء النعم..... 126

تذكرة لانهاية النعم..... 127

عدم إمكان الجزاء على النعم... 128

العجز عن إدراك النعم..... 129

الاستزادة من النعم..... 131

التحفظ على النعم..... 131

وجوب أصل الشكر وبعض مصاديقه..... 132

حمد الله واجب أم مستحب... 134

بحث حول كلمة التوحيد.... 138

وحدانية الله وأحديته.... 140

استحباب التلفظ بالشهادة.... 141

التأكيد في الاعتقادات..... 142

استحباب الابتداء بالشهادة.... 142

صبغة الله..... 143

الإخلاص في العقيدة والعمل... 145

توحيد الله في أعماق القلوب... 149

امتناع رؤية الله تعالى ووصفه... 151

حرمة التفكير في ذات الله..... 153

استحباب التفكير في أفعال الله تعالى..... 155

ص: 327

- قدرته تعالى..... 158
- مشيئته تعالى..... 159
- الغنى المطلق..... 161
- إفاضة الخير لذاته..... 161
- الحكمة الإلهية... 164
- الإشارة الى علل الخلق..... 165
- الإرشاد الى طاعته تعالى..... 167
- إظهار قدرته عز وجل... 169
- التعبد لله تعالى..... 170
- إظهار العبودية لله تعالى..... 171
- التربية على حالة العبودية..... 173
- إعزاز الدعوة..... 175
- بيان العلل والأهداف... 176
- الإثابة على الإطاعة..... 179
- العقاب على مخالفة القانون..... 180
- حفظ العباد عن التعرض للنقمة الالهية..... 182
- سوق العباد الى الجنة.... 184
- التطرق لفلسفة الثواب والعقاب..... 185
- الاعتقاد بنبوته (ص)... 187
- التلفظ بالشهادة الثانية..... 188
- الشهادة بعبوديته (صلى الله عليه وآله وسلم) لله تعالى..... 189

الاعتقاد بالعبودية..... 190

الشهادة الثانية... 191

التصريح بالنسب وإظهاره..... 192

نشر فضائل الوالدين.... 193

ص: 328

- فضائل الرسول (ص)... 195
- الاختيار الإلهي للرسول الأعظم (ص)..... 195
- موصفات خاصة للنبي (ص) والإمام (ع)..... 196
- مواصفات وكلاء المعصومين (ع) وأتباعهم.... 199
- التسمية قبل الولادة..... 202
- من فضائله (ص)..... 203
- علمه تعالى..... 205
- ما وصف الله به نفسه... 205
- استحضار إحاطته تعالى..... 208
- التعبد المطلق..... 208
- إتمام الأمر..... 210
- تنفيذ حكمه تعالى..... 212
- التقدير الإلهي الحتمي... 212
- التفرق عن الحق..... 215
- الفحص عن حال الأمم..... 217
- عبادة النيران والأوثان.... 218
- إنكار الله رغم معرفته.... 220
- إنارة الظلم..... 222
- المصباح المنير..... 222
- تفصيل أهداف البعثة.... 223
- المقياس في اتباع الرسول (ص)..... 224

توضيح المعضلات..... 225

إزاحة الستائر.... 227

الهداية العملية.... 229

الإتقاذ من الغواية..... 231

ص:329

- التبصير من العمانية..... 232
- الهداية للدين القويم..... 233
- انتهاج الطريق المستقيم... 234
- على U هو الصراط المستقيم..... 236
- إنك ميت..... 239
- رأفة الله برسول (ص) واختياره..... 239
- رغبته (ص) فى لقاء الله تعالى... 241
- الرغبة فى ذلك... 241
- التذكير بمناقبه (ص)..... 242
- تحمل الأذى فى سبيل الله.... 244
- التعويض الإلهى... 248
- مجاورة الملك الجبار..... 250
- التذكير بمنزلة الأنبياء (ع) المؤمنين فى الآخرة... 251
- غفران الخطايا.... 252
- الدعاء للأب..... 253
- الصلوات على النبي (ص).... 255
- الأمين المصطفى..... 257
- عصمة الرسول الاعظم (ص)..... 258
- النبي الأمين (ص)..... 258
- الدعاء للأولياء والصالحين..... 261
- السلام على الأموات.... 265

ذكر محاسن الأموات.... 267

الترحم على الأموات.... 267

عباد الله..... 270

مما ينبغي التذكير به..... 272

ص: 330

- مسؤوليات العباد..... 274
- الأجيال القادمة..... 285
- القرآن هو الزعيم..... 288
- زعيم حق..... 289
- القرآن عهد الهى..... 291
- عدم تحريف القرآن.... 292
- القرآن خليفة الله فى الأرض.... 297
- وصف القرآن بجميل الصفات..... 299
- صدق القرآن.... 301
- القرآن نور وضياء..... 304
- هداية الناس وإرشادهم..... 307
- البصائر البينة..... 309
- حجية ظواهر الكتاب..... 310
- من هم أشياع القرآن؟..... 312
- إتباع تعاليم القرآن..... 314
- حرمة إتباع غير القرآن... 314
- مسؤوليات القائد..... 315
- الاستماع للقرآن الكريم..... 316
- التزاحم بين الاستماع والقراءة... 318
- توجيه الآخرين نحو الاستماع.... 319
- كراهة الانشغال عن الاستماع..... 320

التدبير فى القرآن الحكيم..... 321

القراءة بصوت حسن مؤثر..... 323

استخراج الحجج من القرآن.... 326

عزائم القرآن وفرائضه.... 328

ص: 331

- ترك المحرمات..... 330
- التخصص فى آيات الأحكام... 331
- الرجوع إلى المفسرين..... 331
- التحذير من المحرمات.... 333
- الاعتماد على الأدلة الجلية..... 334
- الدعوة إلى الفضائل..... 336
- التعرف على المباحات... 337
- شمولية القانون..... 338
- القرآن والأحكام الشرعية..... 339
- وجوب التقيد بشرائع الله..... 339
- تطهير الباطن.... 341
- علل الأحكام.... 345
- الإيمان بالله..... 347
- هداية المشركين... 348
- الطهارة من نجاسة الشرك..... 349
- إبلاغ الأحكام... 350
- التقدم الرتبى للإيمان..... 351
- الكفر كالشرك... 352
- حكم المتردد والشاك..... 352
- رجحان الصلاة... 354
- تنزيه النفس..... 354

التكبر.... 355

الزكاة راجحة مطلقاً.... 360

تزكية النفس..... 361

إنماء الرزق..... 363

ص: 332

- 365 الاهتمام بالأمر الدنيوية.....
- 366 الإِنفاق...
- 367 الصيام وفلسفته...
- 368 الإِخلاص فى العبادة وغيرها....
- 370 فريضة الحج والأهداف الربانية.....
- 372 تشييد الدين.....
- 373 أنواع العدل والظلم.....
- 375 من مصاديق العدل ومظاهره....
- 377 تأليف القلوب....
- 379 وجوب إطاعة أهل البيت (ع).....
- 381 إطاعتهم (ع) سبب للنظام.....
- 384 حماية حماة الشريعة.....
- 386 الاعتقاد بالإمامة.....
- 387 التفرق عن سبيل الله....
- 387 السعى لتحقيق فعلية حاكميتهم (ع).....
- 387 الجهاد فى سبيل الله.....
- 390 إعزاز الإسلام واجب....
- 391 الصبر....
- 394 السعى لاستحقاق الأجر والثواب.....
- 397 مراعاة المصلحة العامة... 397
- 399 بيان الأحكام....

البر بالوالدين..... 401

إسقاط الوالدين..... 402

صلة الأرحام..... 405

قطع الرحم..... 406

ص: 333

- السعى لطول العمر..... 407
- التكثير فى النسل..... 409
- حق القصاص..... 414
- فلسفة العقوبات الإسلامية... 416
- وجوب حقن الدماء..... 418
- وجوب الوفاء بالندى..... 420
- التعريض لمغفرة الله..... 423
- توفية المكىال والميزان..... 424
- حرمة شرب الخمر..... 427
- المخدرات..... 431
- اجتناب الرجس..... 432
- حرمة القذف والسب... 434
- الاجتناب عن اللعنة..... 438
- حرمة السرقة..... 442
- وجوب التحلى بالعفاف..... 442
- الشرك الجلى والخفى.... 444
- مراتب التقوى.... 446
- الاستزادة من التقوى.... 448
- الموت على الإسلام..... 451
- حسن العاقبة.... 452
- الاقتباس من الكتاب.... 453

إطاعة البارى تعالى..... 460

الخشية من الله..... 462

التنويه بمكانة العلماء.... 464

مصادر التحقيق..... 467

ص:334

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلا:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
الغمامة
اصبحان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

